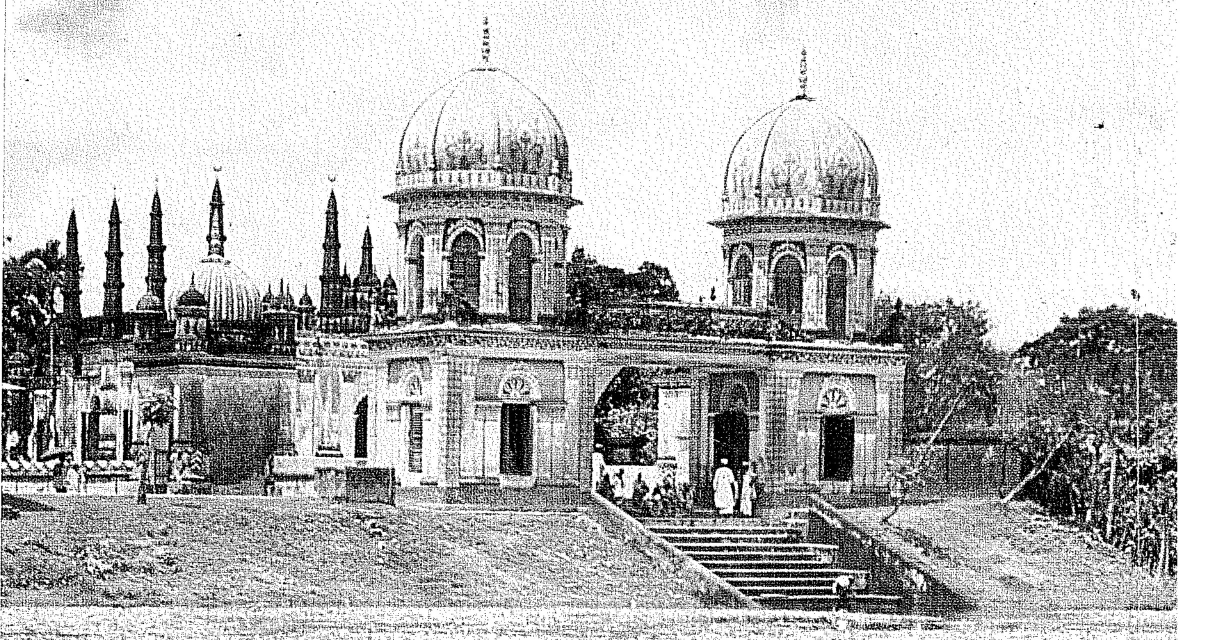
الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد السابع عشر
السنة الثانية
جمادى الاولى
١٣٨٦ هـ
١٧ أغسطس (آب)
١٩٦٦ م







فاطومي ...

قصة العدد ــ ص : ٨٠

الوعي الاسلامي

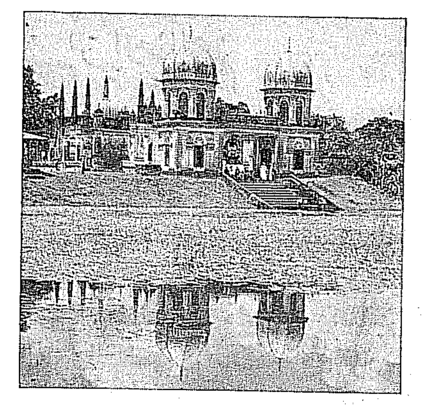
اسلامية ثقافية شهرية

العدد السابع عشر ـ السنة الثانية
غرة جمادى الاولى سنة ١٣٨٦ هـ
١٧ اغسطس (آب) سنة ١٩٦٦ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما
ينشر فيها من آراء

صورة الغلاف



مســـجد دانبادي التاريخي فى ميمنسانغ (باكستان الشرقية) وهو فريد فى طرازه وهندسته وزخرفته مما يشهد بعظمة المسلمين الذين كانوا يحكمون هذا الجزء من العالم .

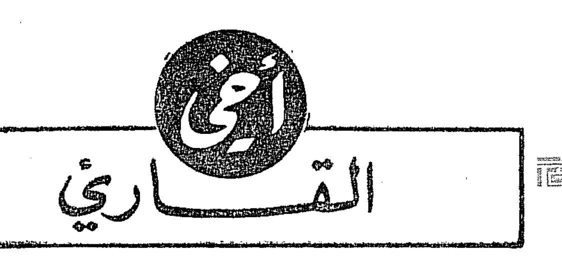
الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيـا	١٠	قروش
المغـرب	١	درهم
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى للهيآت فقط
فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ـ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم



ان طبيعة العيش فى هذه الحياة وانتظام الامور فيها تقتضي أن تتوزع الأعمال والأعباء بين الأفراد ، بحيث يكون لكل انسان اختصاص وعمل يقوم به : الزارع فى مزرعته ، والعامل فى مصنعه والتاجر فى متجره ، والموظف فى ديوانه ، والجندى فى ميدانه ، والقاضي فى محكمته ، والمدرس فى مدرسته ، والطبيب فى مستشفاه أو عيادته. والحاكم فى دائرة حكمه . كل عليه واجب ، وله اختصاص يجب أن يشعر به شعورا كاملا ، ويؤديه فى اخلاص واتقان .. حتى فى المجتمع الصغير فى البيت تلقى على عاتق كل فرد فيه مسئوليات يجب ان يحسن القيام بها ، متعاونا مع من حوله . وبذلك يتكامل بنيان المجتمع ، وتقوى أركانه ودعائمه ، ويحس كل فـرد فيه من الراحة والطمأنينة ، ما يدفعه الى عمله ، والى بذل جهده فى اجادته واتقانه .

ان المجتمع كالبناء الكبير لايقوم الا على قوة أعمدته وسلامة كل جزء فيه حتى يؤدي وظيفته .. وكالماكينة لا تعطينا انتاجها الا اذا كان كل جزء فيها سليما يؤدي وظيفته متضامنا – من حيث لا يشعر – مع بقية الأجزاء ، فسعادة المجتمع ونهضته متوقفان – اذن – على احساس أفراده بمسئوليتهم واخلاص كل واحد منهم فى بذل أقصى طاقته فى القيام بواجبه ، وبمقدار هذا الاحساس والاخـلاص تكون سـعادة مجتمعهم وبالتالي سعادتهم هم فى حياتهم .. لأن المجتمع ما هو الا الأفراد مجتمعين وكل جهد يبذله الواحد منهم فى عمله يعود عليه نفعه .. وكلما أحس الانسان أن حقوقه مؤداة ، وأن المجتمع حوله يوفر له مصالحه ، ويؤدى اليه حقوقه ، كان أكثر انصرافا لعمله ، واجادة له . وهكذا يأخذ الانسان من مجتمعه بقدر ما يعطيه .

على أنه اذا كان كل فرد عليه مسئوليات نحو مجتمعه ، فانه مما لا شك فيه ان هذه المسئوليات تتضخم كلما اتسعت دائرة أعمال الانسان ، وكلما كان يملك من السلطان ما يستطيع به التوجيه او البت فى مصالح الناس ، ومصير المجتمع .. فليس الذى يتحدث للناس فى حجرة . كمن يتحدث لهم عن طريق الاذاعة أو التلفزيون .. وليس الذى يكتب فى صحيفة صغيرة غير منتشرة كمن يكتب فى صحيفة كبيرة واسعة الانتشار .. وليست مسئولية المتحدث أو الكاتب المسموع الكلمة الذى يتخذه الناس موجها وقدوة لهم كمسئولية متحدث آخر ليست له هذه المكانة فى النفوس ، وليست مسئولية الحاكم أو الموظف الصغير كمسئولية الموظف أو الحاكم الكبير او الحاكم الأكبر

فى الدولة .. كل واحد عليه مسئولية ، تتفاوت تفاوت المركز الذى يشغله . ومع ذلك فلا بد من تعاون الصغير والكبير فى تحمل مسئولياتهم وأدائها على الوجه الأكمل ..

ومصدر الاحساس بهذه المسئولية والعمل على أدائها قد يكون الخوف من سلطة الرئيس ، أو سلطة القانون . وهو فى هذه الحالة يكون احساسا مهزوزا يوجد أو يقوى حينا وينعدم أو يضعف حينا آخر حسب اشراف الرئيس ومراقبة القوامين على تنفيذ القانون ..

وقد يكون نابعا من ذات الانسان .. من ضميره ، من دينه ، من شعوره بأن الله يراقبه ، ويعد عليه خطواته ويحاسبه على نياته ((ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة)) .

وهنا يحرص الانسان على أداء ما عليه من مسئوليات فى اخلاص ، وجد الرئيس أم لم يوجد ، أشرف عليه القوامون على تنفيذ القانون أم لم يشرفوا ، لأنه يراقب الله فى عمله ، ويخشاه ولا يخشى أحدا سواه ، والله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ومن هنا نضمن سلامة الأعمال ، وقوة البنيان ..

ولهذا وجدنا الرسول صلى الله عليه وسلم يوجه اهتمامه الى تربية المسلم على الخشية من الله فى سره وعلنه ، ووجدنا كل تعاليم الاسلام قائمة على اشعار المسلم بأنه لبنة فى بناء الأمة ، وعضو فى جسمها الكبير . عليه أن يكون قويا فى نفسه ، ثم يؤدى ما عليه لأمته .. فهو لا يؤمن حتى يشعر بشعور أخيه ، وحينئذ يدفعه هذا الشعور الى أداء ما عليه من مسئوليات نحوه . وهو راع فى كل عمل يطلب منه ومسئول عن رعيته و ((الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ ذلك أم ضيعه)) .

وأولى المسئوليات وأدناها نحو الجماعة مسئولية الرجل فى بيته ، وأضخم المسئوليات مسئولية الحاكم الذى تتجمع فى يده مصائر امته ومصالحها ، او مسئولية المجالس النيابية التي تملك حق اصدار التشريعات ، ومحاسبة المقصرين فى أعمالهم مهما تكن مراكزهم . ولهذا وجدنا الرسول صلى الله عليه وسلم يبدأ بمسئولية الرجل عن رعايته لبيته وينتهى عند مسئولية الامام أو الحاكم العام عن رعيته ثم يقول ((ألا فكلكم راع ومسئول عن رعيته ..)) .

والرسول بهذا يضع فى عنق كل مسلم مسئولية أمام الله عما استرعاه ، ووكل اليه من أعمال : صغرت أم كبرت ، ويطلب منه أن يتقن عمله ، ويحسن تصرفه ، ويشارك مشاركة فعالة فى تقوية أمته ، والنهوض بها حين يقول ((ان الله يحب من أحدكم اذا عمل عملا أن يتقنه ..)) حتى جعل المسلم مسئولا عن تقويم أخيه اذا اعوج كيلا تكون هناك لبنة ضعيفة تعرض البنيان كله للانهيار وذلك حين أوجب عليه أن يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، وحذره من السكوت عن الأخطاء والاستهتار بالمسئولية حين قال الله له ((واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)) وعلى هذا الأساس بنى الرسول مجتمعه الاسلامي فى قلب الجزيرة ، فكان خير مجتمع وكانوا خير أمة كل يعرف مسئوليته ويقوم بها .

ثم رأينا خلفاء المسلمين الأوائل يضربون المثل لأمتهم على حسن الشعور بالمسئولية والقيام بها ، فوجدنا عمر الحاكم رضى الله عنه يقول ((لو أن عناقا ((أنثى المعز)) ذهبت بشاطىء الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة)) ويقول ((لو أن دابة عثرت بالعراق لسئل عنها عمر لم لم يعبد لها الطريق)) .

وهكذا يكون الشعور بالمسئولية والحرص على أدائها حين يكون نابعا من دين الانسان وخوفه من الله .

واذا كنا نشكو الآن من عدم شعور الفرد بمسئوليته أو من تقصيره فى القيام بها ، فان ذلك يرجع الى ضعف الوازع الديني فى النفوس .

ان بناء المجتمع لا يكون ولا يقوم الا على أفراد لهم خلق ودين يدفعهم الى الاخلاص لأمتهم ومجتمعهم فى أعمالهم .. وانه لا يكفى مطلقا أن نبنى المصانع ونصـدر القوانين بل لا بد أولا من بناء الرجال الذين يديرون المصانع وينفذون القوانين .. لا بد من تربيتهم على الشعور بمسئوليتهم وعلى مراقبة الله فى أعمالهم .

أن الأزمة التي تمر بنا ليست فى قلة المال أو الرجال أو المصانع أو نقص القوانين ، ولكن الأزمة الحقيقية هي أزمة الأخلاق . وهي ناشئة من جدب النفوس من الوازع الديني ، ومن الشعور بالمسئولية نحو الجماعة وان قوة الأمة الاسلامية لا تتحقق الا على يد أبنائها الذين ينسون مصالحهم الشخصية ، ويراقبون الله فى أعمالهم ، ويتقونه فى أمتهم ، ويتعاونون فى اخلاص وحسن أخلاق ليردوا لها اعتبارها ، ويعيدوا مجدا كان لها فى سالف أيامها .. فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ..

ومن عجب أن يكون هذا أمرا ندركه جميعا ونكرره ثم نتباطأ فى العمل له ! . ماذا نقول للمريض الذى وضع امامه الدواء الشافى ثم تلكأ فى استعماله ؟ ! .

رئيس التحرير



[٣] محمّد رسول الله وخاتم النبيين

للشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن عبد الرحمن بن صخر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون . هلا وضعت هذه اللبنة ، قال . فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » . « رواه الشيخان »

١ ــ مصدر ما دعا اليه الرسل جميعا واحد ، وهدفهم فى كل ما بلغوه لا يختلف ، وغايتهم لا تتعدد ، فالدين على السنتهم كافة هو الاسلام (ان الدين عند الله الاسلام) فجميع الشرائع التى أوحيت الى الانبياء روحها وجوهرها الانقياد والخضوع لبارى الكون ، وتوحيده والانطواء تحت سلطانه ، ونبذ الاعتراف بأية قوة غير قوته ، فهو الذى يحيى ويميت ويبدىء ويعيد (تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور) (١) فمتبع واحد من رسل الله عليهم الصلاة والسلام هو متبعهم عامة ، حيث خلص من شوائب الشرك ، وتجرد من علائق الخلق ، وأسلم وجهه لله رب العالمين ، فراض نفسه على بذل جوده لبنى جنسه، وحرص على نفعهم بما يستطيع ايصاله اليهم ، فان كان ذا ميسرة أعطى المعسر ، وان كان عالما فقه الجاهل ، وان كان قويا أعان الضعيف . وان كان عنده فضل ظهر حمل من لا ظهر له ، وان شئت أجملت المراد فى معنى ما قاله خاتم الانبياء والمرسلين . « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها » وما دام هذا منهجهم جميعا فمن خالف واحدا منهم فقد خالفهم مجتمعين .

٢ ــ حين يتحدث القرآن الكريم عن رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يحمله ما حمل المبعوثين من قبله (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس

(١) سورة الملك . الايتان ١، ٢ .

وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا . ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما .) (١) ويجعل غاية ارسالهم التبليغ لاوامر الله ونواهيه وقطع حجة البشر على الله يوم الحساب (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما (٢) . ويقول لخاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . (قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى الى وما أنا الا نذير مبين) (٣) .

قل لهم يا محمد . لماذا تعجبون من دعوتي لكم الى الله فانا لست أول من بلغ عن ربه ، بل قد جاء العديد من قبلي يحملون رسالات ربهم الى أقوامهم ولست الذى لا نظير له في رسالته حتى تستنكروا قولي ، وما أتبع الا الوحى الذى اتبعوا ، وطريقى طريقهم وهى التعالى بالانسانية عن الاخلاد الى الارض ، وابعادها عن اتباع الهوى المضل عن سبيل الله ، وقيادتها الى المستوى الملائم لتكريمها وتفضيلها على كثير من خلق الله ، وهدايتها الى الصراط المستقيم الذى يوصلها الى القمة قمة المخلوقات للاستيلاء عليها تحقيقا لتسخير الله اياها للانسان (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه أن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) ((٤)) وليرقى بهذا الى الوظيفة الحقيقية له فيقيم العدل ويقرر الاعتدال في كل شيء مع نفسه ومع غيره لتتخلص النفوس من الاشتغال بالنفوس الى عبادة بارئها في هدوء لا يلاحقه ازعاج ، واخاء دون نفار ، ومحبة لا تشوبها انانية ، فتنقضى حقبة الاقامة المؤقتة في سلام شامل للالوان منتظم للاجناس متكافىء مع الثواب الموعود به في دار خلود دائم ونعيم مقيم ، وكل هذا مع التسليم لله والعجز امام جلاله وقيوميته : ثم ان ما شرعه الله لكم هو ما وصى به نوحا وما وصى به ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من ارباب الشرائع السماوية ، فالكل مأمور باقامة الاسلام وهو التوحيد . (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) ((٥)) .

٣ ـ والرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لم يقل ابدا انه يمثل جنسا متميزا عن البشر ، ولا تجرى في عروقه دماء تخالف دماءهم ، وهذا نص المحكم من الكتاب المبين يؤيد بشريته ويحقق مثليته لمن أرسل اليهم (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد) وطريق وصولكم الى مرضاته هو التوحيد والعمل الصالح لكم وللبشرية كافة (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) (٦) . ويصرخ صلى الله عليه وسلم بذلك لمن هابه واضطربت فرائصه أمامه قائلا (هون عليك فانما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة) . وحين نفقه كنه الاسلام ونعى حقائقه وندرس أحوال رسوله وهو المثل الاعلى في الخلق الكريم ندرك بمالا يرقى اليه شك أن الحسد القاتل والحقد الدفين وما يمت لفصيلتهما بصلة من ذميم الخصال ، هى التى ولدت العداوة والبغضاء في قلوب المعاندين الجاحدين منذ البداية فقال كفار قريش وهم يعضون على النواجذ (لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) (٧) وتمنى أهل الكتاب لو عاد من آمن الى الكفر مرة أخرى (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانك كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) (٨) .

---

(١) (٢) الايات ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ من سورة النساء . (٣) الاية ٤ من سورة الاحقاف .
(٤) الاية ١٣ من الجاثية (٥) الاية ٨٥ من سورة آل عمران (٦) الاية ١١٠ من سورة الكهف
(٧) الاية ٣١ من سورة الزخرف (٨) الاية ١٠٩ من سورة البقرة

٤ ـ بظهور رسول الله عليه الصلاة والسلام برزت لاول مرة فى تاريخ الانسانية رسالة سماوية متكاملة من جميع الوجوه تعنى بمصالح الناس وتعالج ما يعنيهم فى حياتهم الدنيا وتضع الحلول التى لا تدع مشكلة الا أزالتها ، ولا عقدة الا حلتها ولا خطأ الا أصلحته ولا معوجا الا قومته ، فالعليم بما تنطوى عليه القلوب وما تكنه الضمائر وما يدور بالخلد خبير بالادوية الشافية والعلاجات الحاسمة .

مما اقتضته حكمة السميع البصير حجب الغيب عن الانسان ، فقد أسدل على مكنون القدر ستارا كثيفا لا يمكن أن يخترق ، واقام دونه حواجز لا يمكن تخطيها ، فمهما أوتى المخلوق من ادراك ودراية وخبرة وعلم فهو عاجز كل العجز وقاصر تمام القصور عن فتح ثقب صغير يطل منه على ما تحمله اللحظة التالية فى وجوده المحدود ، فهو يقدر ويفكر ويدبر ويحصى ويقيس الغائب على الشاهد ، وأخيرا يجد نفسه دائرا فى حلقة مفرغة لا يدرى أين طرفاها . وما وصل اليه فى عصرنا من محاولات شارك بها بعض المخلوقات الاخرى الملهمة فصعد الى الكواكب مراغما نفسه للوصول اليها ، أو ما ظن انه سيطر عليه من ذرات الكون ، أليس هذا حركة فى موجود واظهارا لمكنون مخلوق ، وادراكا لبعض اسرار احتفظ بها الكون دهرا طويلا فى خبيئات مقوماته تنقلت معه فى أطواره المتعاقبة وهو لا يشعر بها حتى اذا حان ميعادها الموقوت : ودقت ساعتها المعينة هداه بارئها الى ايقاظها من سباتها ووفقه لتلقيها ، وأمكنه من السيطرة على جماحها فحبسها فى دائرة معينة لتلعب دورها فى الوجود ، ومن يدرينا فقد يفلت زمامها منه وتنفر من سلطانه الموهب له فتدمره وتاتى على ما قدم وما اخر فى هذا الميدان ، وهل يأمن الانسان ان يصيبه ما اصاب جنسا آخر وصل الى استراق السمع فاتبعه شهاب ثاقب على أن ما يعطيه هذا الموقف للناظر المتأمل ، وما يصوره له واقعا هو تاخر الانسان فى ادراك بعض حقائق الكون عن غيره دهورا ودهورا ، ومن أزال القفل عن قلبه وتدبر القرآن توصل الى أن غوص الانسان وراء حقائق الكون ، ومحاولته استكناه خفاياه عمل واجب عليه ، بل هو مكلف به ومطلوب منه اداؤه ، ولو قصر أو ترك ما كان متجاوبا مع رسالات السماء واذا ذكرت توجيهات رب السموات والارض فى هذا الصدد فلا معدى لاى انسان مهما بلغ علمه واتسعت دائرة اطلاعه عن اسناد الدعوة الملحة للبحث والاستقصاء ـ الى رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد أمر الله فيما اوحاه اليه وأطال فى الامر ، ووجه وأكثر فى التوجيه وخاطب وأوفى على القصد فى الخطاب ونادى عباده فى محكم كتابه (قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون) (١) فصدر الاية أمر بالنظر وفى تقديم السموات على الارض فى الذكر اسرار واسرار ونجد هذا التقديم مكررا فى كل آية جمعت السماء مع الارض (٢) فى توجيه الى البحث وختام الاية يصم بالغباء والجهالة والتهاون والاستهتار وعدم تقدير النفس لوجودها عند قوم لم يعوا مرماها ولم يفقهوا معناها ولم يتصلوا بمنزلها ولم يخضعوا ليعرفوا ولم يتداركوا ليصلوا ولم يعلموا ليتعلموا ولم يسلكوا ليهتدوا «(٣)» .

ونستطرد بالبحث الى آية كريمة تحسم موضوعا اختلف فيه علماء الكون فى عصرنا الذرى يتصل بالكواكب الاخرى وهل توجد فيها حياة أو حيوان، وتزول هذه الحيرة حين نتأمل ببصائرنا قول الله تعالى (ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) «(٤)» .

قال المفسرون . « من دلائل قدرة الله وعظمته وسلطانه القاهر ـ خلق السموات والارض وما نشر فيهما من دابة تدب وتتحرك ، وهذا يشمل الملائكة والانس والجن وسائر الحيوان على اختلاف أشكالهم والوانهم «(٥)» ... وقصارى القول فى ذلك أنه سبحانه قدير على جمع ما

---

(١) الاية ١٠١ سورة يونس (٢) الامانـدر
(٣) فى هذا بحث طويل حيث ينطوى القرآن على اسرار بعضها لم يدرك بعد .
(٤) آية ٢٩ من سورة الشورى . (٥) ولا وجه لتحديد الاسماء والامكنة فالبث عام والامكنة كذلك .

بث فيهما من دابة اذا جاء وقت جمعه كما لم يتعذر عليه خلقه وبدايته » (١) .

... ومع كل هذه العلوم والمعارف فباب الغد موصد ومفتاحه لم يصل ولن يصل الى البشر وما امكن واعتقد أنه لن يمكن مستقبلا تسور موانعه ولا مقاومة حرسه ، فلو كان بحثه داخلا تحت سيطرة البحث لما قال الخالق المدبر (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا «٢» ويؤيد ذلك ما حكى القرآن عن أحب الخلق وأقربهم الى رب الخلق (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) «٣» وقد أراح العبد الصالح نفسه بترك الامور لمجريها فهو وحده البصير بخوافيها (وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد) «٤» .

خلاصة هذه الفقرة من البحث . أن ايصاد باب الغد واحتفاظه بما فيه من خير وشر بعيد عن ادراك البشر حمل الانسان حملا قويا على الاغراق فى واقعه اغراقا عجيبا ، فقل من يؤمن بما غاب عن حسه أو يصدقه ، وأوقف هذا الجهل بالغد وما يخفيه ــ الانسان أمام دعوة الحق والخير موقف المترددوالشاك احيانا والمتهيب الوجل تارة اخرى، وقلة ممن أنعم الله عليهم سلموا وآمنوا ودخلوا فى مداخل الحقيقة ، شربوا من رحيقها وذاقت ارواحهم حلاوتها ففنوا فيها ووهبوا أنفسهم لها وللدفاع عنها ، وكان اعجازهم الذى أعيا التاريخ أن يلاحقه وأوقفه مشدوها أمامه فى كل ميدان طرقوه وكل باب ولجوه . والحيارى المترددون فى المحسات الذين غرتهم الحياة الدنيا وشدتهم الى مغرياتهم فقنعوا بعيش السوائم (يأكلون ويتمتعون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم) «٥» أولئك هم الذين عارضوا وعاندوا وجحدوا وركزوا جهودهم ورصدوها لحرب خاسرة بالنسبة لهم محاولين طمس الشمس واخفاء القمر وتبديل خلق الله ومعارضة ارادته ، وهؤلاء اتخذوا صورا واشكالا مختلفة . فى التاريخ مع كل دعوة فاضلة من البشر ورسالة خالدة من السماء ، والطائفة التى نعنيها منهم فى بحثنا هي التى لازمت ظهور الاسلام وصاحبته فى الحقب التى مرت به حتى الان .

٥ ــ ونعود فنتساءل . ما دامت أصول الاسلام ثابتة فى دعوات الانبياء والرسل السابقين ، وسيدنا محمد ليس بدعا من الرسل ، وكل تعاليمه **وارشاداته لصالح البشر (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت** عليهم) «٦» . وما دام الانسان لا **يستطيع بحال أو حيلة أن يستشف ما وراء الغيب فلماذا لا يلقى رحاله فى رحاب مولاه الذى لا يأمره الا بما ينفعه ولا يصده الا عما يضره ، وصدق الله العظيم (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) .**

والمتتبع لذلك الشنآن وتلك العداوة يجدهما قد صاحبا الرسالة منذ أن بدأت تتمركز فى بلاد العرب وتقتعد مكانها فى الوجود وتتقرر لها شخصيتها المميزة ، والذى يثير الدهشة والعجب هو أن الذين حملوا وزر محاربتها هم أولى الناس بمساندتها وتدعيمها وقتال أعدائها لانهم يدورون فى نفس الفلك الذى تمضى فيه ويستمدون مقومات كيانهم من مصدرها ويرمون عن قوسها ووجودهم متبلور فى أهدافها ان أرادوا الحق لانه الحق وآثروا ذا اثر ،، هم أهل الكتاب الا فترة قصيرة فى مكة عاداها جهلة متعصبون لا كتاب لهم

---

(١) المراغى ج ٢٥ ، ص ٤٦ (٢) آية ٣٤ سورة لقمان (٣) ١٨٨ سورة الاعراف (٤) آية ٨٨ سورة غافر (٥) آية ١٢ من سورة محمد (٦) اية ١٥٧ من سورة الاعراف .

ولا حجة لديهم الا التعلل بما وجدوا عليه آباءهم وهى حجة أو هى من بيوت العناكب وان كانت دائرة مع الزمان والمكان حيثما دارا ، فالناس أسراء ما ألفوا وعبيد ما اعتادوا ، فلما انتقلت الدعوة الى المدينة ذر قرن الشر وتزعمه الذين كانوا يبشرون بصاحبها قبل ظهوره ويستنصرون به على أعدائهم وهو لا يزال غيبا من الغيب، فلما سطعت شمسه حاربوه حيث خيل اليهم أنه مقصيهم عن رياساتهم الزائلة فاشتروا الدنيا بالآخرة واستحبوا العمى على الهدى ، وهؤلاء لهم القدح المعلى فى قتال رسل الله وقتلهم منذ زمن ضارب فى أغوار التاريخ ، وما احكم القرآن حين يصور مواقفهم من الرسول عامة (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) ((١)) ولا يستحيون أن يصموا أنفسهم بأقبح الاوصاف وأشنعها فما أهونهم على الله وما اجرأهم على الكذب (وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ((٢)) وحين أوحى الى الصادق المصدق لما معهم لووا رءوسهم كبرا وعنادا وانكروا وهم يعرفونه كمايعرفون ابناءهم (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) ((٣)) .

٦ — وظهر منهم فى المدينة عميد المنافقين عبد الله بن أبى فيفضحه القرآن ويعلن للناس أمره مفصحا عن مكنون قلبه الحاقد الجاحد لوحى السماء الخائن لما أؤتمن عليه من التوراه ، ويمضى مع شروره ، وتدور الايام وتطلع الشمس ذات يوم على شر منه على عبد الله بن سبأ ، فيسعى جاهدا فى تشتيت شمل المسلمين وتفريق كلمتهم وفصم عرى وحدتهم وتقع على يديه الآثمتين الواقعة ويراق الدم العزيز على الله وعلى رسوله ولا يجتمع المسلمون بعده أبدا ، ويمضى الفلك فى حركته الدائبة لا يتوقف ، ومع الاصباح والامساء يتوالى ظهور أعداء الاسلام وتتطور اسلحتهم بتطور الزمان وان كانت تتحد على هدف واحد هو هدم الاسلام والقضاء على المسلمين .

وايجازا للقول ندع ما مضى ونقرؤه تاريخا للعظة والعبرة وان كان الحاضر مرتبطا به ارتباط الوليد بوالده والنار بموقدها والصدى بمصدر الصوت ، ونجعل اهتمامنا منصبا على الواقع الذى يعايشنا وقد أخذ صورا وأشكالا جديدة من الحرب مستعملا الاسلحة التى تناسب تفكير عصر الذرة وتكافىء الاهداف ، أولئك هم الذين ابتكروا اساليب متعددة يخفونها طورا فى تكتلات سرية تنطوى على سم ناقع ، ويجهرون بها تارة أخرى بوجوه باسمة من ورائها أنياب تنهش ، ومخالب تفتك، وأحيانا يسمون انفسهم أساة وهم مصدر الجراح ، ويقولون نحمل اليكم نور المعرفة ولكن على طريقتهم الخاصة . النجاة لهم والدمار للاسلام ، عاشوا فى ديار المسلمين باحثين منقبين عن الدر الدفين فى تراثنا يمحون به جهالتهم ويطمسون معالم السلوك الكريم فى مدارجنا ، وحماة الدار نائمون قد قبعوا فى عقر دارهم متفرجين على المسرح من خصاص الابواب وليتهم يدركون حقيقة واقعهم فلا يدبرون الفتن ولا يزكون العداوات بين أقوامهم ، حتى لا تتفرق القوى الخيرة ايدى سبأ ولا تتمزق شذر مذر —والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

---

(١) اية ٨٧ من سورة البقرة . (٢) اية ٨٨ من سورة البقـرة (٣) اية ٨٩ من سورة البقرة .



الرسم العثماني للمصحف

الخلاف في رسم المصحف قديم
هل يمكن تغيير الرسم حسب قواعد الإملاء المعروفة؟

للاستاذ محمود غنيم

لا اظن موضوع الرســـم العثمانى للمصحف من الموضوعات الشائكة التـى لا ينظـر المتحرجون الى وضعها على بساط البحث بعين الارتياح . اننـا ندين كل الدينونة بتقديس القـرآن الكريم ، ولكن ما هو القرآن الذى ندين بتقديسه ؟ انه كلام الله تعالى المنـزل على نبيه الكريم ، هذا الكلام ينبغـي أن يقرأ كما انزل دون ان يمسه تحريف أو تصحيف ، أما طريقة الرســـم الذى يؤدى به النطق على الصورة المطلوبـة فليســت فيما نعتقـد من التقديس فى شىء ، فانما هى من وضع البشر، وعلى ذلك فهى خاضعة لقواعد الاملاء قديمـا وحديثـا .

وليس الخلاف فى رسم المصـحف ابن اليوم ، وانما هو خلاف قديم تمتد جذوره فى باطن التاريخ الى زمن سحيق بين رجال الدين انفسهم ، فريق يقول بضرورة المحافظة على الرسم العثمانى،

دون أن يبدى لذلك سببا معقولا ،وفريق يقول بتطور رسم المصحف طبقا لتطورات الكتابة ، وما يستبنط لها من قواعد من شأنها التيسير على الكاتبين والقارئين .

وقد رأيت ان أعرض لهذا الموضوع وتطوراته عرضا يلم بأطرافه من جميع نواحيه ، لأنه وثيق الصلة بأقدس مقوم من مقوماتنا الدينية واللغوية والقومية ، وأعني به القرآن الكريم ، حتي نسلط بعض الأضواء على هذه المسألة تمهيدا لاعادة النظر فيها من جديد : أتبقى على ما هي عليه ، أم يتخذ فيها اجراء آخر ؟ .

وقد عرض لي هذا الموضوع عندما كنت أضع كتابا عن المرحوم حفنى ناصف بتكليف من بعض دور النشر . أما صلة حفنى بهذه الموضوع فهي من أوثق الصلات ، ولعل كثيرين من قراء القرآن الكريم فى مختلف أرجاء العالم الاسلامي لا يعلمون أنهم مدينون بضبط المصحف الشريف ، ورسمه بالصورة التي هو عليها الآن لهذا الرجل العظيم ، الذى مضى على وفاته ما يقرب من نصف قرن (١٨٥٥ — ١٩١٩) وقد شاءت المقادير أن يقوم بتصحيح آخر تجربة من تجارب طبع المصحف ، وهو على فراش الموت .

وتتبديء قصة رسم المصحف من عهد كتابة الخليفة عثمان بن عفان له فى القرن الأول الهجرى ، أو فى النصف الأول منه ، وتنتهي بتجديد هذه الكتابة نفسها على يد حفنى ناصف وزميليه (١) فى القرن العشرين ، أو فى أوائله ، بعد أن كادت معالم الرسم العثماني أن تنطمس آثارها ، لكثرة ما شاع فيها من الأخطاء والتحريفات بتوالي الطبع على مر الزمان فى مختلف البلدان ، حتى خيف من تسرب البلبلة والاضطراب الى خير كتاب عرفته الانسانية جمعاء .

حينئذ قامت وزارة المعارف المصرية فى ذلك العهد بتكليف المرحوم حفني ناصف مراجعة كتابة المصحف ، والقيام بتصحيح ما فيه من أخطاء ، ولم يكن أمر هذه المهمة من الهنات الهينات ، فقد سلخ من عمره فى انجاز هذا العمل زهاء سبع سنوات من ١٩١٢ الى ١٩١٩ م . ثلاث منها قبل احالته الى المعاش ، وأربع بعد الاحالة . والى هذه المهمة يشير فى البيت الأخير من قصيدته الرائية المشهورة التي بعث بها الى حسين باشا رشدى رئيس الوزارة اذ ذاك ، طالبا مد أجل خدمته ، والتي مطلعها : —

صاحب الدولة يا شيخ الوزارة
حاجتي ان شئت تقضى باشارة

ويقول فى آخرها : —

ليس عندى ضيعة تكفل لي
رزق أولادى ولا عندى تجارة

ان أولادى على كثرتهم
ليس فيهم بعد من يكسب بارة

أبقني بضع سنين ريثما
يقدر الأكبر أن يؤوى صغاره

او الى أن ينتهى ما فى يدى
وهو — ان تم — فخار للنظارة

والبيت الأخير هو الذى نعنيه ، فهو يشير بقوله « ما فى يدى » الى عمله فى ضبط المصحف .

وقد اقتضاه هذا العمل أن يبحث عن قواعد الرسم العثماني وأصوله ، فوفق الى ذلك بعد مجهود كبير .

---

(١) اختار المرحوم حفنى ناصف لمساعدته فى هذا العمل العالمين الجليلين الشيخ احمد الاسكندرى ، والشيخ مصطفى عنانى .

الرسم العثماني للمصحف

وكانت جملة ما قام بتصحيحه من الأخطاء بعد تطبيق هذه القواعد التي استنبطها تربو على مائتي غلطة املائية .

اما هذه القواعد نفسها فقد ضمنها كتابا خاصا قائما بذاته ، الا أنه مما يؤسف له أن هذا الكتاب قد ضاع فيما ضاع من آثاره ، ولكن من حسن الحظ اننا عثرنا بمحض الصدفة على المقدمة التي وضعها لهذا الكتاب فيما عثرنا عليه من مخلفاته . وفى هذه المقدمة يعرض لقصة رسم المصحف عرضا تاريخيا مفصلا ، ويسرد مبررات ضرورة العودة الى الرسم القديم ، ويرد على المعارضين بكل ما وسعه من منطق واقناع . الأمر الذى يدل على أن المسألة كانت موضع خلاف مستحكم بين العلماء .

وقد كنا نود أن نسجل هذه المقدمة بنصها ، ولكننا ــ تجنبا للتطويل ــ آثرنا أن نشير الى أهم ما ورد فيها من النقاط الجوهرية التي تتصل بصميم الموضوع ، محتفظين لأنفسنا بحق التعقيب على بعض هذه النقاط .

بدأ حفني مقدمته بقوله « جاء فى حديث عائشة وفاطمة رضي الله عنهما : أن جبريل ــ عليه السلام ــ كان يعارض (١) النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فى كل سنة فى شهر رمضان مرة واحدة وفى السنة الأخيرة من حياته عارضه مرتين ، فأحس بدنو أجله » .

وقد كتب القرآن بعد العرضة الأخيرة زيد بن ثابت ، وأبي بن كعب ، وأبو الدرداء ، ومعاذ ، وغيرهم من أكابر الصحابة ــ رضوان الله عليهم أجمعين ــ ولكن الوحي لم ينقطع ، حتى قبض عليه الصلاة والسلام ، فألحق الكاتبون ما نزل أخيرا بما كان عندهم .

فى عهد الخلفاء

ثم انتقل الى المرحلة التي سلكها موضوع تدوين القرآن الكريم فى خلافة أبي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ فأشار الى أنه عقب توليه الخلافة ارتد من ارتد من العرب عن الاسلام ، وادعى مسيلمة النبوة فى اليمامة وتبعه بنو حنيفة ، فأرسل أبو بكر خالد بن الوليد لقتالهم على رأس جيش من المقاتلين المسلمين ، وفى أثناء دوران رحى المعركة بين الطرفين استحر القتل فى القراء ، حتى بلغ عدد من مات منهم فى هذه المعركة زهاء (٧٠٠) رجل . ولما عرف عمر ذلك ارتاع ، وخشي على القرآن الضياع اذا استحر القتل فى بقية المعارك ، كما استحر فى هذه المعركة ، فتكون النتيجة القضاء على البقية الباقية من حفاظ القرآن ، فيذهب منه بذهابهم الشيء الكثير ، وحينئذ بادر أبا بكر ، وأشار عليه بجمع القرآن ، فاستصوب أبو بكر رأى عمر وبعث من فوره الى زيد بن ثابت ، وقال له « انك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن لتجمعه » فصدع زيد بالأمر ، وجعل يتتبع القرآن من صدور الرجال ، ومن الرقاع ، والأضلاع ، وقحوف السعف ، حتى أتم جمعه ، أو كاد .

يقول زيد « ففقدت آية كنت أسمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم أجدها عند أحد ، فوجدتها عند رجل من الأنصار ، وهي « من المؤمنين رجال

(١) معنى المعارضة أنه يقرأ والآخر يقابل عليه .

صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر » فألحقتها فى سورتها ، ثم فقدت آية أخرى ، فاستعرضت المهاجرين والأنصار أسألهم ، فوجدتها عند خزيمة بن ثابت ، وهي « لقد جاءكم رسول من أنفسكم .. الآيتين » فألحقتها فى آخر السورة ، ثم عرضته على نفسي عرضة ثالثة ، فلم أجد فيه شيئا » .

ومعنى أنه لم يجد الآية أنه لم يجدها عنده مكتوبة فيما سبق أن كتبه فى حياة الرسول — صلى الله عليه وسلم — مع كونه يحفظها ، فمعنى أنه وجدها عند الأنصارى أنه وجدها مكتوبة ، لأن زيدا كان يهمه أن يطلع على الكتابة ، اذ كان فيها علائم مخصوصة تدل على أوجه القراءة التي أذن بها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأقرأ بها وفود القبائل من العرب من فك وادغام وامالة وتفخيم واشمام ومد وقصر وتغليظ وترقيق

قال عليه الصلاة والسلام « نزل القرآن على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه » قيل انها لغات قريش وكنانة وأسد وهذيل وبني تميم وضبة وقيس ، وهم الذين انتهت اليهم الفصاحة ، وسلمت لغاتهم من الدخيل ، وبذلك تم جمع القرآن كله فى الصحف مشتملا على الأحرف السبعة ، وبقيت تلك الصحف عند أبي بكر حتى مات ، ثم كانت عند عمر حتى مات ، ثم كانت عند حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

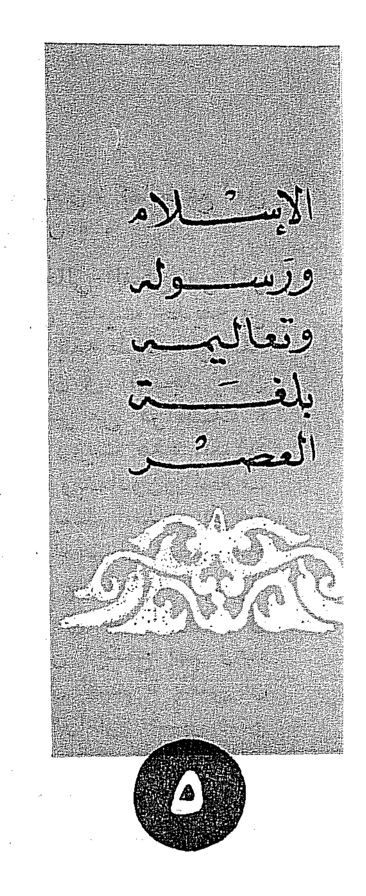
ثم انتقل حفني فى مقدمته الى مرحلة تدوين القرآن فى خلافة عثمان بن عفان ، وهي أهم المراحل التي سلكها هذا التدوين ، فأشار الى أن حذيفة بن اليمان قدم عليه ذات يوم فزعا ، وكان قد سار مع جيش من المسلمين للقتال فى أرمينية ، وقال « يا أمير المؤمنين ، اني سمعت الناس اختلفوا فى القراءة ، حتى والله اني لأخشى أن يصيبهم ما أصاب اليهود والنصارى من الاختلاف ، فما كنت صانعا — اذا قيل هذه قراءة فلان ، وهذه قراءة فلان ، كما صنع أهل الكتاب — فاصنع الآن » .

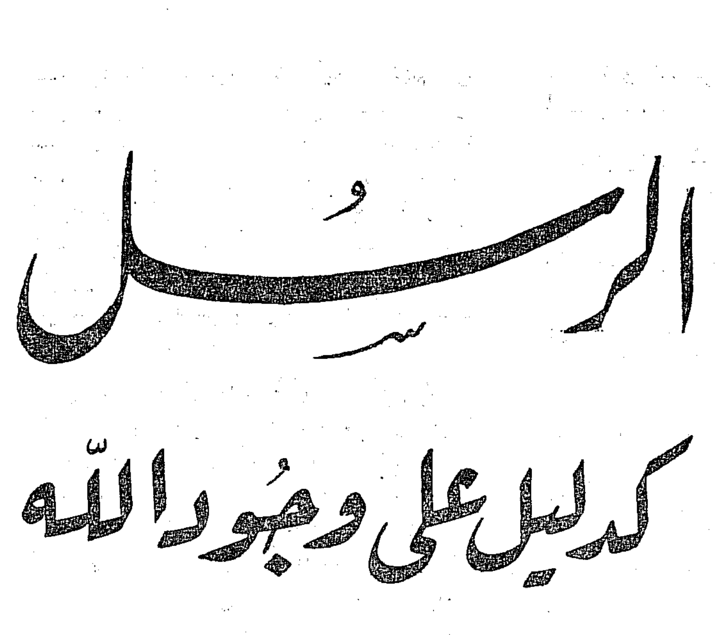
ولم يكن عثمان خالي الذهن من أمر هذا الاضطراب قبل حديث حذيفة بن اليمان ، بل كان قد بلغه طرف من هذا الاختلاف بين المعلمين فى المسجد يقول أحدهم « قراءتي خير من قراءتك » ويقول الآخر « أني رويت هذه القراءة عن فلان عن فلان » ، ويتمادون فى الخلاف الى حد المقاتلة ، ولا يسلم أحدهم بقراءة الآخر . وحينئذ وجد عثمان نفسه أمام حادث جلل لا بد أن يتخذ فيه اجراء حاسما ، فجمع الناس ليشاورهم فى الامر ، وكان عدة من اجتمع بهم زهاء اثنى عشر الفا ، وقال لهم « بلغنى ان بعضهم يقول . « قراءتي خير من قراءتك » وهذا يكاد يكون كفرا ، فماذا ترون ؟ قالوا . « فماذا ترى ؟ » قال . « ارى ان يجتمع الناس على مصحف واحد ، فلا يكون فيه فرقة واختلاف » قالوا : « فنعم ما رأيت » .

فارسل من فوره الى حفصة ان ارسلي الينا بالصحف ، فارسلتها اليه ، فاستدعى زيد بن ثابت ، وسعيد بن العاص ، وعبدالله بن الزبير ، وعبدالرحمن ابن هشام ، وقال لهم « انسخوا هذه الصحف فى مصحف واحد » وقال للنفر القرشيين . « ان اختلفتم انتم وزيد بن ثابت فاكتبوه على لسان قريش ، فانه نزل بلسانهم » فصدعوا بأمر الخليفه ، واخرجوا للناس اربعة مصاحف كلها مكتوبة بخط زيد ، واملاء القرشيين ، وليس فيها أية علامة من العلامات التي كانت فى الصحف قبل ، لتدل على الاحرف السبعة ، فأرسل منها مصحفا الى الكوفة ، وآخر الى البصرة ، وثالثا الى الشام ، وامسك عنده واحدا ، وامر بتحريق كل الصحف والمصاحف التي كانت من قبل .

وقد اقره على ذلك الصحابة —

البقية على ص ٢٣





للاستاذ احمد حسين ـ المحامي

اذا كان التحليل المنطقي قد انتهى بنا الى انه لا فكاك للعقل من التسليم بوجود سبب يعلو على الاسباب ، وان هذا الوجود لا يمكن ان يكون الا من خلق اله واحد قديم حي حكيم عادل رحيم فان العقل لا يلبث ان يتساءل ، لماذا لا يكشف هذا الاله عن نفسه للانسان ، ويكون على صلة دائمة به .

وحقا ان كل ما حول الانسان من وجود يكشف عن الله وقدرته ، ابتداء من أدق الاحياء واصغرها حتى أعظم الاجرام السماوية وأبعدها ، ابتداء من الزهرة ذات الالوان الجميلة المبهجة ، والاريج العطر المنعش، حتىالقمر المتعدد الاوجه، والشمس المحرقة ، والسماء المرصعة بنجوم لا حصر لها ، ابتداء من الطيور فى الهواء والاسماك فى الماء ، وكل ورقة شجر تسقط ، وكل حبة رمل تذروها الرياح ، حتى الليل والنهار والخسوف والكسوف .. كل شيء من حول العقل يجرى على سنن وبنواميس أخفى من الخفاء ، تدل على انها صنعت بمعرفة حكيم قدير .

ولقد ظن أقوام أنه بقدرتهم أن يفسروا كل ظواهر الطبيعة الخارقة ، من دوران القمر حول الارض ، ودوران الاثنين معا حول نفسيهما وبقية الكواكب الاخرى حول الشمس ، وانطلاق المجموعة الشمسية بأكملها هي والوف الملايين من امثالها فى الفضاء اللانهائي ، فلا يختل عقدها ، ولا تبطيء سرعتها ولا يصطدم ، بعضها ببعض ، ظن أقوام أنهم بمجرد ان يتلفظوا بكلمة الجاذبية ، وأن قانون الجاذبية هو الذى يفعل ذلك كله ، أنهم كشفوا السر وحلوا اللغز ، ولم يعودوا فى حاجة للايمان بالله ، ناسين انهم قد استبدلوا بكلمة الله الجاذبية ، فعزوا الى هذه الكلمة الخفية كل اسرار الكون وعجائبه ، وجعلوا من هذه الجاذبية السبب الاول القديم والحكيم الفعال ، متناسين ان مكتشف قانون الجاذبية نفسه وهو اسحق نيوتن قد حذر من هذا الوهم ، وكان من اشد الناس ايمانا بالله ، ومن أعظم الدعاة للايمان به حيث يقول لنا :

« لا تشكوا فى الخالق لانه لا يعقل ان تكون الضرورة وحدها هي قائدة هذا الوجود ، لان ضرورة عمياء متجانسة فى كل مكان وزمان ، لا يتصور ان يصدر منها هذا التنوع فى الكائنات ، ولا فى هذا الوجود كله بما فيه من ترتيب أجزائه

وتناسبها من تغيرات الازمنة والامكنة ، بل ان كل هذا لا يعقل ان يصدر الا من كائن أزلي له حكمة وارادة)) .

ثم يمضي نيوتن وهو الذى اكتشف علاقة الاجرام السماوية فيما بينها ، ولماذا تدور فى افلاكها فيقول :

((من المحقق أن الحركات الحالية للكواكب لا يمكن ان تنشأ من مجرد فعل الجاذبية العامة ، لان هذه القوة تدفع الكواكب نحو الشمس ، فيجب لكي تدور هذه الكواكب حول الشمس أن توجد يد الهية تدفعها على الخط المماس لمداراتها ، ومن الجلي الواضح أنه لا يوجد سبب استطاع ان يوجه جميع الكواكب وتوابعها للدوران فى وجهة واحدة ، وعلى مستوى واحد بدون حدوث اى تغيير يذكر ، فالنظر لهذا الترتيب يدل على وجود حكمة سيطرت عليه)) .

ويختتم نيوتن الذى يعتبر أعظم عالم عرفته البشرية فى القرون الحديثة بحثه بقوله :

((ان نظام الكون يدل على وجود اله حكيم منزه عن الجسمانية حي حكيم موجود فى مكان ما يرى حقيقة كل شيء فى ذاته ويدركه اكمل ادراك)) (١)

وكان يجب عندما يتكلم كاشف قانون الجاذبية عن أن وجود هذا القانون فى الطبيعة هو فى حد ذاته برهان علي وجود الله الذى نظم الكون على هذه النواميس ، أن يسكت كل متشدق بأن قانون الجاذبية يغنينا عن الايمان بالله ، ولكن هكذا شاءت حكمة الله ان يمد للانسان فى حرية الجدل وحرية الاختيار ، ليكون ذلك اساسا لمسئوليته .

فالكون والوجود كله من حول العقل اذن يكشف عن وجود الله وقدرته ، فاى مصنوع دليل على وجود صانعه ، وكلما عظم المصنوع ودق ، كلما عظم الصانع ، ولكن العقل الانساني وهو نفحة من روح الله ، متطلع ابدا ، متشوق ابدا للمعرفة الكاملة ، واليقين الثابت ، ولذلك فانه مع اقراره بأن الوجود من حوله يكشف عن خالقه ، فانه يظل يتساءل ، لماذا لا يتصل الله بالانسان اتصالا مباشرا ، لماذا وقد زود الله الانسان بالروح والقلب الواعي والعقل المفكر ، لا يخاطب الانسان خطابا مباشرا ، ليوجهه ويهديه ويرشده الى طريقه ، بدلا من أن يتركه نهبة للشك والقلق والضياع . بل ان الماديين والملحدين ليتخذون من هذه الحجة بالذات دليلا على انكار وجود الله – يقولون لو كان الله موجودا وهو الذى خلق الانسان لما تركه بدون هداية وارشاد .

وهكذا نرى أن الايمان بالله العادل الرحيم يستتبع على الفور بعثة الرسل ، ليبلغوا البشر عن وجوده ، وليرشدوهم الى سبيله ، وليبينوا لهم ما يرضاه وما لا يرضاه لهم من أعمال ومعتقدات .

ولما كان الله حقا كما قدمنا ، فان رسله حق كذلك ، فقد بعث الله بالفعل من بنى البشر اشخاصا يهدون الى سبيله ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقودون بني الانسان الى طريق الله .

فمن هم هؤلاء الرسل ، وما هي سماتهم ، وما هو السبيل للتحقيق من صدق رسالتهم ، وكيف يثبتون بمحض حياتهم وسيرتهم وأعمالهم وجود الله حقا وصدقا ، وانه هو الذى أرسلهم وكلفهم بأداء ما اضطلعوا به من رسالات ؟

وجريا على ما التزمناه من منهاج حتى الآن وهو أن لا نسوق القول بصيغة تقريرية ، وانما نتلمس السبيل اليه من خلال الاقناع عن طريق المشاهد والمتعارف عليه والثابت من تجارب الانسانية ، فسوف نستعرض حياة نموذجين من هؤلاء الرسل ، وهما المسيح عيسى ابن مريم ، ومحمد بن عبد الله (صلوات الله عليه) محاولين عن طريق الاستقراء اثبات رسالتيهما ، الى أن نعود فيما بعد للتحدث عنهما كجزء من تعاليم الاسلام ومبادئه الواجب اعتقادهما على كل مسلم .

العباقرة من البشر

تقول لنا المعارف الانسانية المتراكمة بين أيدينا عن تاريخ البشرية ، أنه قد ظهر فى كل

---

(١) من كتاب « فى الايمان والاسلام » للمؤلف .
والايمان الصحيح ينزه الله عن التحيز فى مكان . « الوعـي »

جيل ، وفى كل جماعة وفى كل أمة ، نفر من البشر يمتازون بالتفوق فى ضرب من ضروب النشاط الانساني ، ما بين رؤساء وزعماء وقواد وملوك وغزاة فاتحين من ناحية ، وما بين حكماء ومفكرين وفلاسفة وكتاب وشعراء وفنانين من ناحية أخرى ، وبعض هؤلاء الاعلام لم يؤثر الا فى محيطه الضيق ، والبعض الاخر تعدى أثره الى دائرة اوسع .

هذا النفر من اعلام البشر ممن يطلق عليهم اسم الابطال ويوصفون بالعبقرية ، يقول عنهم العلم الحديث ــ الذى يحاول أن يضعف كل شيء وأن يحلل كل شيء ويخضعه للتجارب العملية ــ انهم يجيئون ثمرة ناضجة لبيئتهم وعصرهم ، وتعبيرا عن النوازع والتيارات السائدة فى أيامهم ، فهم حصيلة الحضارة فى أى مجتمع من المجتمعات. فما من فيلسوف أو عالم أو مخترع او قائد أو زعيم وفنان ، من أى طراز كان ، الا ويمكن تحليل العناصر التي أدت الى نبوغه وتفوقه وسلوكه الطريق الذى سلكه ، وما على الانسان الا أن يبحث عوامل الوراثة ليضع يده على مصدر الموهبة او الاستعداد الطبيعي ، ثم عليه بعد ذلك ان يتتبع النابغة أو البطل فى حياته ، ماذا تعلم ؟ ماذا قرأ ؟ بمن تأثر ؟ ما هي الحوادث التي تعرض لها ؟ لكى يضع يده على العوامل التى كونت البطل .

فالبطل العبقرى، لا يعدو ان يكون نتيجة حتمية للمقدمات التي تكون منها ، انه مجموعة الارصدة والحسابات والمعادلات التي تتالف منها بيئته واسلافه .

انطواء الابطال فى بطون الكتب

وقد ترتب على أن أى بطل من الابطال ، هو نتاج عصره ، ومن صنع بيئته ، أن لا يكاد هذا العصر يطوى ، والبيئة تتغير حتى يصبح هذا البطل او العبقرى فى خبر كان ، فلا يعود له أثر يذكر فى الحياة الا باعتباره اسما او حادثا من حوادث التاريخ ، وما علينا الا أن نتساءل اليوم : كم من البشر البالغ عددهم اليوم ثلاثة آلاف مليون قد سمع عن اسم ارسطو أعظم عقل بشرى عرفته الانسانية ؟ والذين سمعوا باسمه هل يزيد ما سمعوه عنه شيئا فوق أنه كان فيلسوفا فى بلاد الاغريق ..

والقلة النادرة من الاساتذة التي تعرف كل شيء عن ارسطو ، هل فيهم من يحاول أن يكيف ابسط تصرف فى حياته على هدى ما كان يفعل ارسطو ؟ كأن يلبس كما يلبس ، أو يأكل كما كان يأكل ، فضلا عن أن يتزوج او يطلق على مذهب ارسطو وتعاليمه .

لو أن انسانا فعل ذلك لاعتبر مجنونا .. على الرغم من أن ارسطو قد وصف بأنه المعلم الاول ، وذلك لانه ذهب وراحت أيامه ، واذا كان هذا شأن ارسطو وافلاطون فكم بالاحرى يكون الموقف بالنسبة لمن هم دونهم شهرة ومكانة .

الحق أن أعلام التاريخ مهما عظم شأنهم ، ونبه قدرهم ابان حياتهم ، فانهم لا يكادون يموتون .. وينطوى عصرهم ، حتى يدخلوا الى زوايا النسيان بالنسبة لجماهير الشعب العريضة، وينعدم كل أثر لهم فى تسيير الحياة اليومية لبنى البشر ، ولا يعودوا يؤلفون سوى ذكرى بالنسبة للعدد القليل من الدارسين والباحثين والمنقبين، وقد يحتلون سطوراأو صفحات وربما فصولا كاملة فى بطون كتب التاريخ ، ولكنهم بالرغم من ذلك كله لا يعدون أن يكونوا ذكريات .

استثناء من القاعدة

على انه من بين هذه الالوف من العباقرة الذين جر الزمان عليهم ذيول النسيان ، ينفرد بضع نفر يعدون على أصابع اليد الواحدة ، لا يزالون يؤثرون فى الحياة اليومية لمئات الملايين من البشر على الرغم من انقضاء عشرات القرون على انقطاعهم عن هذه الدنيا ، والمشاهد والملحوظ أن هذا التأثير يتضاعف كلما تباعد الزمن بهم ، بل أن اعجب من ذلك ، أن أى انسان يلوذ بهم ، يأخذ بدوره نصيبه من التأثير والسلطان على

بنى البشر (١) ، وبهذا خالف هؤلاء الناموس الاجتماعي لبنى الانسان ، وهو أن يزول تأثير أي انسان بمجرد موته ووفاته .

وثمة ظاهرة أخرى بالنسبة لهذا النفر ،يشذون فيها بدورهم عن القاعدة التي يخضع لها سائر الابطال والعباقرة ، والتي تقول انهم ثمرة بيئتهم ، وحصيلة العوامل الوراثية والظروف المكانية والزمانية ، التي فرضت عليهم القيام بما قالوا به .. وانجاز ما انجزوه من أعمال .

فالباحث المنصف الامين لتاريخ هذا النفر ، يذهله عظم المفارقة بين ظروف ولادتهم وما ورثوه او تعلموه وتلقنوه ، وبين ما دعوا اليه وحققوه ، واثروا ولا يزالون يؤثرون به على كل تفسير أو تعليل علمي ، انهم اشبه ببراكين روحية أو زلازل انسانية لا مقدمات لها أو طلائع، او ارتباطبعصرها ومن هنا أثروا ويؤثرون وسيظلون يؤثرون على جماهير البشر العريضة ما بقيت السماء سماء ، والأرض أرضا .

عيسى ابن مريم

ولعل عيسى ابن مريم او كما يطلق عليه ((المسيح)) أول نموذج يساق للكشف عنخصائص هذا النفر من البشر فهو على ما تقول الاناجيل ، وهي الكتب المعتمدة بين اتباعه ، قد ولدته أمه فى احدى قرى فلسطين (بيت لحم) منذ ١٩٦٦ سنة ثم هربت به الى مصر خوفا من حاكم فلسطين ، ولم تلبث ان عادت بعد موت هذا الحاكم الى أرض فلسطين ، وذلك هو كل ما نعرفه عن طفولة المسيح ، وفجأة تحدثنا الانجيل عنه وقد أشرف على سن الثلاثين يدعو الى سبيل الله ، ويصف الله بأنه حب كله ورحمة كله ، ويدعو الى الزهد والتصوف وترك العنف ، والاخلاد للسلام والاخوة البشرية .

وقد جاءت هذه الدعوة الانسانية على نقيض كل المفاهيم التي كان يغص بها العالم اليهودى الذى خرج منه المسيح ، أو العالم الرومانى الذى كان يحكم فلسطين .

ويقول علماء المسيحية ، ان مدة دعوة المسيح مذ شرع يكرز فى جبال فلسطين وأوديتها ، حتى صعد الى الرفيق الاعلى ، لم تتجاوز العامين ، وأن تلامذته أو حوارييه الذين تابعوه على دعوته لم يزد عددهم على اثنى عشر حواريا ، لم يلبثوا أن نقصوا واحدا خان المسيح ، وباعه الىاليهود الذين كانوا يبحثون عنه لاعدامه بيد السلطات الرومانية .

والسؤال الان : آى سر ينطوى عليه هذا الانسان الذى لا يعرف عنه شيء ، ومع ذلك فلا يكاد يفتح فاه ببعض الحكم والمواعظ ، حتى ترتج الدنيا لما يقول ، بحيث يؤثر على البشرية فى هذين العامين اللذين دعا فيهما بدعوته بما لم يؤثر به الملوك والاباطرة والامبراطوريات كلها فى قرون وقرون من السنين .

بأى سر وبأية قوة خفية ، تحول هذا النفر من صحابة المسيح والذين كان بعضهم نجارا ، والاخر صيادا ، والثالث راعيا .. كيف تحول هؤلاء البسطاء الى قادة للبشرية ، وأصحاب السلطان على القلوب اولا ، والعروش والتيجان ثانيا . بحيث يزيد اتباع المسيحية اليوم على تسعمائة مليون نسمة فى العالم أى ما يقرب من ثلث سكان العالم .

ولا يجد الماديون ما يفسرون به هذا السر ، الا أن قصة المسيح كلها ليست سوى اسطورة من نسج الخيال ، وينسون انهم بهذا القول قد زادوا الامر تعقيدا ، فلماذا كانت هذه الاسطورة من بين سائر الاساطير هي التي حظيت بكل هذا الاهتمام من البشر وأثرت كل هذا التأثير ؟ ... وبأى سر استطاعت هذه الاسطورة أن تقضى على كل ما عرف البشر قبلها من اساطير ، وتتربع هي على عرش القلوب والارواح ، لماذا استطاعت هذه العقيدة أن تقتلع من النفوس العقائد السابقة عليها ؟ .

ومرة أخرى يحاول الوضعيون والماديون ، أن يجدوا لهم مخرجا، فيحدثونا عن شخصية المسيح غير العادية ، وقدرته على استهواء الجماهير ، بما فى نفسه من قوة الايحاء وعندنا أن ذلك كله تفسير للماء بعد الجهد بالماء ، فلماذا كانللمسيح هذه الشخصية الطاغية التى توثر على اللايين

---

(١) اعظم الناس شهرة وتأثيرا بعد الرسل ، هم حملةرسالتهم .



بعد موته ؟ .. لماذا كان هو من دون البشر أجمعين صاحب هذه الشخصية وصاحب هذا التأثير ؟ .

محمد بن عبد الله

وما يقال عن عيسى ابن مريم يقال عن محمد بن عبد الله ، الذى لا يعرف عنه قبل الرسالة الا أنه طفل عربى يتيم مات أبوه ، وهو لما يزل فى بطن أمه ، ولم تلبث أمه أن خلفته فى الحياة ولما يتجاوز بضع سنين ، فكفله جده عبد المطلب الذى لم يلبث أن مات بدوره فأخذه عمه تحت رعايته ، فنحن ازاء طفل وصبى وشاب قد رضع اليتم فى كافة صوره وأشكاله ، ولم يكن له من عمل بعد أن شب عن الطوق الا أن يرعى الغنم ، ثم اشتغل مع عمه فى التجارة وكان كالاغلبية الساحقة من قومه لا يعرف القراءة أو الكتابة ، ولم يكن فى مكة مسقط رأسه كبير حضارة او مدنية ، فانما هي حياة فظة خشنة جاهلية ، تصل الى حد ان يقتل الرجل ابنته ، وتعبد فيها أوثان قبيحة الشكل والمنظر . فاذا بمحمد بن عبد الله يطلع على هذه البيئة ، بل على الانسانية كلها بمبادىء وتعاليم لا تزال البشرية بكل دعاويها وغرورها عاجزة حتى الان عن تحقيقها ، فلا يزال التمييز العنصرى قائما وسط ارقى مجتمعاتها ، حيث دعا محمد بن عبد الله الى التآخى بين البشر لا فضل لعربى على عجمي ولا أبيض على أسود الا بالتقوى .. وحيث لا تزال البشرية تغص بالاحقاد والشرور والمفاسد ، جاء محمد يدعو الى السلام والمحبة والاخاء بين البشر على اختلاف اديانهم وجنسياتهم والوانهم منذ قرون ..

ولا يكاد يرسل دعوته ، حتى يعنو لها الزمان ، وتستسلم الحوادث ووقائع الدهور ، فتتوحد الجزيرة العربية التى لم تعرف قبل أيامه معنى الوحدة ، وتتداعى عروش القياصرة والاكاسرة كما لو كانت من قش أو ورق أمام وهج الدعوة الاسلامية ، وان هو الا قرن واحد من الزمان (حيث احتاجت المسيحية الى أربعة قرون) حتى كانت الدولة الاسلامية تمتد من حدود الصين الى ساحل المحيط الاطلسى ، حيث يرتفع صوت المؤذن خمس مرات كل يوم شاهدا بأن الله واحد ، وأن محمدا رسول الله.. واليوم وبعد أن زال سلطان المسلمين العسكرى والسياسى ، لا يزال الاسلام يبث تعاليمه ويتملك النفوس والارواح ، حتى ليناهز معتنقوه (٥٠٠) خمسمائة مليون من البشر .

ومرة أخرى يعرض السؤال نفسه ، بأى سر وصل محمد بن عبد الله ، العربى الامى الى كل هذا الاثر فى حياة البشرية ، لماذا استطاع دون غيره من كل من سبق أو لحق من العباقرة والاعلام ، أن يفرض سلطانه الروحى على الدول والجماعات والملوك والسلاطين لا أثناء حياته ، ولكن بعد أن مات وتوالت عليه القرون .

على كل متشدق بالعلم التجريبي والفلسفة الوضعية والنظريات المادية أن يقول لنا ، لماذا لم يكن فى البشرية كلها الا عيسى ابن مريم واحد ، ومحمد بن عبد الله واحد ، لينفردا بهذه الخاصية .. خاصية طبع البشرية بطابعهما وتكييف حياتها على أساس من تعاليمهما .

أهم آلهة ؟

لقد تقبلت جماهير الشعوب احد التفاسير التى قال بها غلاة المحبين والتابعين لهذا النفر من أعلام البشر من أنهم فى الحقيقة ليسوا سوى الله بذاته ، وقد تجسد على الأرض فى صورة انسان .

هكذا قال البوذيون المنحرفون عن رجلهم العظيم بوذا بعد موته (١) ، فاقاموا له الهياكل والمعابد وانشأوا له النصب والتماثيل حيث يعبد فيها

(١) سنعرض لموضوع بوذا والديانة البوذية فى ابحاثنا القادمة .

عبادة ويقدس تقديسا ، ويتقرب له بالصلاة والدعاء والقرابين .

وكما قال المسيحيون عن عيسى ابن مريم ، فصاغوا له هذه الدعوى العجيبة ، من انه ابن الله وقد ارسله الى الارض ، ليتالم ويعذب ويرفع على الصليب ليفتدى البشر ، ويكفر عن خطيئة آدم .

ولم يحل دون تاليه المسلمين لمحمد بن عبد الله بعد موته الا أن آيات القرآن جاءت تترى تؤكد بشريته ، وأنه عبد الله ورسوله ، ولم يدع الرسول صلوات الله عليه مناسبة من المناسبات، الا وراح يغرس هذا المعنى فى نفوس أصحابه ، حتى قال لرجل راح يرتجف فى حضرته من فرط هيبته « هون عليك فانا ابن امراة من قريش كانت تاكل القديد » .

فلولا هذا الصدق والنور الذى حمله محمد لجماهير المسلمين لفتنوا به كما فتن الذين من قبلهم ، ولاعتبروه الها وعبدوه من دون الله .

فلا معدى اذن امام الباحث الدارس لشخصيتي عيسى ومحمد وانفرادهما بهذا الاثر الذى أحدثاه ويحدثاه فى البشرية، أن ياخذ بهذا التفسير العامى الشائع من أنهما الله ، أو أن ياخذ بتفسير الصادق الامين سيدنا محمد ، من أنهما بشر كبقية البشر ، ولكن الله اصطفاهما كما اصطفى بضع نفر من قبلهما لابلاغ رسالته للعالمين .

هل يمكن الا أن يكون محمد بن عبد الله صادقا

وهل يمكن أن يكون سيدنا محمد الذى احدث كل هذا الذي احدث ، والذى جاء بدين يهيمن على كل الاديان السابقة عليه ، واخرج مئات الملايين من البشر من ظلام الشرك والوثنية الى نور التوحيد والايمان ، وحمل لبنى الانسان قرآنا عربيا تعبد به الناس ويتعبدون وسيظلون يتعبدون به الى قيام الساعة ، أيمكن ان يتصور العقل أن فاعل ذلك الخير كله يمكن الا أن يكون صادقا امينا ؟ الحق أنه لا يمكن الا أن يكون الصدق ذاته وما هو فوق الصدق ، فاذا قال انه قد تلقى وحيا من رب العالمين وأنه جاء الى الناس كافة لابلاغ رسالة الله ، فمن الذى يستطيع ان يقول ان ذلك كله كان كذبا ومينا وخداعا ووهما واستغلالا لاهواء الجماهير الا أن يكون ملتاث العقل والضمير ، أعمى العينين والقلب ، مريض النفس والجسد . ان الكذب هو الصفة التي ينفر كل طبع سليم من الاتصاف بها ، وأى انسان مهما انحط شأنه يغضب اذا وصف بالكذب ، فاعجب لمن يتطاولون على أعلى ذرى الكمال الانساني ، ليصفوا قوله بالكذب ، والحقيقة تشهد ، والله يعلم أنهم هم الكاذبون مهما غلفوا أقوالهم بمعسول الاقوال ، وادعوا العلم ونزاهة البحث ، وفلسفة التجريب ، والعلم والنزاهة والتجربة منهم براء ، وليست هذه الاقوال الحارة التي تختلف عن اسلوبي ومنهجي فى البحث الا ترجمة متواضعة لما عبر به كاتب غير مسلم ، وهو الانجليزى الشهير توماس كارليل ، عندما ثار فى وجه قومه من المتعصبين ضد الاسلام ونبى المسلمين ، فقال لهم فيما قال فى كتابه « الابطال » (1)

« لقد أصبح من أكبر العار على أى فرد متمدين من أبناء العصر ، أن يصغى الى ما يقال من أن دين الاسلام كذب ، وأن محمدا خداع مزور ، وقد آن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الاقوال السخيفة المخجلة ، فان الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرنا لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا ، خلقهم الله الذى خلقنا ، أفيظن أحدكم أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والاحصاء كذبة وخدعة ؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأى أبدا ، ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق

(1) كتاب الابطال – ترجمة محمد السباعي

الله هذا الرواج ، ويصادفان مثل هذا التصديق والقبول ، فما الناس اذن الا بله ومجانين ، وما الحياة الا سخف وعبث وأضلولة كان الأولى بها الا تخلق » (١) .

وعندنا أن كارليل كان يجب أن يمضى فى منطقه الرائع حتى نهايته ويرد عليهم بمنطقهم ، فلو أن محمد بن عبد الله بكل مجده وبهائه ، كان كاذبا فيما ادعى من أنه رسول رب العالمين ، ومع ذلك انطلى خداعه وكذبه على كل هؤلاء الملايين الذين آمنوا به بعد وفاته ، فما الذى يضمن أن لا يكون ذلك شأن رسل المسيح الذين أبلغوا رسالته الى شعوب الدنيا ؟ !!

ان الشك فى صدق محمد ، يستتبع على الفور الشك فى أى انسان آخر فلم يعرف البشر انسانا بلغ قدر محمد ، وانهيار رسالة محمد يستتبع على الفور انهيار كل رسالة اخرى ، فقضية الرسل جميعا هي قضية واحدة اما أن تقوم أو لا تقوم ، وهو ما حرص الاسلام فى تعاليمه على تقريره ، كما سنرى فابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وعيسى وغيرهم من النبيين الذين نعرف أسماءهم وما لم نعرف ، كلهم جاءوا بالحق والنور المبين ، أما الخلافات والانحرافات ، فهي من صنع البشر غيرالمعصومين ، وقد جاء الاسلام ليصحح الاخطاء التى تردى فيها بعض البشر ، وليجلى الحق الذى قال به الانبياء والرسل من قبل ، ومن هنا حق للاسلام كما سوف نرى ، أن يكون خاتم الرسالات كلها ، لأنه جاء كاشفا عن جوهرها الواحد ، ودعوتها الحقة .

وليس الآن مجال الاستطراد فى هذه الناحية ، وحسبنا أن نصل الى ختام هذا البحث من أن ما يتطلبه العقل من اتصال الله الخالق بالبشر عن طريق بعثة الرسل ، قد تحقق بالفعل ، وأشرق فى سماء الانسانية بضع نفر من الاعلام ، أعلنوا أنهم رسل رب العالمين ، وقد أيدتهم الحوادث وصدقتهم الأيام ، وتهيأ لهم من السلطان الروحي على نفوس البشر ، ما لا يشاركهم فيه انسان آخر ، فحق الايمان بهم وتصديقهم فى كل الذى قالوه وبشروا به ، فليس من المستساغ أن يصدق بعض الذى قالوا ، ولا يصدق البعض الآخر ، وليس من المقبول أو المعقول ، أن يصح كلامهم فى جزء ولا يصح فى البعض الاخر ، فهو لا يمكن الا أن يكون صحيحا كله ، وصدقا كله .

فاذا طلبوا منا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وما يستتبعه ذلك من بعث ونشور وحساب وجنة ونار فقد وجب الايمان والتصديق بذلك كله ، ما دام القائل بذلك من أهل الثقة الذين شهد الزمان بصدقهم .

ونحسب أن موضوع الايمان بالملائكة لا يثير كبير صعوبة فى فهمه وادراكه .

وكذلك الايمان بالرسل السابقين ، وقد رأينا كيف أن الايمان ببعضهم يستتبع حتما الايمان بالآخرين من حيث أن القضية واحدة ، وكذلك الشأن بالنسبة للكتب ، أو بالأحرى التعاليم التي جاء بها كل رسول ، كل ذلك لا يثير صعوبة فكرية من أى نوع كان ، لأنه تطبيق لمنطق الاشياء .

وانما تبدأ الصعوبة الفكرية بعض الشيء ، عندما يدور الايمان حول اليوم الآخر ، وما يستتبعه من بعث ونشور بعد الموت وحساب وجنة ونار ، مما يوصف بالغيبيات التي يتعين على المؤمن أن يصدق بها ، دون أن يلتمس الدليل العقلي على ثبوتها ، وعندنا أن هذا القول ان جاز بالنسبة للاقدمين ، حيث كان علمهم محدودا .. فهو لم يعد جائزا فى عصرنا الحديث ، حيث انكشف لنا من العلم ، ما يجعل موضوع البعث والنشور بعد الموت مسألة تكاد تلمس باليد ، وتثبتها التجربة كما سنبين ذلك فى مقالنا التالي ان شاء الله .

---

(١) اذ اننا نبيح لانفسنا ان ننقل بعض العبارات عن الكتاب من غير المسلمين فذلك لانه أبلغ فى الدلالة من ناحية فالفضل ما شهدت به الاعداء .

بقية الرسم العثمانى للمصحف

رضوان الله عليهم ، حتى قال علي بن ابى طالب ـ كرم الله وجهه ـ . « لو وليت لفعلت فى الصحف الذى فعل عثمان » .

وقد امر بعد ذلك بكتابة مصحف لاهل المدينة ، وآخر لاهل مكة ، وثالث لاهل البحرين ، ورابع لاهل اليمن . وقد نقل الجعبرى عن ابى على ان عثمان امر زيد ابن ثابت ان يقرىء بالمدينة ، وبعث عبد الله بن السائب مع المكى والمغيرة بن شهاب مع الشامى ، وابا عبد الرحمن السلمى مع الكوفى ، وعامر بن عبد قيس مع البصرى ، ولم يعرف من بعث مع اليمنى او البحرانى ، ولهذا انحصر الائمة الخمسة فى السبعة الامصار .

قال الجعبرى . « والاعتماد فى نقل القرآن على الحفاظ ، ولهذا انفذهم الى اقطار الاسلام للتعليم ، وجعل هذه المصاحف اصولا ثوانى حرصا على الانقاذ ، ومن ثم ارسل الى كل اقليم المصحف الموافق لقراءة قارئه فى الاكثر »

ويفهم من كلام الجعبرى ان بين المصاحف شيئا من الاختلاف فى الرسم ، وهو صحيح ، ولم يكن غرض عثمان ـ رضي الله عنه ـ منع الناس من قراءة القرآن بالقراءات المروية بالتواتر ، وحملهم على الاقتصار على لغة قريش ، وتضييق ما وسعه الله على عباده من الاذن لنبيه بأن يقرئهم على الاحرف السبعة تسهيلا لهم ورحمة بهم ، بل غرضه الضرب على ايدى من يتشبث بما وصل اليه ، ويحجر على الناس القراءة بما وصل اليهم ، ويقول . « قراءتي صواب وقراءة غيري خطأ » ووضع حد ثابت لقبول الروايات ، فكل رواية لا تنطبق على مرسوم المصاحف العثمانية يضرب بها عرض الحائط ، ولا يجوز القراءة بها ، ولذلك قال ابو محمد مكى . « لقد سقط العمل بالقراءات التي تخالف خط المصحف ، فكأنها منسوخة بالاجماع على خط مصاحف عثمان » .

ولو كان عثمان امر باتباع حرف واحد لما جاز لنا ان نخالفه ، فان عرفنا عينه اخذنا به ، وان لم نعرفه اقتضت قاعدة الحظر والاباحة عدم جواز القراءة بأى حرف كان ، اذ لا حرف الا وهو محتمل ان يكون غير مراد ، فهو محتمل للمنع .

وما ظهرت هذه المصاحف الا وقد تقاطر عليها الناس لنسخها ـ كما هي ـ من غير تغيير فى شيء ، حتى الحروف المخالفة لاصول الرسم القياسى .

وكانت الكتابة فى ذلك العهد خلوا من نقط الاعجام ومن الشكل بأى طريقة كانت ، فكانت مصاحف عثمان كذلك ، وكان المرجع فى القراءة الى المقرئين الذين انفذوا الى الاقطار ومن تلقى تلقى عنهم .

وأول من وضع الشكل ابو الاسود الدؤلى بطلب زياد بن سحية ، عامل معاوية ، فوضعه نقطا حمرا فوق الحروف وتحتها وعن يمينها .

وأول من وضع نقط الاعجام نصر بن عاصم الليثي مستعينا بأستاذه يحيى ابن يعمر العدواني بطلب الحجاج عامل عبد الملك بن مروان .

وأول من غير النقط الحمر الى الحروف الصغيرة الخليل بن احمد الفراهيدى بعد انقراض دولة بني امية .

ومن هذا نعلم ان مصاحف عثمان كانت صالحة لان تقرأ على اوجه شتى حسب ما يحتمله رسمها ، فكانت الرواية هي المخصصة لبعض هذه الاوجه دون بعض ، وبسبب تعدد الروايات تعددت القراءات .

من حقائق الدعاء

وقال ربكم ادعوني أستجب لكم

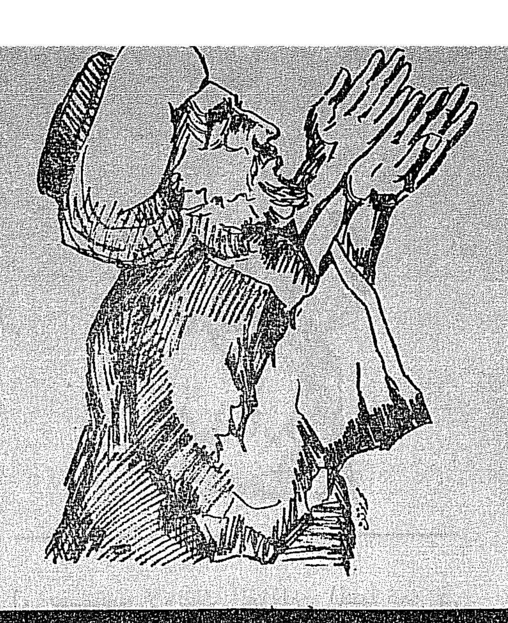
يقول عمر رضي الله عنه ، أنا لا أحمل هم الإجابة ، وإنما أحمل هم

كلام أصيل نفيس ، فليس كل دعاء مجابا ، فمن الناس من يدعو أن يأخذ الله ذلك الذى يزحمه فى سوق المنافسة على العيش ، أو ذلك الذى يسبقه الى قلوب الرؤساء ، ومرضاة السادة ، وكل دعاء من هذا القبيل لا يجاوز الى الله شفتي قائله ، فالدعاء مخ العبادة كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وليس من العبادة أن يستدبر الانسان وجه الله ويزهد فيما عنده ، ثم يدعوه بمثل هذا الدعاء الباطل .

الدعاء مخ العبادة ، أى سرها ، ورحيقها .. وحقيقة الدعاء : انها ذلك الشعور الرقيق ، الذى تقبل به على الله فى صفاء ، تعلن به عبوديتك له ، واعترافك به ، وحاجتك اليه ، وعجزك بين يديه ... حاجتك الى المزيد من كمال النفس ، وعزائم الخير ، ومنازل الصدق .. وعجزك عن مجاهدة النفس ، ومدافعة أسباب الفتنة والغواية ، لتقوى به على ما تريد من العصمة والسير على مناهج الحق .

ذلك الشعور الرقيق الذى يقبل بجوارحك كلها على الله ، ما ظهر منها وما خفي ــ هو مخ العبادة ، أى حقيقتها ، وخلاصة نورها .. لأنك باقبالك هذا عليه ، انما تدعوه بكل ما فيك . تدعوه باشراق الذهن ، وشوق السريرة ، ونبض القلب ، وخلجة العاطفة .. وهى حال لا تكون معها شخصا مؤلفا من لحم ودم ، بل أنت ــ اذا ــ وجدان راق يسرى فى ضمير الكون ، ويمتزج بما فيه من أسرار الجمال والقوة والخير ، وتكون بها أقرب ما تكون الى الله ... ويكون الله أقرب ما يكون اليك ... وسواء عليك فى هذه الحالة أدعا لسانك بما تريد ، أم أكننته فى نفسك ، فالله سبحانه مجيبك الى ما هتفت به سريرتك اليه من خير .

الدعوة سهم من سهام الله ، فاذا نزعت عن جوانح ناظرة الى الله ، راغبة فيما عنده لم يكن لها سوى عرش الله محل ... أوى عمر يوما الى كومة من الرمل بعد أن أجهده الطواف والسعى فى مصالح المسلمين ، فلما وجد مس



للاستاذ البهي الخولي

الدعاء، فاذا الهت الدعاء كانت الإجابة معه

الراحة على الرمل قال ((**اللهم قد كبرت سنى ، ووهنت قوتى ، وفشت رعيتي فاقبضنى اليك غير مضيع ولا مفتون ، واكتب لى الشهادة فى سبيلك ، والموت فى مدينة رسولك**)) . . .

فخبرنى بربك أى شىء فى هذا الدعاء تنظر اليه معدة عمر أو جيبه أو شهوته الدنيا ؟ . . انها الهمم الرفيعة ، والنفوس الكبيرة أبت أن تتقوم آمالها بشيء من عرض هذاالادنى ، كثيرا كان أم قليلا . . هذا الرجل الكبير لم يقل هذا الدعاء الناصع الرائع ، وهو فى أعماق عزلة من الناس ، أو صومعة فى رؤوس الجبال فارا اليها من معترك الحياة ، وانما قاله وهو يسوس الشرق والغرب ، وهو مجهد من السعى فى مصالح المسلمين .

ماذا يرجو عمر من الله ؟ انه يشكو اليه ضعف قوته ، وثقل اعبائه ، ويدعو أن يعصمه من الفتنة ، وتضييع الرعية . . . وأى فتنة لمن هو فى مثل موقفه ، والمال بين يديه ، يكال بالكيل ، ولا يحصى بالعدد، والجاه والنفوذ فى اشارة من اشاراته ؟ ! . . وهل يفتن امرؤ فى مثل هذا الا أن تراوده الدنيا بالمال عن نفسه وهمته ومثله العليا ؟ أو أن يطيش حلمه ويسفه رأيه بما معه من الجاه ، فيدل على الناس بجاهه وعزة منصبه ، وتروج لديه سوق الرياء والنفاق والملق الوضيع ؟ . . وهل تضيع الرعية الا بهذين ، أو واحد منهما ؟ .

وأخيرا فهو يسأل الله الشهادة فى سبيله ، والموت فى مدينة رسوله . وان فطنتك ورهافة حسك لمدركة جمال العناية فى الشهادة فى سبيل الله ، ومدركة صفاء تلك العاطفة حين تسيل حبا وحنينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فاذا لم يسمع الله الى خلجات تلك الجوانح ، وهمسات هذه السرائر فلمن يسمع ؟ . . أيسمع للملحدين المطموسين، الذين لا يدرون من سر وجودهم شيئا ،



أو يسمع لأولئك الغافلين المتمرغين فى أوحال المادة والمنافسة عليها ؟ .

تلك جوانح شف عنها الغطاء ، ففدت مقادير الله تلقى عليها ما يشبه الظلال ، أو الضياء .. فلا تلبث أن تستحيل فى فطرتها الصافية الى مشاعر ملهمة ، تنطق اللسان أو تلهمه أن يدعو الله ، فاذا الدعاء ترجمة لتلك الظلال ، وارهاص بما شاء الله من مقادير .. وحين يتردد الصدى بين مقادير الله ، وجوانح المؤمنين ، ويعمر الافق بما بين هذين الطرفين الكريمين من تجاوب ، فهى ساعة الاجابة ، وهى ساعة الهام الدعاء ، وهى ما يقول عنه عمر « فاذا الهمت الدعاء كانت الاجابة معه » .

وكل انسان يستطيع أن يدعو ، ولكن العبرة ليست بالدعاء ، بل بالشعور الباعث على الدعاء ، وهو شعور تهتف به الجوانح ، عندما يسطع عليها ظل من ظلال المقادير الوشكة ، وليس فى طوق بشر أن يصنع ذلك الشعور ، لانه ليس فى طوق بشر ان يتصرف فى ظلال تلك المقادير ، وهو ما عناه عمر بقوله « أنا لا أحمل هم الاجابة وانما احمل هم الدعاء ... » فالاجابة قرينة الدعاء لا محالة .. ولكن أنى لنا بالقدر الذى يلهم الدعاء ويحفز اليه ؟ ذلك ما يحسب له عمر الحساب كله .

وما دامت الهمة منوطة بحوافز الدعاء ومثيراته ، فالسبيل الى هذا الدعاء الصالح أن تستقبل وجه الله فى كل شىء، وفى كل حال ، ولا تنظر الا الى ما عنده من مثوبة وكرامة ومنزلة .. ذلك فى نظر الناس سيرة طيبة ، وهمة عالية ، وخلق فاضل عاطر ، ولكنه بالنسبة لك رقى فى منازل الكمال ، وتنقية وتهذيب ، فيغدو لك مع أسرار هذا الوجود تجاوب .. لا أقول تعلم الغيب ، ولكن أقول : تجاوب رقيق عميق ، به الهام ومشاعر طيبة مباركة ، تنهض الى خير العمل ، وتوحى بأطهر النيات ، وتلهم الكلم الطيب ، والدعاء الصالح ...

لا يكون صاحب هذه السريرة بشرا مغلقا مطموسا ، تمر به نفحات هذا الكون وأسراره ، كما تمر النسمة الرقيقة بالصخرة الصماء ، بل قلبا هينا لينا ، وبصيرة مستقبلة متأثرة متجاوبة ، فهو ممتزج بالوجود ، والوجود ممتزج به .

ولكن ماذا فى هذا الامتزاج والتجاوب؟

فيه أشياء كثيرة لا نعرض لها الآن فى هذا المقام . ولكن من هذه الاشياء أن الاحداث بخيرها وشرها حين تقع له ، لا تقع منه موضع المفاجأة . لا لأنه كان يعلمها من قبل ، بل لأن امتزاجه بروحها وسرها الغامض جعل نفسه فى مقام التهيؤ لكل طارىء ، فلا يطير به الفرح اذا طالعه ما يسر .. ولا يحطمه الحزن اذا نابه ما يسوء ، وذلك من جلال الخلق وعظمة النفس .. وأحب أن أرقى بك الى غير هذه فأقول ان اتصال سريرتك بروح هذا الوجود ، وامتزاجها بسره ، قد يدق ، ويلطف ، ويزداد حتى يزداد أنسها بالقدر الذى يسوء ، فاذا هو فى نفسك نعمة مرجوة ، وطلبة منشودة تسألها الله فى دعاء حار ..

من منا يا أخي يحب أن يطعن فى بطنه بخنجر طعنات قاسيات ، تمزق أحشاءه حتى ينذلق منها الطعام والشراب ؟... هذا الحادث القاسى الذى تقشعر منه الابدان ، كان جنينا فى ضمير قدر من اقدار الله التي خبأها لعمر . ولكن

امتزاج عمر بحقيقةالوجود ونفوذ أسراره الخفية الى نفسه الملهمة ، كان منه أن سطع هذا القدر فى أشراق حلو على قلبه ... لم تكن صورة هذا القدر واضحة لمفهوم معين ، ولكنه كان اشراقا حلوا هتفت به الجوانح وترجمه اللسان « اكتب لي الشهادة فى سبيلك والموت فى مدينة رسولك » دون أن يدور بخلده على أى صورة يكون هذا الاستشهاد ..

نموذج آخر : النعمان بن مقرن

واستمع الى نموذج آخر ممن طهروا جوانحهم من أن تلصق بها أوساخ المادية، ذلك « النعمان بن مقرن » يستعمله عمر على ناحية اسمها (كسكر) يجمع الزكاة من أهلها ، وهي شيء كثير ، وليس على النعمان فى ذلك رقيب ولا أمير ، ولا عمر الذى تنأى به المراحل والمفاوز عن (كسكر) .. فهو وحده الذى ينظر فى مال الناس ، ليفرض على كلٍّ ما يشاء من الزكاة . ان شاء استوفى وبالغ ، وان شاء طفف وترك .. وليس معه دواوين ولا دفاتر تحفظ ما يأخذ وما يدع ، ولا هو يعطيهم على نفسه وثائق بما أدوا من حقوق الله .

رأى النعمان ذلك ، ورأى المال الكثير والدنيا العريضة تتزين له وتراوده ، فاستعصم وتماسك ونأى بجانبه .. ولكن المال الذى لا حارس له استمر يطرق على قلبه فى اغراء وغواية .. ويستعيذ النعمان بالله من هذه الفتنة الملحة التى ألقاه عمر فى تيارها فكتب اليه « **يا أمير المؤمنين ان مثلي ومثل (كسكر) كمثل رجل شاب عنده مومسة تتلون له وتتعطر ، واني أنشدك الله لما عزلتني عن (كسكر) ، وبعثتني فى جيش من جيوش المسلمين ...** » .

وكم كان بودى لو أقمنا طويلا على هذا المثل نتأمل عمق العبرة فيه ، ونقارن بينه وبين حال كثيرين من اولئك الذين فرغوا من حساب الشرف ، والخلق ، والكرامة ، ليخلص لهم المال قذرا ملوثا بأبشع ما يقشعر له الضمير من جرائم الضعة ، وامتهان القيم الرفيعة ، ونرى النكسة البشعة التى أصابت الانسانية فى خلقها ومثلها العليا .. فهذا الرجل القديم لو أخذ واختلس وخان لما أحس أحد أخذه واختلاسه وخيانته .

ولن تكلفه الخيانة مع ذلك أن يصانع أحدا ، أو يحتال لها فى اخفاء أمره ، بل كانت تتم بأيسر مؤونة دون أن يأبه لها أحد ، أو يرتاب فى أمرها انسان ... ولكنه يرفض الرذيلة لذاتها ، لا لخفائها عن أعين الرقباء .. ثم انظر الى مرامى همته . فهو يطلب الاقالة من عمله ، لا ليخلد بعدها الى الراحة والعافية فى عقر داره ، بل طلب أن يبعث الى جيش من جيوش المسلمين ! !

كان بودنا لو نطيل المقارنة هنا ، لنظهر الفرق بين تلك الكواكب الدرية ، وهذى الخنازير الجرباء التى تدأب الدهر فى القاذورات تدهدهها بأنوفها ، ولكن شاهد العبرة ينتظرنا عن قريب ، ويعجلنا عما نريد من كل ذلك .

لقد أعجب عمر بهذا الضمير الذى لا يريد لصاحبه أن يعيش لصا ، وبتلك الهمة العالية التى نبذت مساومة المال الى ميدان المصاولة والنزال .

ورأى عمر ببصيرته أن تلك النفوس المطهرة ، الموصولة حقا بنور الله ، خليقة بأن ينزل عليها الله سبحانه نصره ، ويختارها مظهرا لكرامته فى خلقه .. فكتب اليه أن يسير الى « نهاوند » وأن يكون أميرا لجيشها ..

أنظروا أيها القراء بعد ذلك الى هذا القائد القدوة ، كم كانت تساوى الحياة فى هذه الارض لديه ؟ **لقد قال لجنده : انى سأهز الراية ثلاثا ، أما الاولى فليقض الرجل حاجته وليجدد وضوءه .. وأما الثانية فلينظر الرجل شسع نعله ، ويرم من سلاحه .. فاذا هززت الثالثة فاحملوا .**

البقية على ص ٣٧

التوكل على الله

ليس التوكلُ سُبْحةً   وهراوة ومرقّعَه

ولحى تطول وصيحةً   بين الخلائقِ مُفْرعَه

وتماوتاً وتعارضاً   وبطالةً مُتَسكّعَه

ويدا تُمد بذلةٍ   وبنبرةٍ متفجعَه

لكنه عملٌ إذا   ما دامَ أثمرَ منفعَه

عمل يصون مروءةً   ويقيك من عارِ الضعَه

يجد الكدوحُ لنفسهِ   عيشاً به ولِمَنْ معَه

من أسرةٍ يُعْلِي بهَا   بَيْنَ البرايا أربُعَه

إن الشعوبَ أساسهَا   أسرُ تجنب مَضْيَعَه

والفردُ يبذلُ جهدَه   في معملٍ او مزرعَه

منه التسببُ أولاً   بمواهبٍ متنوعَه

وعلى الالهِ نجاحُه   ان جدَّ فيما أزمعَه

هذا توكلُ مؤمنٍ   اللهُ ـ حقاً ـ شرعَه

لا من يمنّي نفسَهُ   وينامُ في ظل الدعَه

مترقباً ما لا يكو   نُ ولا يحققُ مطمعَه

للاستاذ المدني الحمراوي
وزارة العدل المغربية ـ الرباط

الا بسمحٍ مفلحٍ   وبهمةٍ مترفعَه

فالله زود عبدَه   خيرَ الأداةِ ومتعَة

إن كانَ أحسنَ صرفها   أجدى عليه وشجعَه

وإذا تجاهلَ سرهَا   كانَ التحسرُ مرجعَه

★ ★ ★

يامن توكل قاعداً   احذرْ هواكَ ومرتَعَه

واعملْ فقد أوتيتَ منَا   لاينبغِي ان تدفَعَه

عقلاً يدلك نورُهُ   وجوارحاً لك طيعَه

فاذا عَمِلتَ فقد أصبْتَ من التوكلِ موضعَه

وإذا قنعت بمنيةٍ   لم تغدُ إلا إمّعَه

رضي الهوانَ لنفسهِ   ولقومه وتجرعَه

ونفَى مزيةَ نوعِهِ   ونفىَ الحجَى اذ ضيعَه

فكفاك أنك ناشزٌ   يبغي لعقل مصرعه

يحيي بفكرٍ ميتٍ   كالماشياتِ بأربعَه

مائدة القارئ

الفكر والحق

الحق يحيا بالقوة ...
والقوة تحيا بالتدبير ..
والتدبير يولد الفكر ..

أمانــة

مر عبد الله بن عمر على راع يرعى غنم سيده فأراد أن يمتحنه .

قال له : هل من جزرة .

قال الراعي : ليس ها هنا ربها .

قال عبد الله : تقول له . ان الذئب أكلها .

قال الراعي : اتق الله .

فسر ابن عمر واشترى الراعى من سيده وأعتقه ثم اشترىالغنم ووهبها.

فــن

قيل لعنترة : أأنت أشجع العرب وأشدهم ؟ .

قال : لا .

قيل : فلماذا يقول عنك الناس هذا ؟ .

قال : كنت أقدم اذا رأيت الاقدام عزما ، وأحجم اذا رأيت الاحجام حزما ، ولا أدخل موضعا الا أرى منه مخرجا ، وأقصد الضعيف الجبان فأضربه ضربة يطير لها قلب الشجاع فانثنى عليه فاقتله .

أصناف الرجال

قال الخليل بن أحمد :

الرجال أربعة :

١ ـ رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك هو العالم فسلوه .

٢ ـ ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك هو الناسى فذكروه .

٣ ـ ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى فذلك هو الجاهل فعلموه .

٤ ـ ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك هو الأحمق فابغضوه .

سبيل المجد

قدم الأحنف الكوفة فى أيام مصعب ابن الزبير فرآه رجل أعور قصيرا دميما أحنف الرجلين فقال له : يا أبا بحر بأى شىء بلغت فى الناس ما أرى فوالله ما أنت بأشرف قومك ولا أجودهم .

فقال الأحنف : يا ابن أخي بخلاف ما أنت فيه .

قال الرجل : وما هو .

قال : تركى من أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمرى ما لم تتركه .

قصيدة قديمة

ألهى بنى جشم عن كل مكرمة
قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يفاخرون بها مذ كان أولهم
يا للرجال لفخر غير مسئوم

ان القديم اذا ما ضاع آخره
كساعد فله الدهر محطوم

علـــم وعمـــل

قال يحيى بن خالد لشريك ـ علمنامما علمك الله يا أبا عبد الله . فقال له شريك . اذا عملتم بما تعلمون علمناكمما تجهلون . أى أنه لا فائدة للعلم بــلا عمل . وان العمل بالعلم القليل ينميهويجعله كثيرا . فــلا عبرة بكثرة العلم اذن وانما العبرة بان تعمل .

ويوشك أن يكون هذا هـــو معنـــىالحديث الشريف ((من عمل بما عـــلم أورثه الله علم ما لم يعلم)) .

حضارة الاسلام

قال الدكتور ((انسباند)) الايطالى فى كتابه ((الاسلام وسياسة الخلفاء)) ان الكـــرم العلمى والصدقة الفكرية صفتان من صفات الاســـلام شأنهما أن تجعلا الأمة العاملة بهذا الدين أهـــلا لأن تبلغ من الحضارة ذروتها العليا .

لباقـــة

أقبل أعرابى يطلب رجلا وبين يديه تين ففطاه بكسائه وجلس الأعرابي فقال له الرجل هـــل تحسن من القـــرآن شـــيئا ؟ قال : نعم وقـــرأ ((والزيتون وطور سنين)) فقال الرجل وأيـــن التين ؟ قال : هو تحت كسائك .

صناعات أبنـــاء الملوك

روى ابو عمر بن عبد البر أن عبد الملـــك بنمروان قال يوما لبنيه يا بنى لو عداكـــم ما انتم فيه ما كنتم تقبلون عليه ؟

قال الوليد اما انا ففارس .

وقال سليمان أما أنا فكاتب سلطان

فقال ليزيد فأنت .

فقال والله يا امير المؤمنين ما تركا حـــظالمختـــار .

فقال عبد الملك فأين انتم يا بنى من التجارةالتى هي اصلكم ونسبكم

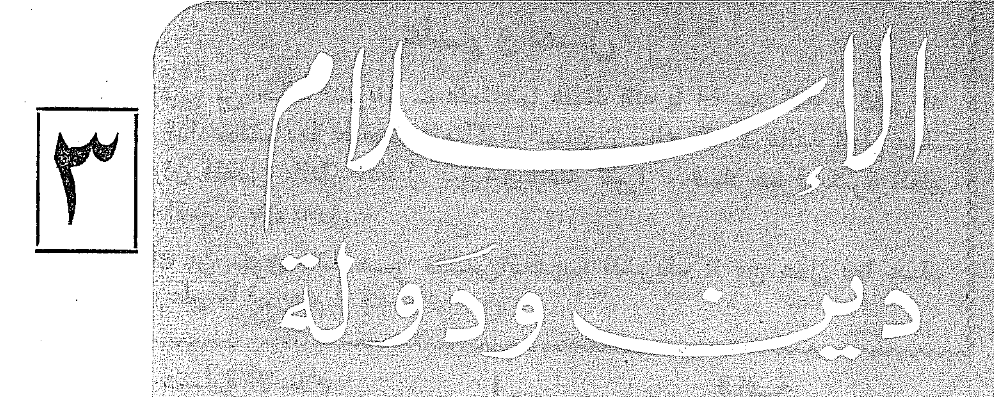
قالوا تلك صناعة لا يفارقها ذل الرغبة والرهبةولا ينجو صاحبها من الدخول فى جملة الدهماء والرعية

فقال عليكم اذن بطلب الادب فان كنتم ملوكاســـدتم وان كنتم وسطا رأستم وان اعوزتـــكم المعيشـــة عشـــتم .

رد مقنـــع

قـــال زياد لأبى الاسود الدؤلى لولاأنك قد كبرت لوليناك بعـــض اعمالنـــا فقال ان كنت تريدنى للصراع فليـــسعندى كفاية ، وان كنت تريد رأيـــى وعقلى فهما اوفر مما كانا .

وقيل لأبى الاسود ايضا انت واللـــهظرف لفظ ، وظرف علم ، وظرف حلم ((أى وعاء لكل ذلك)) غير أنك بخيل ،فقال وما خير ظرف لا يمسك ما فيه .



الشريعة الإسلامية جاءت بأمثل النظم لكلا الأمرين ، وهي من الشمول والسعة بحيث تصلح للحكم في كل زمان ومكان وتفضل القوانين الوضعية

للمستشار علي علي منصور
الرئيس السابق لمحكمة الاستئناف بمصر

تمهيد

بينا فى المقال الأول (١) كيف دخلت القوانين الوضعية البلاد العربية الاسلامية ، وكيف طغت على الشريعة الاسلامية وزحزحتها عن مكان الصدارة وحولتها مصدرا ثانويا .

وفى المقال الثاني (٢) تكلمنا عن مكانة الشريعة وتفوق الفقه الاسلامي على الفقه الوضعي مستدلين بأن معظم النظريات الغربية الحديثة مأخوذة عن شريعتنا . ثم تكلمنا عن دعائم الشريعة الاسلامية التي أهلتها لتفوق الاكتمال والتميز بالسبق .

وها نحن نتابع البحث : ـ

أطوار التشريع الاسلامي

ولقد مرت الشريعة الاسلامية بعصور واطوار مختلفة .

أولها ـ طور التشريع :

ومدته ٢٣ سنة هي مدة البعثة النبوية ، ومصدر التشريع فيها الكتاب والسنة .

والطور الثاني :

طور الاجتهاد ويذهب البعض الى أن مدته ثلاثة قرون بعد لحوق المصطفى بالرفيق الأعلى ، وهو اجتهاد الصحابة والتابعين ، وفقهاء الأمصار ، وهنا ظهر مصدران آخران للشريعة هما : الاجماع والقياس . ويذهب فريق آخر الى أن الاجتهاد امتد الى القرن العاشر الهجرى . وعلى كل حال ففي القرون الثلاثة الأولى بعد الهجرة وضعت تلك الثروة الضخمة من الفقه الاسلامي ، حتى أنهم فرضوا المستحيلات وافتوا فيها وتبلورت المذاهب الفقهية المختلفة .

الطور الثالث :

وهو دور التقليد ، وقيل انه يمتد الى الآن ، ولم يخل من بعض المجتهدين كابن تيمية ، وهو ينتسب الى مذهب الامام احمد ، وابن حزم وينتسب أصلا الى الظاهرية .

وفى هذا الطور حيث قفل باب الاجتهاد ، رجع العلماء الى الفقه القديم فنقلوه ، اما فى مبسوطات ، واما فى كتب وسيطة ، أو فى كتب مختصرة ، سميت (بالمتون) واكتفى العلماء أخيرا بحفظها ، ثم اهملت المبسوطات .

وكان قفل باب الاجتهاد دون قفل باب الحوادث والاحداث ، فاضطر الناس الى التماس الحلول للمشاكل بالحيل . كالمحلل وغيره ، وباستيراد القوانين من الخارج .

الا أن هذا الطور هيأ الفرصة لظهور كتب سميت كتب الاختلاف «المقارنات» وهي مقارنة بين احكام المذاهب المختلفة ، ومن أهمها المغنى لابن قدامة ، والمحلى لابن حزم ، فوضعوا بذلك نواة علم المقارنات ، على انه فى هذا الطور أيضا تنبه بعض العلماء الى الخطر فى قفل باب الاجتهاد فنبهوا الى ذلك ، منهم ابن تيمية وابن القيم ، وجمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ، والكواكبي .

والتقليد فى ذاته ليس معيبا ، بل قيل انه واجب على كل من لا تتوافر له شروط الاجتهاد ولا يقدر عليه ، لعدم تمكنه من الكتاب والسنة . وعلوم القرآن والحديث وقواعد الاستنباط للاحكام من اصولها ، وعدم تمكنه من اللغة العربية فالله يقول « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » ويقول « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » .

اما اذا كان المسلم قادرا على الاجتهاد فى فروع الشريعة ، فهل يجوز له تقليد غيره أو لا يجوز ؟

والآراء فى ذلك ثلاثة :

الأول : أنه يحرم عليه تقليد غيره ، ويجب عليه الاجتهاد والعمل بما يؤديه اليه اجتهاده ، وهذا المذهب يمثل روح الاسلام ، والحث على النظر ، والتأمل والحرية الفكرية والدينية ، ومن أصحاب هذا المذهب الشيعة الامامية والزيدية وابن حزم الظاهرى والدبوسى الحنفى حيث يقول (ان المقلد ملحق بالبهائم والتقليد باطل ، بدليل أن الله رد على الكفرة حجتهم فى تقليد الآباء) .

الثاني : انه يجوز للقادر على الاجتهاد أن يقلد غيره ، بشرط أن يقف على أدلة من يقلدهم من الائمة ويقتنع بها ، وممن قال به ابن زروق المالكي ، بل ان الائمة الاربعة أنفسهم قالوا بذلك ، فكان ابو حنيفة يقول « علمنا هذا رأى لنا ، وهو احسن ما قدرنا عليه ، فمن جاءنا بأحسن منه فهو الصواب ، ولا يحل لأحد أن يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلنا » ـ وكان مالك يقول (انما أنا بشر اخطىء وأصيب فانظروا فى رأيى فان وافق الكتاب والسنة فخذوا به ، وما لم يوافقهما فاتركوه) وكان الشافعي يقول « لا تقلدوني فى كل ما أقول وانظروا فى ذلك فانه دين » ويقول الامام أحمد بن حنبل « لا تقلدوني ولا مالكا ولا الشافعي ولا الثورى وخذوا من حيث أخذوا » .

الثالث : وهو رأى ضعيف يجيز للقادر

على الاجتهاد التقليد دون أن يشترط عليه معرفة دليل الامام الذى يقلده .

الاتجاه الى القوانين الوضعية الأجنبية

ذكرت أن سبب ذلك قفل باب الاجتهاد، ووجوب ايجاد حلول لمشاكل الناس . وقد شرحنا فيما مضى الأسباب الظاهرة التي دعت لأخذ قوانيننا عن القوانين الأجنبية عام ١٨٧٣ م وما بعده الى الآن ، ثم عمت القوانين الوضعية بعد ذلك معظم البلاد العربية الاسلامية .

الا أن القيمة التشريعية للفقه الاسلامي بدت تظهر فى المحافل الدولية ، وان أهملها اصحابها ، من ذلك :

أولا ــ مؤتمر القانون الدولي المقارن :

انعقد بلاهاى بهولندا فى اغسطس ١٩٣٢ م وكانت الشريعة الاسلامية ضمن القوانين المقارنة فى حيز ضيق جدا ، وفى هذا المؤتمر أعلن الأستاذ « لامبير » تقديره للشريعة الاسلامية من الناحية الفقهية .

وقدم الدكتور على بدوى عميد كلية الحقوق بالقاهرة بحثا عن العلاقة بين الأديان والقوانين كوسيلة للتحدث عن التشريع الاسلامي ، وقد اهتم المؤتمر بعد سماعه بما للشرع الاسلامي من أهمية فى علوم القوانين الحديثة ، ووافق بالاجماع على اقتراح مؤداه أن يحدد فى المؤتمر فى دورته التالية قسم خاص لدراسة الشرع الاسلامي كمصدر للقانون المقارن .

ثانيا ــ انعقد نفس المؤتمر فى اغسطس سنة ١٩٣٧ :

ودعى لشهوده ممثلان للازهر الشريف هما الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد الرحمن حسن . وقدما بحثين احدهما عن المسئولية الجنائية والمسئولية المدنية فى نظر الاسلام ، والثاني عن علاقة القانون الروماني بالشريعة الاسلامية وانتهى المؤتمر الى اصدار القرارات الآتية : ــ

١ ــ اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا من مصادر التشريع العام .

٢ ــ اعتبار الشريعة حية صالحة للتطور .

٣ ــ اعتبار التشريع الاسلامي قائما بذاته وليس مأخوذا من غيره .

٤ ــ تسجيل البحث الأول فى سجل المؤتمر واعتباره مرجعا فقهيا .

٥ ــ استعمال اللغة العربية بالمؤتمر فى دوراته المقبلة .

ثالثا ــ مؤتمر المحامين الدولي بلاهاى :

انعقد فى سنة ١٩٤٨ م واشتركت فيه ٥٣ دولة وقيل فيه الكثير عن الشريعة الاسلامية بمثل ما مر ذكره وأوصى مؤتمر المحامين الدولي بتبني دراسة الشريعة الاسلامية دراسة مقارنة .

رابعا ــ جمعية القانون الدولي العام :

اعتبرت هذه الجمعية محمد بن الحسن الشيباني صاحب ابى حنيفة الرائد الأول للقانون الدولي العام ، وألفوا جمعية باسمه (١) ، ومن مهام هذه الجمعية بحث وتحقيق ونشر مؤلفاته وفقهه ، واصبح لها فى الهند فرع، وكذلك فى الباكستان . ومن مؤلفاته كتاب السير الكبير عن المغازى والجهاد ، ونظم الحرب والسلم وعلاقات الدول فى كل من الحالين .

خامسا ــ أسبوع الفقه الاسلامي فى باريس سنة ١٩٥١ :

خصصت كلية الحقوق هذا الاسبوع كله للفقه الاسلامي ، وطلب القائمون على

(١) انظر فى العدد الخامس ترجمة وافية له ...

اعداد هذا الاسبوع الى علماء الاسلام ، تقديم بحوث معينة كما اطلقت لهم الحرية فى القاء ما يرونه من بحوث اخرى ، اما البحوث الاسلامية التي عينت لما كان يحوطها من عدم الفهم من جانب علماء القانون الفرنسي وغيرهم فهي :

١ ــ اثبات الملكية .

٢ ــ الأستملاك للمصلحة العامة ، وهو ما يعرف بنزع الملكية .

٣ ــ المسئولية الجنائية .

٤ ــ تأثير المذاهب الاجتهادية فى بعضها البعض .

٥ ــ الربا فى الاسلام .

وكان نقيب المحامين فى باريس رئيسا للمؤتمر فى الجلسة النهائية واختتم اعمال المؤتمر بكلمة قيمة قال فيها (لا ادرى كيف أوفق بين ما كان يصور لنا من جمود الشريعة الاسلامية والفقه الاسلامي ، وعدم صلاحيتها كأساس لتشريعات متطورة ، وبين ما سمعته فى هذا المؤتمر مما يثبت بغير شك ما عليه الشريعة الاسلامية ، من عمق وأصالة ودقة وكثرة تفريع وصلاحية لمقابلة جميع الاحداث) وانتهى الاسبوع بالقرارات الآتية :

١ ــ مبادىء الفقة الاسلامى لها قيمة قانونية تشريعية لا يمارى فيها .

٢ ــ اختلاف المذاهب يحوى ثروة تشريعية هى مناط الاعجاب ، ومنها يستجيب الفقه الاسلامى لجميع مطالب الحياة ، ثم انحى اعضاء المؤتمر باللائمة على فقهاء الاسلام فى العصر الحالى واصدروا التوصية الآتية وهي :

اخراج موسوعة للفقه الاسلامي تعرض فيها المبادىء والنظريات مبوبة تبويبا عصريا .

موسوعة الفقه الاسلامى

ومضت الايام ولم ينشط احد للعمل على تحقيق هذا الامل ، حتى اسست كلية الشريعة بجامعة دمشق سنة ١٩٥٥ فأقبلت على تحمل هذا العبء وألفت لجنة تقوم بوضع الموسوعة وعملت حتى صدر المرسوم الجمهورى رقم (١٧١١) لسنة ١٩٥٦ م وينص على أن تصدر كلية الشريعة موسوعة « دائرة المعارف » غايتها صياغة مبادىء الفقه الاسلامى بمختلف مذاهبه ، وافراغها فى مصنف جامع مرتب على غرار الموسوعات القانونية الحديثة ، بحيث تعرض مواد الفقه الاسلامى عرضا علميا حديثا ، يسهل الرجوع الى نصوصه للافادة منها الى ابعد حد ، ويرشد الباحثين الى مصادر هذا الفقه . وتألفت اللجنة الاولى من : الدكتور مصطفى السباعى ، والاستاذ السمان ، والاستاذ الزرقا ، والدكتور الدواليبى ، والدكتور العشى .

وبعد الوحدة بين مصر وسوريا صدر من رئيس الجمهورية العربية المتحدة قرار جمهورى رقم ٥٣٦ لسنة ١٩٥٩ م اضاف الى لجنة الموسوعة فى جامعة دمشق الاستاذ المبارك ، والاستاذ الكنانى ، والدكتور محمد زكى عبد البر ، ولما ان انشىء المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقرار الوزارى رقم ١ لسنة ١٩٦١ بتوجيه من رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، واعلن عن فروعه ولجانه المختلفة ومن بينها لجنة لوضع دائرة معارف اسلامية ، واخرى لوضع موسوعة للفقه الاسلامى ، بينت اهدافها وجميع ما يتعلق بها فى المواد من (٢٩ ــ ٣٣) لما حصل ذلك وعلم به اهل سوريا حضر الى مصر بعض اعضاء لجنة الموسوعة بدمشق ، وجرت اتصالات لتوحيد الجهود ، وانتهت بالاتفاق على الابقاء على لجنة الموسوعة بدمشق ، واضافة آخرين من الاقليم الجنوبى هم بحسب ورود ذكرهم فى القرار الوزارى ، فضيلة الشيخ محمد احمد فرج السنهورى ، والمستشار على على منصور والدكتور عثمان خليل ، وفضيلة الشيخ على الخفيف ، وفضيلة الشيخ محمد ابو زهرة (القرار الوزارى رقم ٢٤ لسنة ١٩٦١) .

ثم أصدر وزير الاوقاف بمصر القرار الوزارى رقم ٢٣ لسنة ١٩٦١ بتسمية الموسوعة « موسوعة جمال عبد الناصر فى الفقه الاسلامي » .

وقد انتهت اللجنة الى استخراج جميع المصطلحات الفقهية من المذاهب الفقهية الثمانية ، وهى : **مذاهب اهل السنة الاربعة، ومذاهب الشيعة الامامية والزيدية ، ومذهب اهل الظاهر ، ومذهب الاباضية** ، ورتبت ترتيبا هجائيا ، واصدرت اللجنة نموذجا لما ستكون عليه الكتابة فى الموسوعة عن بعض الالفاظ ، ومن القرارات التى اتخذتها اساسا للعمل :

١ ـ ان تكون الموسوعة مدونة ، ترتب موادها ترتيب حروف المعجم مراعى فى ذلك اول الكلمة والحروف التالية لها .

٢ ـ ان تكون اسماء كتب الفقه وابوابه موادا مستقلة توضع فى ترتيبها الهجائي .

٣ ـ ان تكون الموسوعة جامعة لاحكام المذاهب الفقهية الثمانية التى مر ذكرها مع اهدار الاقوال الشاذة ساقطة الفكرة .

٤ ـ ان يكون ايراد ادلة الاحكام فى حدود الاعتدال وبمقدار ما تستبين به وجهة النظر .

٥ ـ ان وظيفة الموسوعة ليست الموازنة بين الشرائع ولا بين المذاهب الفقهية ولا ترجيح بعض الاقوال على بعض ولا نشر البحوث والآراء . وانما وظيفتها جمع الاحكام الفقهية ، وترتيبها فى دقة وامانة بعبارة سهلة ، من المراجع التى تلقاها الناس بالقبول ، حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجرى .

٦ ـ ان يكون فى نهاية كل جزء من اجزائها فهارس للآيات والاحاديث والاعلام .

هذا وقد اصدر السيد المهندس احمد عبدة الشرباصى نائب رئيس الوزراء ووزير الاوقاف فى ٦ مايو سنة ١٩٦٤ القرار الوزارى ١٩٢ سنة ٦٤ باعادة تنظيم المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية وتنص المادة ٢٨ منه على انه يجوز ترجمة الموسوعة الى اللغات الاجنبية .

وكان الدكتور محمد البهى وزير الاوقاف السابق بمصر قد اصدر قرارا وزاريا بوقف اعمال لجان المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ومنها لجنة موسوعة الفقه الاسلامى لحين اعادة تشكيلها ، ولكنه لم يعد تشكيلها الى ان تغيرت الوزارة وعين المهندس احمد عبدة الشرباصى نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للاوقاف وشؤون الازهر فكان من بواكير اعماله اصدار القرار الوزارى باعادة تنظيم المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، واعاد تشكيل لجنة الموسوعة بالقرار الوزارى رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٤م واصبح رئيس اللجنة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الجامع الازهر ، ونائب الرئيس الدكتور على بدوى والاعضاء فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى ، والمستشار على على منصور ، والدكتور ضياء الدين صالح ، وفضيلة الشيخ على الخفيف وفضيلة الشيخ احمد هريدى ، وفضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى ، وفضيلة الشيخ احمد الفاضلى ، وفضيلة الشيخ محمود الحفناوى والاستاذ محمد سلام مدكور مقرر اللجنة .

ولجنة الموسوعة تهيب بأولى الامر وعلماء الاسلام فى جميع البلاد ان يمدوا اليها يد المعونة تحقيقا لهذا الامل وما فيه من خدمة جلى للشريعة الاسلامية .

الوعى الاسلامى :

حين ترحب بهذه الخطوات فى سبيل انجاز الموسوعة ترجو ان تتضافر كل الجهود والكفاءات الاسلامية لانجازها فى اقصر وقت ممكن . وترى من المناسب الاشادة بالموقف الكريم الذى وقفه مجلس الامة والحكومة بالكويت ازاء الموسوعة الفقهية . فقد طلب المجلس من وزارة الاوقاف العناية بموضوعها . ورحبت الوزارة بهذه الرغبة وادرجت فى ميزانيتها للعام القادم مبلغا لذلك ..

بقية من حقائق الدعاء



ثم قال : ولا يلوين أحد على احد .. وان قتل النعمان بن مقرن (يعني نفسه) فلا يلوين أحد عليه .. واني داع الله بدعوة ، فأقسمت على كل امرئ منكم لما أمن عليها : (اللهم ارزق النعمان اليوم شهادة في نصر وفتح على المسلمين) .

فتكهرب المعسكر بهذه الدعوة الرائعة ، وارتجت جوانبه بالتأمين عليها ، وكان النعمان أول قتيل في المعركة وفتح الله على المسلمين ونصرهم في ذلك اليوم نصرا مؤزرا .

أرأيت كيف ألهم النعمان الدعاء ؟ وكيف كانت الاجابة معه ؟

انه القدر حضر والاجل معه ، فألقى ظلاله وأسراره على صفحة النعمان ، فاذا به يأنس للخطب ، واذا الانس يعظم في نفسه ويعذب ، حتى يستحيل الى نعمة منشودة ، وطلبة مرجوة ، فيهتف بالشهادة ، وهو لا يعلم أنها على بعد خطوات منه في يمين القدر ، ولكنه الدعاء الذى حضر والاجابة معه ؟ .

وأم المؤمنين

واليك مثالا ثالثا تتعزز به كلمة عمر . أتي اليه رضى الله عنه بمال كثير ، فقال « **أيها الناس قد جاء مال كثير ، فان شئتم أن نكيل لكم كلنا . وان شئتم أن نعد لكم عددنا . وان شئتم أن نزن لكم وزنا** » فقال رجل من القوم « يا أمير المؤمنين ، دون للناس دواوين — أى دفاتر — يعطون عليها » فاشتهى عمر ذلك . ففرض لكل من المهاجرين خمسة آلاف درهم ، وفرض لكل أنصارى ثلاثة آلاف ، وفرض لكل زوجة من أزواج رسول الله عليه السلام اثنى عشر الفا .. وكانت زينب بنت جحش رضى الله عنها احداهن .. وكانت أسخى زوجاته عليه السلام ، وأدناهن الى قلوب الفقراء بالعطاء والصدقة ، فلما رأت ما أرسل اليها عمر وجدت شيئا عظيما ، لم تر مثله ، ولم تحسبه لها ، بل ظنت أن عمر ارسل به اليها ، لتقسمه على صواحبها من زوجات النبى ، فقالت : غفر الله لامير المؤمنين ، لقد كان في صواحبى من هى أقوى على قسمته منى ، فقيل لها : ان هذا المال كله لك .. فأمرت به فصب ، وغطته بثوب .

وكانت صائمة ، وقالت لبعض من عندها ، ادخلى يدك لآل فلان .. وأدخلى يدك لآل فلان ، وآل فلان .. فلم تزل تعطى لآل فلان وآل فلان ، حتى قالت لها احدى الجالسات ، لا أراك تذكرينني ولي عليك حق ، فقالت : لك ما تحت الثوب . فكشفت الثوب ، فاذا خمسة وثمانون درهما ، فأخذتها وانصرفت . فقالت لها خادمتها : هلا كنت أبقيت لنا شيئا نتقوت به وأنت صائمة ؟ فقالت لو ذكرتني لفعلت ، وعند الله فضل كثير .. ثم رفعت الطاهرة المطهرة يدها الى الله ، وقالت : اللهم لا يدركني عطاء عمر بن الخطاب بعد عامي هذا . فكانت أول زوجاته صلى الله عليه وسلم لحوقا به ...

وبعد فهل عرفنا حقيقة الدعاء ؟ .. وهل تعلمنا كيف ندعو الله ؟ ... وهل أدركنا المطالب التى ندعوه بها سبحانه ؟ ...

ألهمنا الله الخير ، ووفقنا الى الحقيقة ، وهدانا سواء السبيل .

الإجارة في الإسلام

(نشرت المجلة الجزء الاول من هذا الحديث فى العدد الثالث ، وقد انتهى الكاتب الى ان اجارة الاشخاص جائزة شرعا ، ولا وجه للتشدد فى القول بضرورة احلال الجديد من التسميات كعقد العمل الفردى ، وفيما يلى بقية البحث) .

للاستاذ عيسى عبده
رئيس قسم الاقتصاد بمعهد الدراسات الاسلامية ـ القاهرة

اجارة الاشخاص واهل الصنائع ـ اذن ـ جائزة شرعا فى عبارة الفقهاء .. وهى اصل فى التنظيم الاقتصادى المتفق مع فطرة الانسان وعمارة الارض .. وهى نظام فى المحل الاول .. فما هى رأى يقول به مصلح .. ولا هى نظرية علمية يمكن نقضها .. وانما هى اوضاع وروابط واحكام .. تستفاد من مصادر علوية .. لا يستطيع الانسان ان يعدل فيها .. وان كان عند التطبيق يملك ان يتخذ طريقا وسطا او ان يلتزم بما هو خير .. او ينحرف .. فاذا ساءت احوال الاجراء فى مجتمع ما .. فالسبب هو سوء التطبيق ..

وجدير بالذكر ان عقد الاجارة فى انشائه وتنفيذه .. من اعمال الادارة .. وهنا نجد ارادة الفرد تتدخل .. وقد يعمد المالك او وكيله او الادارى الى ايقاع الظلم بالاجراء .. لفساد فى الناس .. لا فى النظام الذى جاءت به شريعة كاملة وخاتمة ..

ولكل نظام عناصر او مقومات .. ونريد بها ما يتعين توافره لكى يبقى النظام قائما .. والا جاز ان يختفى .. ونريد بالعناصر ايضا البيئة التى تحيط بالنظام المعين وتضمن بقاءه .

وهنا معيار دقيق للحكم على النظم .. فتلك التى يضعها الانسان تزول تباعا .. لانها تحمل فى طياتها بذور فنائها كما تثير من حولها تيارات عنيفة تزعزع الثقة بها .. او تقوض اركان البيئة التى تولد عنها النظام .. ومن ثم تزول .. ويزول النظام بزوالها ..

وهنا أيضا ننبه الى مواطن التفاخر بين النظم الموضوعية والنظريات التى يفرضها أصحاب المذاهب . فالماركسية

ـ مثلا ـ ترفض الاجارة (١) وترفض ملكية أدوات الانتاج وتدعى أن الرأسمالية تحمل فى طياتها بذور فنائها .

والرأسمالية تزعم بأن الشيوعية كالنار يأكل بعضها بعضا لانها ـ فى المدى الطويل ـ تهبط بالانتاجية فتزول او تتحول الى اعتناق اوضاع جديدة من الملكية .

هذا التفاخر بين اصحاب المذاهب الوضعية .. شبيه ببرامج الاحزاب .. أقله صدق واكثره ادعاء .. وهو على أية حال ، من نتاج الفكر البشرى .

والفكر قد يصيب ، وقد يضل .

اما عناصر نظام الاجارة فى الاسلام .. فهى وحى اولا وتطبيق لحياة الرسول .. فى كل الاصول .. وما من مصدر بعد ذلك يجوز له ان يصطدم او يبدل قاعدة وضعت .. أو حقيقة جعلت دعامة من دعائم النظام .. ولذلك كانت الاجارة فى الاسلام متفقة مع الفطرة .. كما كان الدين كله كذلك .

أما العناصر او مكونات النظام وعوامل بنائه وصلاحه .. فهي :

١ ـ التفاوت فى القدرات :

يقول الله (جل وعلا) « وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » ويقول « .. اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون » .

ويقول « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون » .

تنبئنا هذه الآيات الكريمة بأن الله قد فاوت فى خلق الناس ، فأعطى بعضهم قدرات ، ولبعض آخر قدرات مغايرة .. وعلى هذا يحمل الرزق .. وليس الرزق اذن هو النقود ولا الوظيفة وانما هو عنصران .

أ ـ القدرات الشخصية والمواهب ، كالذكاء وبعد النظر والكفاية فى مباشرة النشاط بأنواعه .. وقد يكون القوة العضلية وحدها أو لياقة البدن .

ب ـ واستجابة المجتمع لما يصدر عن الفرد من قول أو عمل .

ومن محصلة هذين العنصرين يكون تقدير المجتمع للفرد حال نشاطه لتدبير المعاش أو ما يعرف بالأجر .. ثم ان هذه الآيات تنبىء بأن هذا التنظيم .. انما يراد به أن يتخذ بعضكم اجراء من البعض الآخر .. وفى هذا اسهب علماء التفسير وأهل التأويل ..

هذه الدعامة تجىء من آيات ظاهرها الخبر ، وباطنها العلم .. العلم اليقيني .. الذى لا يتحول .. العلم الذى لا يقوم على نظرية مادتها من المشاهدة أو من التجربة .. وانما مادتها من « الحقيقة » حقيقة الخلق .. وهذا أمر نعلمه ونراه ونسلم به .

٢ ـ التزام المجتمع بتحقيق العمالة الكاملة .

هذا هو العنصر الثاني من عناصر نظام الاجارة ، نجد كتاب الله يقرره ،

(١) الاصل فى ذلك هو ثورة طبقة العمال على من يملكون أدوات الانتاج ، وهي رأس المال ، ولذلك لا تعرف الشيوعية قطاعا خاصا ولا اجارة .. وتميل الى اعتبار الأجر فى القطاع العام ايرادا فرديا .

فكل آدمى مطالب بأن يعمل لكسب قوته .. وليس له الا سبيل من اثنين .

فاما أن يعمل لحسابه .

أو أن يعمل لحساب غيره .

وعلى المجتمع أن يوفر فرص العمل لكل قادر عليه ، ومصدر الحكم هو قوله تعالى « .. فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى » .

وقد حمل أهل التأويل « الشقاء » على أنه الجهد المبذول فى سبيل المعاش .

وفى الاقتصاد الحديث .. لا يزيد العمل على أنه (اجتهاد عضلى أو ذهنى) .

وفى عبارة بعض الاقتصاديين المحدثين تسليم بأن الشقاء فى سبيل اشباع الحاجات .. هو ضريبة الحياة (١) .

اذن ما دام الشقاء فى سبيل مطالب الحياة .. قانونا ثابتا أو أزليا .. بنص القرآن الكريم .. فقد تعين على كل فرد أن يؤدى عملا يحتاج اليه المجتمع .. وعلى المجتمع أن يمكنه من ذلك .

وبعبارة أخرى من أول الوظائف التي يتولاها ولى الأمر ويحرص عليها .. توفير فرص العمل لمن يطلبه .. لأن السعى فى سبيل الرزق ضريبة على كل حى ، ومن حق كل فرد علىولي الأمر .. أن يمكنه من ذلك كجزء من نظام الاجارة .. الذى يشمل المؤجر والأجير والأجر جميعا .

وهنا نلمح جزئية كبيرة القيمة .. وهي التزام ولى الامر بتحقيق العمالة الكاملة .. وهذا هو بعض التأويل الصحيح لقوله تعالى « .. فتشقى » اذ خاطب الاله القادر عبده آدم .. محذرا من الغواية .. واعلمه بأنه ان خرج من الجنة فهو حتما سيشقى .

ولقد خرج آدم .. فكان حقا عليه وعلى ولده الى يوم القيامة ان يشقى كل منهم فى سبيل تدبير معاشه .. وكلمة الله هي القول الفصل .. وهي قانون ازلى .. فكما وضع للأجرام أفلاكها وللنواة أفلاكها كذلك .. وضع للانسان سنة فى الأرض التى هبط اليها نتيجة لما كان من ضعفه عن التزام عهد الله .. يقول جل شأنه (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما) وقد ورد هذا القول الكريم فى مفتتح الآيات التى نشير اليها فى هذا البند والذى يليه .. ومحل النظر هنا .. هو أن شقاء الانسان فى سبيل اشباع حاجاته وحاجات عياله .. هو قانون أزلى ، علمنا به (مجرد علم) بمعنى أننا لسنا فى موقف الاختيار .. حتى يجوز لنا أن نفكر فى أسلوب للحياة يعفي الآدمى من العمل .. كما لا يجوز لنا بحجة التقدم وارتقاء الحضارة .. أنںحاول التشكيك فى لزوم العمل ووجوبه .. والشقاء فى سبيل تدبير المعاش .. وبقى على الانسان أن يبذل كل ما فى طاقته .. لاحلال التعاون والتراحم محل القسوة والاستغلال ..

وبعبارة أخرى .. كل بحث فى تهذيب شروط العمل وضمانه وتخفيف مشقاته وضمان السلامة للعاملين .. وحماية عيالهم .. كل هذه البحوث تصدر عن الفكر الناضج والرأى المتفق

---

(١) راجع مثلا « شارل رست » فى تاريخ المذاهب الاقتصادية .. الا انه عبر عن شقاء العمل بأنه لعنة Curse متأثرا بما بين يديه من ترجمة للتوراة .. اما القرآن فنصه واضح وثابت .. ولا تجوز عليه الترجمة .

مع الأوضاع الانسانية .. ولذلك يجد الباحث في مصدر التشريع الاسلامي ما يحقق له هذا كله ..

اما مناقشة العمل (للحساب الخاص أو لحساب الغير) من حيث المبدأ .. بحجة أن التقدم العلمي يأبى استمرار هذه الاوضاع (كما حدث من أواخر القرن التاسع عشر) فهو قول لا يصدر الا عن نظر سطحي .

ومن الأمثلة على المغالطة الصغيرة فى الجدل .. القول (عند شراح القانون الفرنسي) بأن استئجار الانسان عمل غير لائق بعصر الحرية الذى انبثق مع الثورة الفرنسية وتقدمت فى ظله التشريعات .. خلال عشرات السنين .. ويقولون أيضا بأن استئجار الآدمي غير لائق بمثل هذا العصر .. وانما الذى تقع عليه الاجارة .. هي مهارة الانسان .. لا جسمه ككائن حى .. ولكي يصبغ هذا الفريق من الشراح كلامه بمسحة كاذبة من الصواب .. يقولون .. ان تستأجر الدابة وتسخرها .. وحاشا للمدنية الحديثة والحضارة الصناعية أن تهبط بالآدمي الى هذه المرتبة .. ولذلك يصرون على أن (الاجارة) انما تقع على المهارة دون البدن .. ومن ثم دعا هذا الفريق الى الغاء كلمة الاجارة من تشريعاتهم الوضعية .. وأصبح فى تاريخ القانون المقارن .. فصل يقول بأن استئجار الاشخاص وأهل الصنائع .. هو عمل ذهب فى التاريخ .. دليلا على سذاجة التشريعات السابقة على القرن التاسع عشر .. أما الآن فان العقد الجدير بحضارتنا .. هو عقد العمل .. الفردى ، والمشترك .. الخ .

ولاظهار فساد هذه المزاعم ومجافاتها لأبسط قواعد المنطق .. يكفى أن نعرضها على التطبيق فى الحياة العملية .. فنحن الآن فى عصر الحرية التى بدأت مع الثورة الفرنسية . وتشريعات القرن التاسع عشر .. نتصل بالطبيب (في جوف الليل) ونلتمس منه ادراك المريض على الفور .. فهل هذا الطبيب يرسل مهارته لانقاذ المريض ولا يسخر بدنه مع علمه وتجاربه !!

وهل العامل الفني الذى يقف من وراء الأداة أو الآلة .. انما يفعل ذلك بمهارته .. ويظل بدنه معافى من التكليف ؟ !! هل الضابط المتمرس بفنون القتال .. يقود المعركة دون بذل أى جهد بدنى ؟ !! .. ورائد الفضاء يضع استعداداته وقدراته .. فى خدمة مشروعات الفضاء .. وأما بدنه فلا يقع عليه تسخير ولا استئجار .. ولا يواجه اخطار الصاروخ الذى يحمله !! وكل ذلك يقال لسبب بسيط .. هو أننا نعيش فى عصر الحضارة !!

الحق .. ان جراة الفكر البشرى على الأوضاع التى ليست من اختصاصه .. قد زادت مع الثورة الصناعية – خلال ما ئتي عام – ولذلك لم يتحقق للبشرية ما هو مفروض من رفاهية .. بسبب التقدم الهائل فى علوم المادة والطاقة .. وما من علة سوى هذه .. وهي جراة البسطاء على الأمور الانسانية .. وانتشار هذه الجراة على كل وضع يحفظ على الآدمي كرامته .. كتكوين الأسرة ونموها وانقضائها .. وما بين الراعي والرعية من روابط انسانية .. وما بين الأجير والمؤجر من روابط .. كفلها الشرع الذى لا يحيد ولا يقصر ولا يتحول ..

وخلاصة القول فى هذا العنصر الثاني من عناصر نظام الاجارة فى الاسلام .. ان هذا العقد يستمد وجوده من طبائع المجتمعات والأفراد .. وانه وضع أزلي ثابت .. تحكمه ضوابط ثابتة بدورها ..

٣ ـ كفاية الأجر

هذا هو العنصر الثالث .. ويتناول مستوى الأجر وكفايته للآدمي .. وهنا نلمح الاعجاز فى التنظيم الالهي ، وليس معنى ذلك أنه غير واضح حتما فى غيره من العناصر ، بل معناه أنه غالب فى موضعه هذا ، وعظيم الابانة عن نفسه وقد يدق الاعجاز فى مواضع أخرى .. وقد لا يدركه الفرد .. أو الجيل من الناس .. ثم يدركه آخرون ..

أما الاعجاز البين هنا .. فيتمثل فى بقية الآية الكريمة التى تقدم بعضها (من سورة طه) ذلك قوله تعالى « .. فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى.ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى.وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى » .

وهكذا حددت الآية جملة الحاجات الحيوية للانسان ، وهي أربع لا تزيد ولا تنقص بيانها .

الحاجة الى الطعام ، والكساء ، والماء، والمأوى .

وكل أجر لا يوفر للآدمى حاجاته الاساسية .. هذه .. لا يقره شرع ، فان كانت انتاجية الأجر لا تبرره فالعيب فى التنظيم أو فى الأسواق . أو فى أية ناحية الا فى نظام (الاجارة) لأنها (١) لا تستند للفطرة .. ومن فطرة الانسان أن يسعى لاشباع حاجاته الأساسية ، ومن حقه أن يكون الأجر كافيا للابقاء عليه ككائن حي . ومما هو جدير بالتنبيه اليه هنا أن النظم المعمول بها فى كثير من البلاد المتقدمة لا تكفل هذا المستوى فى شمول تام .. لا من حيث العمالة ، ولا من حيث الكفاية لمواجهة ضرورات الحياة .

هنا تفريع يتضح فى التطبيق .. ويتسع للقواعد والنظريات التى تصح حينا ولا تصح حينا آخر .. فمثلا اذا كان العلم بالثمن (٢) فان الحاجات تتسع حتى تشمل التعليم .. والأجر يرتفع حتى يكفى النفقة اللازمة لطلب العلم .. وحين يكون التعليم والاعلام بالمجان فان الأمر يختلف .. وهذا مثل من الفروق الجوهرية بين مقومات النظام (وهي ثابتة) والقواعد وهي قابلة للتحول ..

ان العنصر الذى نراه هنا هو (كفاية الأجر لضرورات الحياة) أما نوع هذه الضرورات ففيها حد أدنى نصت عليه الآية الكريمة .. وفيها اضافات يفرضها الدين أيضا كالتعليم .. وانما يتأثر الأجر بالاضافات .. تبعا لنمط المعيشة فى المكان والزمان .. وتبعا لجملة الخدمات التى يكفلها المجتمع .

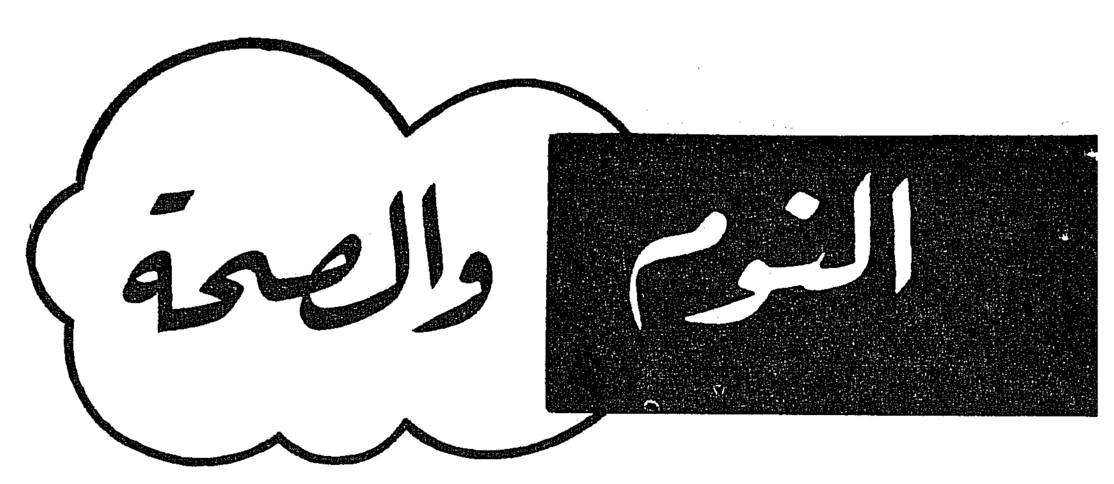
وهنا أمر ثان بالغ الأهمية .. يتصل بالحد الأدنى فى نظام الاجارة كما يقرره الاسلام ..

ذلك أن المجتمع مسئول عن الفرد حال حياته ، فيوفر له فرصة العمل ، ومسئول عن عياله من بعده .. ولذلك لا بد من شمول الأجر لما يكفي العجز لأى سبب والعيال بعد الموت .. فان خيف سوء تدبير الفرد .. قامت الدولة بكفالة الفرد فى عجزه ومرضه ، وكفلت عياله من بعده ، وأدخلت هذه المزايا عند حساب الحد الأدنى للأجور .

---

(١) الاشارة الى الناحية التى يشوبها العيب .. لأنه اذا كانت جزئيات النظم والسياسات تتفق مع فطرة الانسان فانها لا بد صالحة .

(٢) اى اذا كان طلب العلم يستلزم نفقة كبيرة .



للدكتور أحمد شوكت الشطي

جعل الخالق جل جلاله الليل والنهار دائبين ، وجعل الليل لباسا ساترا بظلمته ، وسكنا تسكن فيه أكثر الخلائق من التعب وحدته . وجعل الليل والنهار خلفة يخلف كل منهما الآخر ، ففي الليل سبات وراحة للأبدان ، وفى النهار نشور طلبا للرزق سواء فى الحيوان والانسان .

تبدو حياة أكثر الحيوان مقسمة بين حالين ، يناسب تعاقبهما تتابع النهار والليل ، احداهما اليقظة ، والثانية النوم ، ويلائم ذلك حالتين من حالات النفس ، حالة استراحة ان حرمتها النفس ضعفت وكلت ، وحالة عمل ان أراحها الانسان فيها ساءت الصحة وتخلت . فان لهما قدرا محدودا ، وزمانا موعودا ، يضر بالنفس الافراط والتفريط فى كل منهما . على أن حاجة الجسم الى الاستراحة بالنوم تفوق حاجته الى الغذاء ، فقد يستطيع الانسان أن يصبر عن الطعام أياما معدودة ، ولكنه لا يقوى على التخلص من النوم لشدة الحاجة اليه ، ولذلك قيل عن النوم انه سلطان جائر وملك مطاع قادر ، لا سبيل الى الافلات من قوة بأسه .

يستولى فى الغالب النوم على الأعضاء بصورة متتابعة ، فتسترخي أكثر العضلات الارادية ، ولذلك نرى أن رأس النعسان ، الجالس ينخفض بتأثير ثقله ، وارتخاء عضله ، حتى اذا اقترب من الصدر ، تيقظ النائم قليلا ، وعاد الى هز رأسه وهذا هو التهويم (١) فى لغتنا ، ويتبع العضلات فى الاسترخاء أعضاء الحواس فيخف تأثير المنبهات فيها ، على أن حاسة السمع هي آخر ما يغيبه النوم . وقد سمى العرب هذا النوم : التغفيق وهو النوم وأنت تسمع كلام القوم .

والناس متباينون فى صدد النوم ، فمنهم من ينام بسرعة فيغط فى النوم عقب اضطجاعه ، ومنهم من لا ينام الا بعد تقلب طويل فى الفراش ، كأنما خلقت عيناه للسهر ، وكأن النوم قد غضب على مآقيه وعصى جفنيه .

---

(١) هوم اذا هز النائم برأسه

أسباب النـوم

أما أسباب النوم فعديدة ، منها طول مدة اليقظة ، وتعب الجسم والعقـل ، وظلمة الليل وسكونه ، وقلة الحركة فيه وهدوؤه على ان من الناس من يستطيع النوم فى الضجيج والنور . وقد يشعر الانسان بحاجـة الى النـوم فى حالات متباينة كالجوع والشبع والحر والبرد . وقد مدحت العرب فى أمثالها السائرة نوم النهار فى الصيف والحر ، وذمته فى الشتاء والبرد أو القر ، فقالوا : قائلـة الصيف راحة ، وهي فى الشتاء وتاحة ، اى أنها عديمة الجدوى ان لم تكن ضارة .

آثار النوم

يبطؤ بالنوم التنفس ، وتنقص سعة تهوية الرئة ، ويقل عدد دقات القلب ، وتنخفض حرارة الجسم قليلا ، ويخف نشاط الهضم ويتكثف البول ، ويبطؤ دوران الدم. وبذلك يتحقق بالنوم تجديد القوى ، وسكون الجوارح وهدوء البال واستراحة الحواس والأعضاء ، وزوال التعب والاعياء مما يلاقيـه الجسم فى اليقظة ، وفيه أيضا راحة النفس والفكر والعقل واستعادة مظاهر نشاطها ، واننا لنذكر فيما يلي بعض الملاحظات الصحية عن النوم :

١ ــ غرفة النوم : يجب أن تكون واسعة وان تهوى قبل النوم فى الليـل ،واثناء النهار ، وان تكون خالية من حيوان أو نبات أو أزهار ، لأنها تشارك الانسـان فى هوائه ، فتنقص من صفائه، وتحـدث تغييرا فى تركيبه وبنائه ، فيفسد ويقل نفعه ، وقد ينجـم من ذلـك محاذيـر تؤذى النائم وتمرضه .

لذلك كان من المستحب الاعتياد على فتح النوافذ أو تأمين تجديد الهواء ببطء واستمراره فى الصيـف لان استمرار تجديده يجلب النوم الهادىء والـرقاد الهنيء .

٢ ــ ان للنوم عقب الأكـل محاذيـر معروفة وأضرارا موصوفة ، تظهر آثارها خاصة فى الشيوخ ، لذلـك كان لا بـد من انتظار ساعتين بعد الأكلة الأخيـرة قبل الاستسلام الى سلطان النوم .

٣ ــ لا يجوز تدفئـة غـرف النـوم لأصحاء الجسم مطلقا . أما المرضى فـلا حرج فى تدفئة غرفهم ، ولا يجوز أيضا انارة غرف النوم . وقد جاء فى الحديث الشريف « اذا نمتم فاطفئوا المصابيح » .

٤ ــ على الانسان اجتناب لبس الثياب الضيقة والاربطة المشدودة أثناء النوم ، وعليه أن يختار فى الصيف ثيابا واسعة مصنوعة مـن نسـيج ، يضـمن مص الافرازات لأن النائـم تتوسـع عروقه ، ويكثر عرقه .

٥ ــ يستحسن لا بل يجب تسويك الفم قبل النوم لازالة ما علق بين الأسنان من آثار الطعام ، التي ينتج عن فسادها نتن الفم ، وكراهة رائحته ، وفسـاد الأسنان ، واضطراب الجسم من جـراء ذلك فى بعض الأحيان . ومن هنا ندرك السر فى عناية الاسلام بالسواك .

٦ ــ وقت النوم : ان افضـل وقت للنوم هو الليل ، ففيه يسـود الهدوء ، وتعم الظلمة ، وتنقص المنبهات ، وقـد اعتـاد بعض النـاس اطالـة السـهر ، والتعويض عن نوم الليل بنوم قسم من النهار ، وهذا خطأ عظيم ، لأن نوم الليل اكبر اثرا فى اراحـة الجسـم وتجديد قواه(١) اما نوم النهار فرديء ، وأرداه نوم أول النهار واردأ منه النوم فى آخره وقد قال الشاعر فى هذا الصدد .

الا ان نومات الضحى تورث الفتى
خبالا ونومات العصيـر جنـون

وقيل نوم الضحى خرق والقيلولـة خلق ونوم العشى حمق . وليعلم ان نوم ساعتين قبل وسط الليل خير من النوم

---

(١) ومن هنا ندرك السر فى التوجيه الاسلامي بالنوم المبكر وقول الرسول صلى الله عليه وسلم « البركة فى البكور » ؟ . « الوعى »

أربع ساعات بعده . يجب والحالة هذه التبكير فى النوم والتبكير فى اليقظة(٢) وعدم اطالة مدة النوم وقد جاء فى امثال العرب السائرة من أطال المنام رأى الاحلام ومن لزم الرقاد ، عدم المراد « على أن نوم النهار جائز فى الصيف لطوله وشدة حره . وينطبق امتداح العرب للنوم بعد الغذاء على قيلولة الصيف اذ قالوا « النوم بعد الغداء دواء وبعد العشاء عناء .

٧ ـ مدة النوم : تختلف باختلاف السن وهي من سبع ساعات الى ثمان ساعات للشبان والكهول من رجال ونساء ، ومن تسع الى عشر ساعات للأحداث واليفعان ، وهي أكثر من ذلك للاطفال والولدان ، واما الرضع فثلثا حياتهم نوم ورقاد .

هيئة النوم

٨ ـ يذم النوم على البطن للشباب والكهول والشيوخ لأنه يضر بالتنفس ويعيق عمل أعضاء الصدر والبطن ، ويعد النوم على الظهر رديئا لأن اللهاة أو شراع الحلق يندفع فيه الى الوراء فيضيق النفس ويضطرب اذ تنحدر فيه مفرزات الأنف الى الوراء ، فتبلغ الحلق وتخدشه وتستقر فى البلعوم وتخرشه . ولا يحمد النوم على الجانب الأيسر ، ولا سيما بعد الطعام ، وذلك لأن هذه الهيئة لا تيسر مرور الطعام من المعدة الى الأمعاء ، فيبطؤ الهضم وكثيرا ما يكون ذلك سببا لاحلام رديئة .

ان أنفع النوم ما كان على الجانب الأيمن ليكون الغذاء أسرع انحدارا عن المعدة ، وهو من السنة الشريفة وقد ثبت أن مرور الطعام من المعدة الى الامعاء يتم فى هذه النومة بثلاث ساعات ، بينما يحتاج انحداره الى خمس ساعات أو سبع ساعات فى النوم على الجانب الايسر .

٩ ـ لا يجوز نوم شخصين فى سرير واحد ، وتعد هذه العادة من أسوأ العادات واقبحها ، ولها محاذير عديدة صحية واجتماعية لذلك يجب على معتاديها تركها فى كل حال ، ومهما كان الحال وعلى كل حال (١) .

تغطية الوجه

١٠ ـ يجب أن يغطى النائم بأغطية تختلف باختلاف الطقس ، ويحتاج النائم الى فضل دثار بسبب برد طارىء . وقد اعتاد بعض الناس أن يغطي الوجه اثناء النوم فى الشتاء ولذلك أضرار كبيرة . أهمها أن النائم على هذه الحالة يستنشق هواء رديئا فاسدا ، وريحا كريها زائدا من الغازات السامة التى يدفعها الجوف ، ولا بد من ترك الانف مكشوفا دائما .

وفى كل حال من الأحوال على الانسان ان لا يغطي راسه ، وأن يعتاد على النوم حاسر الرأس ما لم تكن لديه موانع صحية تحول دون ذلك .

١١ ـ واخيرا يجب أن يكون راس النائم مرفوعا بوسادة لا ناعمة محشوة بريش الطير ولا يابسة محشوة بالقش ، بل محشوة بقطن أو صوف نظيف ، كما أنه من الخطأ الافراط فى ترفيه النفس بالفراش الوثير وغطاء الحرير .

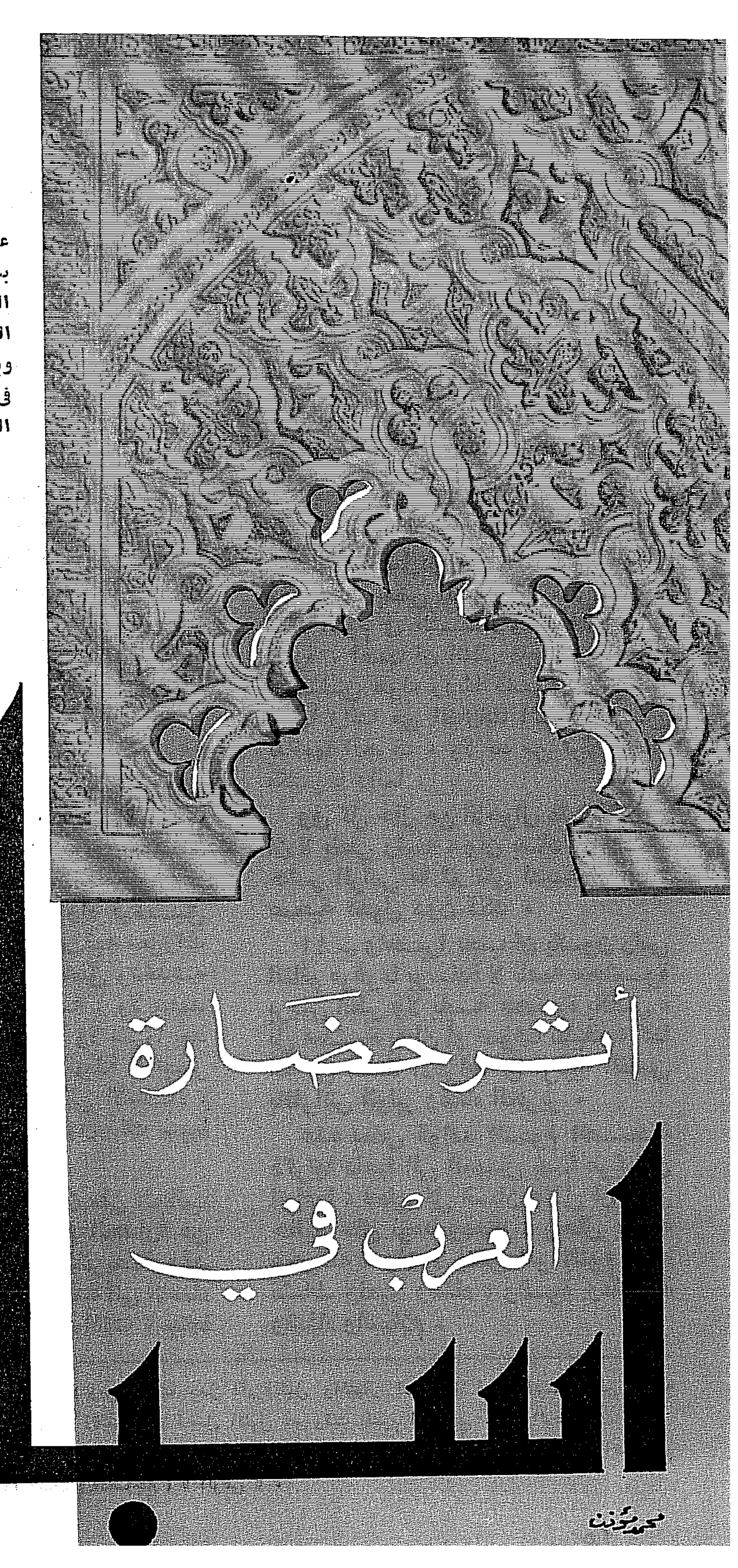
هذه بعض قواعد النوم الصحية ذكرتها داعيا الى العمل بها مرغبا فى اتباعها ، فعلى كل انسان عاقل ان يقدر حاليه حال نومه ودعته ، وحال يقظته وحركته ، وأن لا يغفل امر النوم ففيه نشاط ونعيم وهناء ، وقوة وعافية وشفاء والسلام .

---

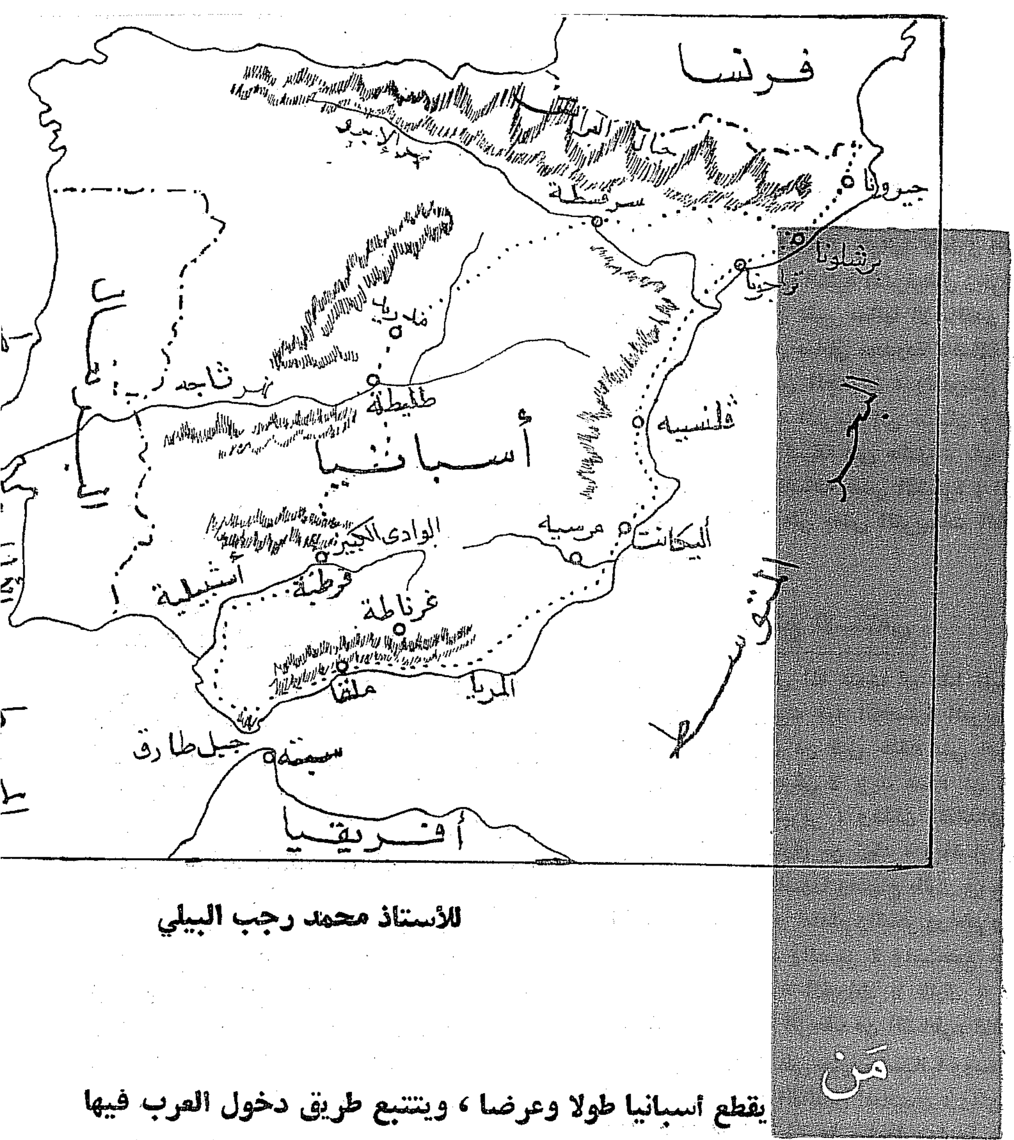
(١) أذكر مع هذ: قوله تعالى (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (٧٣) القصص ، فجعل الليل هو وقت النوم الطبيعي .. « الوعى » .

(٢) ومن هنا كان توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع) « الوعى » .

عقد فى قصر الجعفرية
بسرقطة ويجمع بين الفن
العربى فى زخارفه
النباتية وكتاباته الكوفية
وبين الفن القوطى الممثل
فى العقد ذى الفصوص
الكثيرة (الحنيات) .



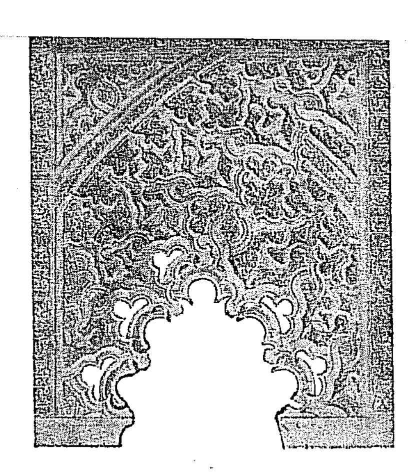
أثر حضارة العرب في اسبانيا



للأستاذ محمد رجب البيلي

مَن يقطع أسبانيا طولا وعرضا ، ويتتبع طريق دخول العرب فيها وخروجهم منها يجد آثارهم واضحة وبكثرة فى المناطق التي تمركز فيها استيطان العــرب ، وطال فيها حكمهم ، وخاصــة الآثار المادية كالعمائر الحربية والمدنية والدينية والفنون التطبيقية كالعاج والخشب والمعادن والمنسوجات والسجاد ، وغيرها ، فضلا عن الروح الشرقية المتأصلة فى الدم والعادات والتقاليد وأساليب الحياة .

ومن ينته به المقام فى جنوب شبه الجزيرة الاسبانية أو جنوبها الشرقي فى سهول الاندلس فى غرناطة واشبيلية وبلنسية ومرسيه ، يجد نفسه فى بيئة شرقية بحتة ، وجو شرقي لايختلف عن الشرق فى شيء سوى لغة الشعب الاسبانية التي حلت محل اللغة العربية بعد خروج العرب من أسبانيا بنحو قرن ، وبعد أن أصبحت اللغة الدينية فى الكنائس .



وحتى المناطق الشمالية والشمالية الشرقية التي لم يطل فيها الحكم العربي ، نجد فيها مزيجا من العناصر المسيحية والعربية ان لم يكن في الدم ففي العمائر كما في كنيسة سان ميجويل في ليون بالقرب من برشلونة وسانتا ماريا وسانت نذير .

ويخرج الزائر من اسبانيا بصورة حقيقية واضحة لا يتيسر للانسان الحصول عليها بين ثنايا الكتب ولوحاتها كما يراها بنفسه ، ويتلمس تلك الروح الشرقية التي طبعت في نفس الاسباني خلال تلك القرون الثمانية ، وأصبح يعتز بآثار العرب ، ويعتبرها جزءا من تراثه الحضاري : الفني والتاريخي بعد أن كان ينظر اليها بكراهية شديدة كنظرة الوطني الى المستعمر الغاصب ، فكان يعتبر تلك القصور والقلاع العربية وصمة في جبين تاريخه لما تبعثه في نفسه من الشعور بالذل وامتهان بكرامته . ربما كان الاسباني مضطرا الى ذلك للشعور الجارف والعصبية المتطرفة ضد كل ما هو عربي حتى عقب خروجهم منها .

أما اليوم فان تلك النظرة قد تغيرت ، وذلك الشعور قد تبدل ، وأصبح الاسباني يعتز بتراث العرب ، ويفخر به ، بل يمجده ، ويغار عليه من أيد الأعداء وصروف الدهر . وكيف لا يولى الاسباني اهتمامه الى ذلك التراث القومي وهو أحد حلقات تاريخه المجيدودعامة نهضته الحالية .

العصبية المسيحية

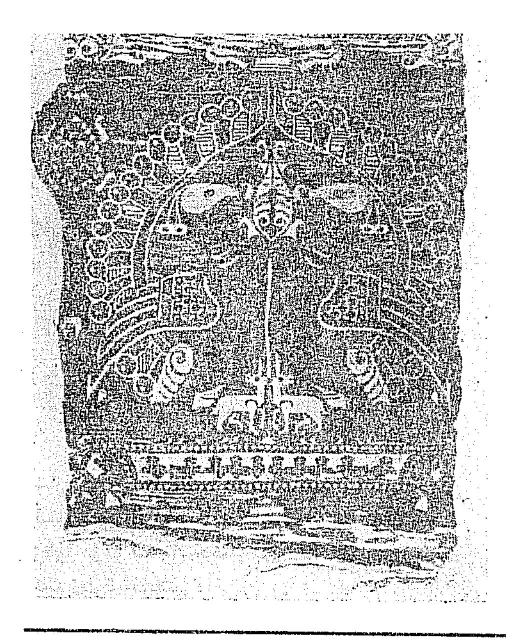
وسواء رضي الاسباني بهذا التراث كرها أو طوعا ، فانه أصبح أثرا خالدا في حياته ودمه رغم تعصبه الشديد ومحاولته محو كل ما هو عربي ، كما يشاهد اليوم في أنحاء البلاد المختلفة من آلاف المساجد التي أقامها العرب لدعم صرح الديانة الاسلامية في طول البلاد وعرضها . فحولت العصبية المسيحية ما تبقى من ذلك الصرح الخالد الى كنائس رغم ما بها من مخلفات عربية تناضل في سبيل الكفاح للاحتفاظ بكيانها كالطرز العربية في العمارة والأساليب الفنية الشرقية في زخرفتها ، ولم يستطع الاسبان تغيير معالمها الا بالقدر الذى تسمح به طبيعتها في مناطق محدودة كاضافة بعض الصور الى بعض الجدران ، وتحويل بعض الزخارف والكتابات العربية الى صلبان وكتابات لاتينية في مساحات ضيقة على حشوات باب جامع طليطلة النحاسي واضافة بعض الأشعرة (الرنوك الملكية الاسبانية) على بعض التربيعات الخزفية في قصر الحمراء .

الفتح الاسلامي

وسوف تدهش اذا علمت أن هذا الميدان الخصب الذى ترعرت فيه الحضارة العربية قد فتحه بطلان عربيان من قبل خلفاء بني أمية في دمشق على رأس جيش لا يزيد عدده عن ثمانية آلاف جندى من البربر ، وهذان القائدان هما موسى بن نصير وطارق بن زياد ، وبفضل ايمان هذين القائدين وحماسهما وصياح طارق في جيشه « أيها الناس ، العدو أمامكم والبحر وراءكم وليس لكم والله الا الجلد والصبر » واستجمع جنوده شجاعتهم وصاحوا « اناوراءك يا طارق » كانت هذه الصيحة بداية الزحف من الشاطيء الافريقي ثم النصر بالاستيلاء على جنوب اسبانيا ووسطها . ثم دب الخلاف بين القائدين العظيمين ، ولكن ما لبثا أن تصافحا ونبذا ما بينهما ووضعا خطة موحدة لافتتاح ما بقى من اسبانيا ، فزحفا نحو الشمال الشرقي معقل الثوار الفارين أمام الفتح الاسلامي ، فاخترقا ولاية أراجون ، ثم اخذت تنهار المدن الشمالية الواحدة تلو الأخرى ، كطرقونة وبرشلونة اللتين مهدتا السبيل لموسى بن نصير أن يعبر جبال البرانس والاستيلاء على المدن الفرنسية كناربون ، ومنها سار شمالا الى جنوب وادى الرون حتى مدينة ليون بفرنسا .

ويقال ان موسى بن نصير اراد ان يواصل تقدمه لفتح جنوب أوروبا ليصل اسبانيا بتركيا ، ومنها الى دمشق مقر الخلافة الأموية في الشام ، وجعل البحر المتوسط بحيرة اسلامية .

الا أن الخلاف دب بين الخلافة وقواد العرب



قطعة من النسيج الحريرى ترجع صناعتها الى القرن الثاني عشر وبها رسوم طيور وحيوانات تحيط بشجرة الحياة وافريزان من الكتابة الكوفية .

حول هذه المغامرة . واستغلت الأمم المسيحية هذا الانقسام فاتحدت لايقاف تقدم العرب وان لم يستطيعوا ردهم على أعقابهم الى ما وراء جبال البرانس . وقد تم لهم ما أرادوا اذ انتصروا على العرب فى موقعة تور فى سهول نهر اللوار عندما انشغل العرب بجمع الأسلاب والغنائم عقب أول انتصار لهم فى هذه الموقعة . واضطر العرب الى العودة ثانية الىما وراء جبال البرانس فى اسبانيا. ولولا تلك الموقعة لوجه تاريخ اوربا بصفة خاصة وجهة اخرى غير وجهته الحالية . وكان للعرب والاسلام شان آخر .

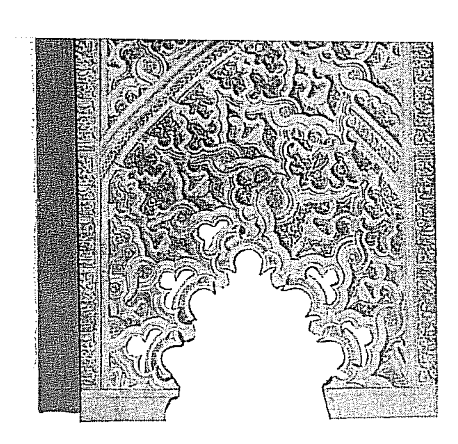
وعلى الرغم من انهزام العرب حربيا فقد انتصروا عنصريا الى مدى محدود ، فتركوا فى السهول الجنوبية من فرنسا آثارا واضحة فى الدم والعادات كشعر الفرنسيات الأسود وعيونهم البنية أو الداكنة مع سمرة طفيفة فى البشرة واعتدال فى تقاطيع الوجه كالعرب .

كما عثر على بقايا بعض الآثار العربية فى تلك المناطق رغم ضآلة الفترة التي مكثها العرب شمال البرنييه . ومن هذه الآثار بعض النقود العربية ، واناء من نحاس أصفر (١) نقشت عليه الكتابة الآتية « العز الدائم والاقبال الزائد والجد الصاعد والدهر المساعد والنعمة الكاملة والسعادة الشاملة والسلامة لصاحبها ابدا » .

ووجهت هذه الموقعة العرب الى الاكتفاء بتوطيد أقدامهم فى شبه الجزيرة ، والقضاء على تلك العناصر المسيحية المناوئة لهم والتي التجأت الى جبال البرنييه للاحتماء بها وجمع فلولهم وتلقى المساعدات الحربية والمالية من ملوك الفرنجة فى فرنسا ، وانتهاز فرصة ضعف المسلمين وانقسامهم والهجوم عليهم لاستعادة ما فقدوه من نفوذ وسلطان ، كما حدث فعلا فى أوائل حكم العرب لاسبانيا اذ ادى التنافس بين الحكام المسلمين الى استعانة بعضهم بحكام الفرنجة ، كما حدث من سليمان بن يقظان الكلبي - أحد الخارجين على عبد الرحمن الأموى عامل برشلونة - اذ دعا شارلمان ملك الفرنجة وامبراطور الدولة الرومانية فيما بعد ، الذى لبى الدعوة واستعان بثوار البرنييه ، ليضع حدا لتقدم المسلمين بل ليستاصل شافتهم من اسبانيا ، وتقدم شارلمان جنوبا وحاصر مدينة سرقسطة .

وتنبه المسلمون الى هذا الخطر الداهم فوحدوا كلمتهم واستجمعوا قوتهم واستطاع عبد الرحمن الأموى أن ينتصر على شارلمان وجيشه ويكبده

(١) هذا الاناء يوجد الآن فى مجموعة الدوق بلاكاس Blacas ويقول السيد سبنسر سمث انها وجدت فى معسكر العرب بعد موقعة تور .



خسارة فادحة وأرغموه على الانسحاب والهرب الى فرنسا عبر جبال البرنييه ، وتعقبهم المسلمون ، ومزقوا مؤخرة فلول جيش الفرنجة الهاربة، وبذلك هلكت زهرة الجيش الفرنجي .

لم يكن جهاد العناصر المسيحية فى منطقة البرنييه مستمرا كما كان ينتظر فكان هناك فترات استطاع المسيحيون والمسلمون الحياة جنبا الى جنب كصديقين حميمين ، وتبادلا العلاقات الطيبة مع بعضهما فتغلغلت المؤثرات العربية فى المناطق المسيحية ، وامتزجت بفنها وعاداتها حتى فى عهد الخلافة الاسلامية فىقرطبة التي اخذت فى التدهور السريع بعد وفاة أميرها الموهوب المنصور الحاجب. وكذلك بعد سقوط قرطبة ٦٣٤ هـ .

ملوك الطوائف

وسرعان ما قامت فى اسبانيا دويلات صغيرة يحكمها ملوك يعرفون بملوك الطوائف فكان أغلبهم على جانب عظيم من الثقافة ، فتعددت مراكز العلم والأدب والفن فى شبه الجزيرة الأندلسية ، ولا تزال آثارهم واضحة فى قصر الجعفرية بسرقسطة وكنيسة كريستودى لالوز التي كانت مسجد باب مردم بطليطلة مما يشهد على عظمتهم واتساع نفوذهم من أقصى جنوب الجزيرة الى شمالها .

ولم تنقطع صلة العرب ببلادهم الاصيلة فكانت تفد اليهم من آن لآخر موجات عربية تشد أزرهم وتمدهم بالقوة والسلطان والحضارة العربية .

يوسف بن تاشفين

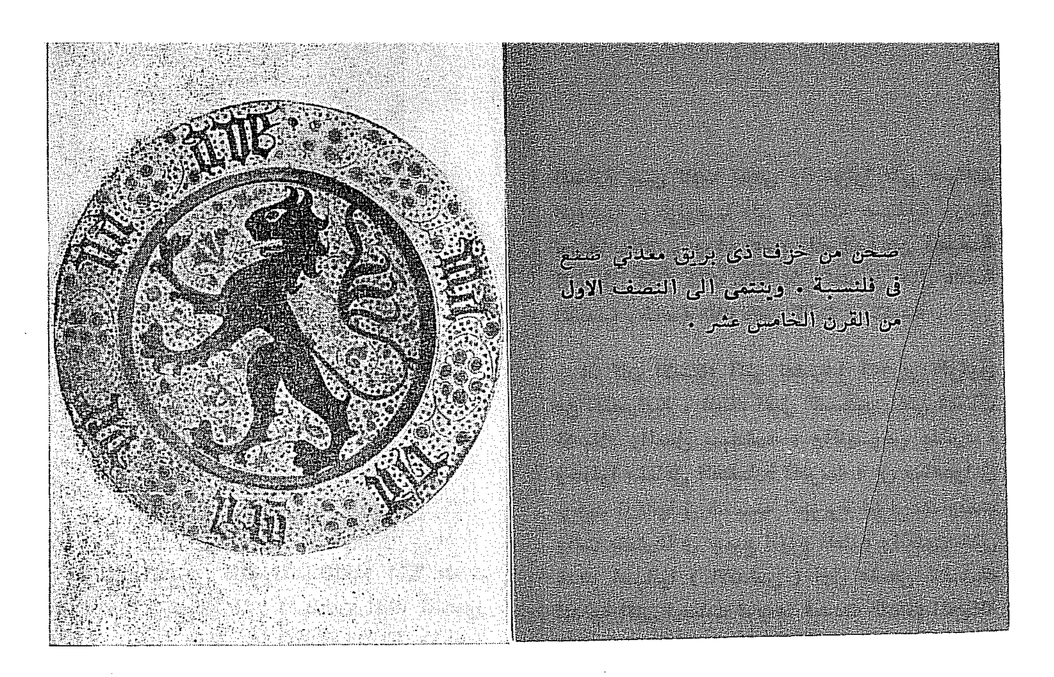
ومن تلك الموجات التي كان لها أثر واضح فى حياة اسبانيا قوة المرابطين بزعامة ملكها يوسف ابن تاشفين وهم من بربر مراكش أو سكانالصحراء التي اجتاحت الأندلس ، ثم خضعت اسبانيا لحكم الموحدين أكثر من قرن بعد أن قضوا على المرابطين وهي طائفة دينية نشأت بجبال أطلس بشمال افريقيا واسبانيا وجعلت منهما دولة واحدة ، ومن آثارهم الخالدة انشاء مدينة اشبيلية وما بها من آثار كالبرج الذهبي والجيرالدة . وكان اضطهادهم للمستعمرين من بنى الأندلس سببا فى هجرتهم الى الشمال . فنقلوا معهم الكثير من عادات المسلمين وأزيائهم وصناعاتهم ، ولما تقدمت فتوحات المسيحيين ، وصاروا يعملون للملوك والأمراء الأسبان تعلم منهم غيرهم وانتشرت أساليبهم الفنية فى الأقاليم الشماليةوالشمالية الشرقيةالمسيحية.

ولم يأت عام ١٢٣٦ حتى انحصر سلطان العرب فى امارة غرناطة الشهيرة الناشطة ، وعلى الرغم من قوة هذه الامارة تحت حكم بنى الأحمر وحماية الجبال لها فانها استنجدت عام ١٤٨٩ بمصر لتنقذها من براثن النصرانية أو جيوش قشتالة وأراجون ومليكتها ايزبيلا وفرديناند فى الوقت الذى كانت فيه مصر تهتز فى كفة القدر ويرنو اليها بنو عثمان بجشع ، فاشتد حصار الاسبان لغرناطة حتى اعترفت بسلطان قشتالة وسقطت عام ١٤٩٢ وكان سقوطها فى نظر المؤرخين ضربة أصابت العالم الاسلامي كله .

وقد شهد المؤرخون الأجانب بعظمة العرب كما دهشوا لذلك الفتح السريع ولقضائهم على مملكة الفرنجة فى أقل من عامين وتوطيد سلطتهم فيما بين البحر المتوسط وجبال البرنييه .. وقل أن تجد مثلا آخر فى التاريخ اجتمعت فيه السرعة والكمال والرسوخ بمثل ما اجتمعت فى هذا الفتح كما يقول المؤرخ الأمريكي سكوت .

الفنون الاسلامية

وقد كان المظنون فى البداية أن هذا الغزو انما هو امر مؤقت فقط ولم يتوقع أحد أن يكون احتلال البلاد دائما . فلما استقرت الجماعات المستعمرة اهتمت بتوطيد اركان الحضارة العربية فى اسبانيا فاستغلت موارد البلاد الخام كمناجم الزئبق والياقوت بالقرب من مالقة واستخراج اللؤلؤ بالقرب من شواطىء تراكونة ، وفتحت الثغور لتجارة الشرق . وبرز العرب فى شتى ضروب أنواع الفنون الاسلامية والحضارة العربية . ونقلوا معهم كثيرا من الأساليب الفنية الأموية والعباسية فالفاطمية .



صحن من خزف ذى بريق معدني صنع فى فلنسية . وينتمى الى النصف الاول من القرن الخامس عشر .

وقد كان نقل هذه الأساليب الفنية اما بطريقة مباشرة على يد صناع من الشرق الى اسبانيا او بطريقة غير مباشرة لانتشار تلك الأساليب فى حوض البحر المتوسط ، ثم انتقلت بدورها الى اسبانيا .

وسواء نقلت الفنون العربية الاسلامية بطريقة مباشرة أو غيرها ، فان ما تركه العرب من التحف الفنية الخشبية أو العاجية او المعدنية والخزفية والمنسوجات الحريرية يدل على التشابه الكبير فى اسلوبها وزخرفتها بينها وبين التحف الفاطمية والمملوكية ، مع اختلاف يسير فى التحف الاسبانية ، لما اكتسبته من طابع محلي ، يميزها عن غيرهـا المصرية . وخير مثل فى التحف الخشبية منبـر المسجد الجامع بقرطبة . أما القطع الفنية التـي عرفت بعد ذلك فكانت اما تقليدا للأساليب الفنية التي عرفت فى القطع الخشبية السالفة أو تطبيقا للاساليب الفنية التي عرفناها فى عصر المماليك وهو تكوين زخارف هندسية من حشوات خشبية على شكل أطباق نجمية وغيرها وحفرها بزخارف نباتية من فروع أوراق الشجر ذات طابع خاص يميزها عن غيرها من بلدان العالم الاسلامي .

وانطبق هذا على جميع فروع التحف الفنية الأخرى العاجية منها أو المعدنية فاشتهرت مدينة المرية واشبيلية ومرسيه وغرناطة بصنع الدروع والآلات الحربية .

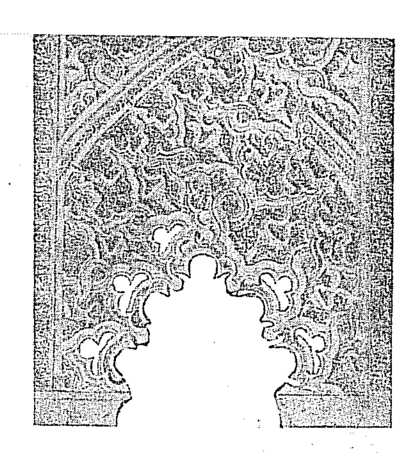
وهناك عامل آخر هام أدى الى ذلك التشابه بين التحف الفنية الاسبانية والعربية الشرقية وهو تبادل الهدايا بين الخلافة العربية والامارات المسيحية فى اسبانيا وبين ملوك المسلمين فى الشرق وخاصة مصر وعن طريق الهدايا انتقلت الأساليب الفنية وطرزها وزخارفها الى الفنون العربيـة المحلية فى شبه الجزيرة الاسبانية .

ويبدو ذلك التشابه واضحا فى صناعة المينـا والخزف الذى نقل من العراق الى القيروان بالمغرب ومنها الى اسبانيا . وتمركزت ملقا بصناعة الخزف ذى البريق المعدنى حتى غدت لا تدانيها فى صناعتها فى العصور الوسطى أى دولة فى أوربا ، ولعل سر اتقان هذه الصناعة يتوقف على مادة الطلاء الداخل فى تركيبها المعدن المطلوب وطريقة حرقها .

واستمرت العلاقات بين مصر والأندلس فى عهد الفاطميين وانتقلت معها الأساليب الفاطمية التي انتشرت فى انحاء العالم الاسلامي حتى ليقال ان بعض التحف المعدنية الاسبانية كالتمثال (الحصان) المحفوظ بمتحف طليطلة الأثرى . انه صنع فى مصر نظرا لما بينه وبين التحف المعدنية الفاطمية مـن تشابه عظيم .

اما فى عهد المماليك فقد كانت هناك معاهـدة تجارية منذ ٦٦٩ هـ (١٢٧٠ م) بين ملك اشبيلية والسلطان بيبرس تبودلت بينهما كثير من الهدايا(١).

٢ ــ عرض النويرى لهذه الهدايا بكثير من التفصيل فى كتابه نهاية الأرب ج ٢٨ ص ٤٨ ــ ٦٩ .



قلاوون وملك قشتالة

وارسل الفونس ملك قشتالة (٦٨١ هـ - ١٢٨١ م) رسولين الى السلطان الملك المنصور قلاوون ومعهما هدية من الخيل والبغال فأحسن السلطان ضيافتهما وأجزل لهما العطايا .

وفى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى أرسل ملوك أرغونة بعض الرسائل الى السلطان الناصر محمد بالتوصية على جميع المسيحيين المقيمين فى المملكة . واهم تلك الرسائل بين ملك ارغونة (برشلونة) يعقوب الثاني والسلطان الناصر محمد خلال سلطنته الثانية والثالثة ، ما بين سنتى ١٢٩٢ - ١٣٢٧ م وقد بلغ عدد هذه الرسائل ستا ، حين بلغ عدد الرسائل التي بعث بها الناصر الى يعقوب ثمان ، وكان الغرض من هذه الرسائل أن يحصل تجار أرغونة على ميزات تجارية فىالمملكة المصرية ، وتسهيل سبيل الحج الىالأراضيالمقدسة لأهالي الغرب ومنح الحرية لرعاياه منالمسيحيين .

ورد عليه الناصر انه اعتبر نفسه حامي الاسلام فى الشرق والغرب وأكد الناصر محمد فى رسالته السابقة انه يبادل الملك يعقوب حبا بحب وودا بود .

وبقدر ما كان تسامح المسلمين فى مصر كان تسامح زملائهم الخلفاء فى الغرب . اذ ساعد اعتدالهم على تخفيف ألم هزيمة المسيحيين . وكان دفعهم للجزية يضمن الحماية لهم كما كان يسمح للورع المتعصب منهم مزاولة شعائره دون تدخل . كما سمح للملحد أن يجاهر بآرائه دون خشية المطاردة على حد قول المؤرخ سكوت . كما قضى الحكام الجدد على جميع عوامل الفساد والاضطهاد التي كانت متفشية فى ربوع البلاد على يد الرومان منذ قرون ، وحطموا سلطة الأشراف والطبقات المتازة حتى كادت تمحي واستولوا على ضياعهم الواسعة وحولوها الى ملكيات صغيرة وزعت توزيعا عادلا . ورفع عبء الضرائب عن الطبقة الوسطى فكان ذلك عاملا على تحسين حال عامة الشعب وخاصة تلك التي كانت مستعبدة .

اذ كان الاسلام أكثر تعضيدا لتحرير الرقيق من النصرانية . لذلك أقبل المسحيون على اعتناق الاسلام والعمل بمبادئه ، والنهوض بنشره ، وحملوا مشاعل الحضارة العربية ، بل ساهموا فى توطيد أركانها فى شبه الجزيرة فترعرعت ونمت وأتت بثمارها فى جميع أنواع العلوم والفنون حتى غدت اسبانيا (الأندلس) أول مشعل لتلك المدنية التي أرسلت ضوءها فبددت ظلمات الجهالة التي عمت أوروبا بأسرها فى العصور الوسطى وأشرقت فيها بنور العلم والعرفان وكانت سببا فى قيام عصر النهضة فيها .

وتعلم الغرب عن المسلمين كثيرا من أسرار حياتهم وصناعاتهم فى العمارة والفنون الزخرفية . ولعل أهم مظهر لهذا الطور الطراز الاسباني المعروف بالموزاراب السائد الانتشار بصفة خاصة فى ليون بالشمال حيث اختلط الفن الشرقى العربى بالفن المسيحيالمسجد الذى كان سائداقبلدخول العرب فى شبه الجزيرة . وهذا الطراز الجديد أكثر ملاءمة للكنائس التي بنيت عقب خروج العرب ككنيسة سانتا ماريا . وسان ميجيل دى اسكلاد وغيرها فتظهر بها العقود التي على شكل حدوة الفرس والتى تشبه الى حد كبير نظيرتها بالحمراء والقبوات التي تعد من أهم ميزات الفن العربي باسبانيا كما أن من المباني التي تنتمي الى فن الموزاراب ما انشىء بأيد مسلمة آتت من الأندلس نفسها .

وتطور فن الموزاراب تطورا كبيرا لكثرة ما طعم به من الروح والفن الشرقي بالفن المسيحي حتى اصبح يعرف بفن المدجنين الذين استخدموا المهندسين العرب لبناء برج تريل فى جواد لوب
Guadelupe Touer of Texuel

وسانتا كلارا دى فورد سيلاز
Santa Clara de Fordesillas

وينسب هذا الفن الى المدجنين أو المسلمين الذين دخلوا خدمة المسيحيين بعد زوال دولة

العرب وقد نشا هذا الطراز فى طليطلة واشتغل الصناع المدجنون فى زخرفة الكنائس ودور الخاصة فى انحاء اسبانيا ونبغوا فى صناعة الخزف والمنسوجات والنقش على الأخشاب والعاج .

خلود الفن الاسلامي

وقد استمرت الأساليب الفنية العربية واضحة حتى بعد خروج المستعربين والمدجنين ١٦٠٩ م رغم المقاومة الشديدة التي واجهتها فى بعض الجهات ، والتنافس الشديد لاستخدام الفن القوطي لمسايرة عصر النهضة فى أوروبا ، وقد اتجهت اليها اسبانيا تستمد تقاليدها وأساليبها الفنية الا أنها لم تستطع الاستغناء عن مقومات الحضارة العربية ، وهي الدعامة التي بنيت على اساسها الحضارة الاسبانية ، وجمعوا بينها وبين الحضارة الحديثة ليوحدوا بين القديم والجديد وتكوين وحدة واحدة منهما ، فاستخدموا من فن المدجنين الطوب والجص فى واجهة العمائر فى عصر الباروك والنهضة . كما استخدموا الزخارف كالجدائل والتطعيم ولذلك يعتبر فن المدجنين حلقة اتصال بين الفن العربي الشرقي والفن القوطي الذى خلفه . اذ أن كل العوامل التي يعتمد عليها هذا الفن شرقية مثل الاقواس المدببة.

كذلك تاثروا فى صناعاتهم التطبيقية بالعرب ، ومنها صناعة الفضة ، فقد ورثوا صياغتها من العرب واستخدموها فى أديرتهم الأندلسية .

ولم يقتصر اثر العرب بعد خروجهم على الفن والصناعة ، وانما امتد ذلك الى الادب واللغة الاسبانية نفسها لدرجة أن أوربا لم تر فى عهد من عهودها حفاوة بالادب وأهله كما رأت فى الاندلس.

ومن الطبيعي الا تزول اللغة العربية من البلاد الا بعد فترة انتقال كبيرة لتحل محلها اللغة الاسبانية اللاتينية الجديدة . وقد استغرقت تلك الفترة نحو قرن من الزمان ويقول الدكتور مانويل جومث « أن اللغة العربية والآداب ظلت سائدة حتى اصبحت اللغة اللاتينية اللغة الدينية فى الكنائس ، بينما ظلت اللغة العربية راسخة فى دم الشعب الى فترة متأخرة من تاريخ اسبانيا » .

وقد ساعدت اللغة العربية اللغة الأندلسية باصطلاحاتها اللفظية الخاصة ومقاييسها الخطابية على تكوين مفردات لغة قشتالة وهي كما هو معلوم لغة اسبانيا الوطنية على ان الكلام الدارج فى بلنسية ومرسية وغرناطة يشتمل على نسبة أكبر من الألفاظ العربية وان جزءا كبيرا من الكلمات والمصطلحات وأسماء الأثاث الفاخر والزينة ما زالت الى اليوم من مصدر عربي . كما أن استمرار استعمال اللغة العربية فى جميع الاتفاقات وجميع العقود الخاصة بالبيع فى طليطلة زهاء جيلين أو ثلاثة أجيال بعد استيلاء الفونس السادس على اسبانيا عام ١٠٨٥ (١) لدليل واضح على الطابع الذى خلفته هذه الحضارة .

وقد امتد أثر هذا التأثير العربي الشرقي الى ما بعد خروج آخر عربي من الأندلس وسقوط مملكة غرناطة فى القرن الخامس عشر ، وظهر ذلك فى كتابة سرفانتز . أشهر كتاب أسبانيا فى القرن السادس عشر . وقد رفع سرفانتز شأن أسبانيا فى جميع أنحاء العالم بفضل كتابه المشهور « دون كيخوت » وقد ولد هذا الأديب بعد خروج العرب من اسبانيا بنصف قرن ، وقد ألف هذا الكتاب بأسلوب سهل يقبل عليه الاطفال ويقرأه الشبان ويفهمه الرجال ويمدحه الشيوخ .

وقد عكس سرفانتز صورته وصورة الشعب الاسباني بل صورة النفس الشرقية العربية فى كتابة دون كيخوت فنجد فيه خيال العربي الخصب والاسراف فى النشاط والاكتفاء بالخيال عن الواقع ، كما صور النفس الاسبانية فى صميمها ولبابها التي استمدت جمالها من النفس العربية الاسلامية .

وما خلفته فى نفوس من تلاها من أجيال الاسبان .

(١) تراث الاسلام ــ ليفى بروتنسال مجلة الكاتب المصرى المجلد الرابع ١٦ يناير ١٩٤٧ .



تدفقى .. تدفقى يا مياه — فهكذا ينبض قلب الحياه

تدفقى فجرا رحيب السنا — إذا بدا شق الدياجى سناه

تدفقى نورا يشع الهدى — لأنه من فيض نور الاله

تدفقى صوتا بعيد المدى — لاتسمع الآفاق صوتا سواه

تدفقى ربيع قلب بدا — ينثر في الآفاق أبهى رؤاه

تدفقى شباب عمر جرى — فيه الضحى .. فازدهرت ضفتاه

تدفقى حبا وروحية — فالحب والروح سبيل النجاه

تدفقى شوقا يحث الخطى — إلى غد تشرق فيه خطاه

الليل كم أيقظ أشجانبه — ودمعة الفجر .. وناى الرعاه

من أين أقبلت ؟ فكم حدثوا — وكم تبارى في الحديث الرواه

من خالق .. من خالق لا يُرى — ولايكاد الوهم يرقى ذراه

وأين تمضين ؟ إلى هوة — يغيب فيها الشيءُ فيما عداه

كالعمر لا يُعرف ما بدؤه؟ — أجل .. ولا يعرف ما منتهاه ؟

ياليت عمرى كله لحظة — تدفقت من خالق لا أراه

«الى المياه المتدفقة من الاعالي بالخير والخصب والحياة»

للاستاذ ابراهيم محمد نجا

تجمعت فيها المنى كلها — وحازت الكون وما قد حواه
أعيشها .. أعصرها مسرة — دفقة نور .. حلوة .. مشتهاه
وحينما أمتصها .. أرتوى — فأدرك الغيب ، وأدرى مداه
ياليتنى أحيا على حالق — قد صافحت نجم الأعالى يداه
كالنسر .. إن طرت فلا عائق — إلا ربا المجهول أو شاطئاه
ترجّع الآفاق صوتى ، فما — يزال في الأسماع حيا صداه
أنشودتى هناك منسابة — كضوء نجم سابح فى علاه
صافية كالنبع .. فواحة — كالعطر .. نور فوق كل الشفاه
لكننى في القاع أنشودة — مخنوقة الصوت كخطو الحفاه
مكذوبة المضمون .. خداعة — بأحرف مصبوغة منتقاه
يا ليتنى .. كم قلت يا ليتنى — ولم أزل في القاع .. واحسرتاه

★★★

تدفقى .. تدفقى يا مياه — فهكذا ينبض قلب الحياه



من هنا ... وهناك

يكتبها الشيخ ع.النمر

ادارة مجلة « الوعى الاسلامى » المحترمين .
الكويت

تحية وبعد ..

نود أن نعلمكم أنه سبق وارسلنا الى سوريا عن طريق وكيلنا فى بيروت كمية خمسمائة نسخة من الوعى الاسلام رقم (١٥) .

وقد وصلنا اليوم كتاب من وكيلنا يعلمنا فيه ان السلطات السورية قد منعت توزيع العدد المذكور فى الاراضى السورية دون ان تبدى أية اسباب .

هذا للعلم .. ولكم صادق التحية .

الكويت فى ١٩٦٦/٧/١٠

مكتب منار للتوزيع
امضاء
عبد العزيز العيسى

عتب خفيف

ذلك هو نص الكتاب الوارد الينا من شركة منار للتوزيع فى الكويت .. وفىالوقت الذى تسلمناه جاءنا البريد برد العددين الاخيرين من المجلة . وكنا ارسلناهما للكاتب والمؤلف الكبير الاستاذ محمد عزة دروزة بدمشق وكتب عليهما كلمة (مرفوض) .. ولم يكن فى الامر مفاجاة لنا ، اذ ان المجلة منعت من دخول سوريا من أول عدد ظهر منها ، وسكتنا على مضض واسف . والرسائل من الكتاب والقراء والمكتبات تأتي الينا من البلد الشقيق بكثرة تطلب المجلة ، وتلوم وتعتب لعدم توفيرها لهم هناك ثم علمنا اخيرا من طريق الشركة العربية انه سمح بدخولها وان الشركة ستتولى التوزيع هناك وفى مناطق اخرى فسررنا لهذه الخطوة الطبيعية ــ وان جاءت متأخرة ــ لانها ستوقف عنا سيلا من اللوم والعتب ، وتتيح للقراء الاطلاع

على نوع جديد من المجلات الاسلامية ، التي جعلت هدفها خدمة الثقافة والافكار الاسلامية ، بعيدا عن جو الخلافات المذهبية والسياسية . وجعلت هدفها احياء الروح الاسلامية الاصيلة ، ولفت انظار المسلمين – ولا سيما الشباب منهم – الى تراثهم الضخم ، وثقافتهم الاصيلة ، وجوهم الاسلامي الطبيعي الذى يجب ان يعملوا على توفيره ، ليعيشوا فيه ، ويسعدوا به ، وتستريح نفوسهم على نسماته ويستردوا امجادهم بعرفانه .

لا شيء اكثر من هذا . لا نتعرض لمذاهب او تيارات سياسية تجرى فى البلاد العربية ولا نمس شخصية حاكمة او وضعا اختاره اى بلد لنفسه ... مقدرين أن الخدمة الاصيلة للاسلام والمسلمين من ناحية دينهم وعزتهم وكرامتهم ، هي ان نقدم لهم الثقافة الاسلامية بعيدة عما يجتاح العالم العربي – مع الاسف – من تيارات وخلافات تعصف به ، وتهد من كيانه ، داعين الى وحدة القلوب التي دعا اليها القرآن ، والتي تحيا بها أمة الاسلام .

ودخلت المجلة بهذا الى كل بلد عربى واسلامي ، والى قلب كل مسلم يطلع عليها فى شتى انحاء العالم .. لم يمنع دخولها بلد من البلاد ، ولم تتوقف على حدود ... اللهم الا فى لبنان ، مع عدد ربيع الأول الماضي حيث نزعت الرقابة منه صفحتين معترضة على بعض كلمات وردت فى مقال «فتح القسطنطينية» وهي كلمات تاريخية ، وعلى بيت من الشعر ورد فى مقال «محمد خاتم النبيين» حينما هاجم ابرهة الحبشى الكعبة ، ومع ذلك لم تمنع المجلة من دخول لبنان ، بل طمست الكلمات التي لا تحبها ، ثم سمحت بدخولها . ونحن وان كان لنا عتب على طمس كلمات تاريخية ، لا نعتقد أنها تشير الى شيء ، او تثير شيئا ، الا اننا مع ذلك نحترم رأى الرقابة ووجهة نظرها هناك ، وان كان هذا لا يؤثر على خطتنا ، أو على وجهة نظرنا ..

اننا لا نأسف لان عدم دخولها سوريا سيؤثر على كمية التوزيع ، فان وزارة الاوقاف لا تهدف الى كسب مادي من ورائها ، بل انها تضحي بميزانية كبيرة خصصت لها من اجل نشر الثقافة الاسلامية ، على ان بلدا عربيا آخر طلب وحده اكثر من عشرة آلاف ولم تستطع ان نلبى طلبه ، حتى بنصف ما طلب ، وكذلك الحال مع بلاد اخرى ، وانما نأسف لهذا الموقف تجاه مجلة اسلامية هذا شأنها ، وتلك خطتها ، نأسف لحرمان اخواننا هناك منها وحرماننا من الاتصال الروحي والثقافى بهم ، مع كثرة طلبهم وعتبهم ولومهم ، ومع حرصنا على تدعيم هذا الاتصال بيننا وبين كافة المسلمين المثقفين .

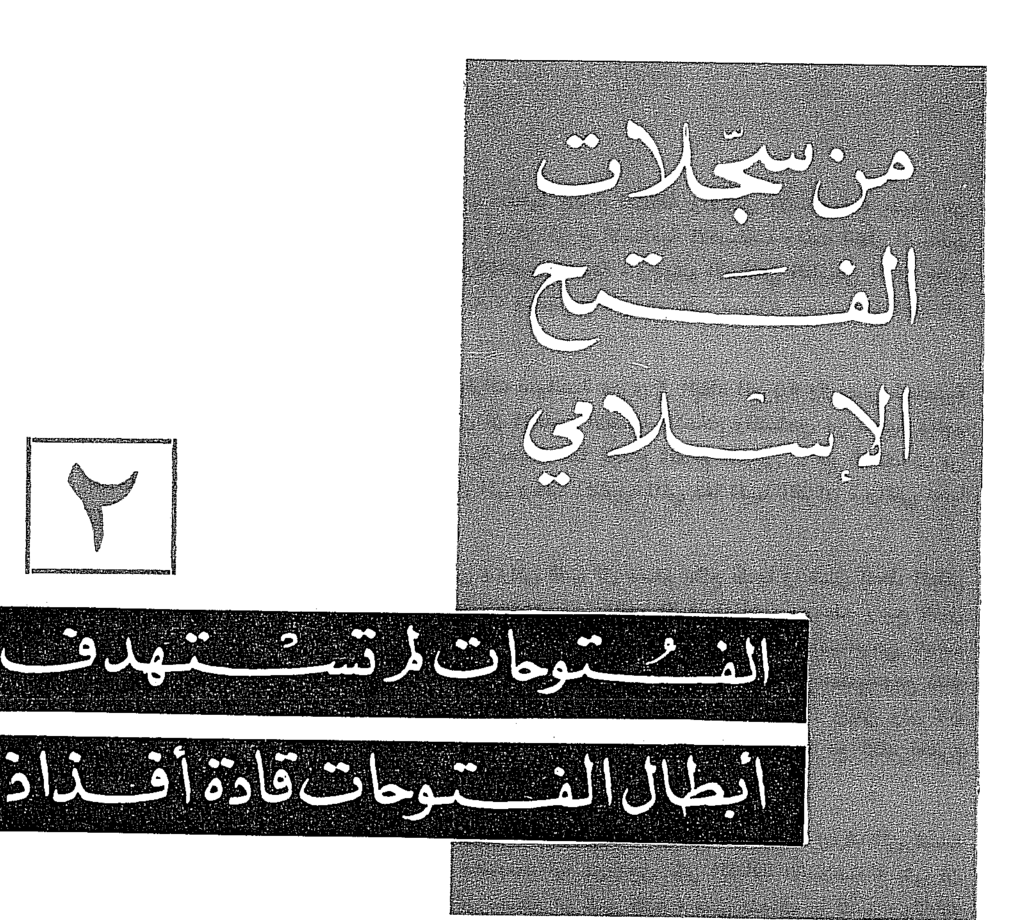
ومع ذلك فان حسن الظن يحملني على أن أقول . لعل هذا المنع لا يعبر عن رأى المسئولين الكبار .. لعل وعسى حتى تجد «الوعي الاسلامي» طريقها الى القراء فى سوريا ، كما تجد زميلتها الكويتية « العربي » ..

الصور الخليعة .. ؟

وهذا المنع او هذا الطمس يجرنا حتما الى الكلام عما تحفل به بعض المجلات من صور خليعة ماجنة ومثيرة وكلام جنسي مفتوح ... فكيف يسمح بلد اسلامي بنشر هذه الصور ؟ وأى هدف وطني او اجتماعي من وراء نشرها ؟ وكيف يسمح بلد اسلامي بدخول مجلة خليعة تحمل هذه الصور المثيرة التي وصلت الى حد نشر المرأة مجردة من أى شيء يستر جسمها ؟ ! .

نقول ونعيد . الشباب ، وتربية الشباب ، والمحافظة عليه من الانحراف .. الى آخر هذه النغمة التي يرددها المربون والفيورون على الشباب عماد المستقبل .. و .. و .. ثم نترك هذه المجلات الداعرة تحطم روحه ، وتقضى على بذور الاستقامة فيه ، والشباب معذور يسير مع غريزتـه التي تنميها وتثيرها هذه المجلات ، ويتهافت على شرائها . والذى يكسب من وراء هذا كله .. صاحب المجلة .. يكسب مالا .. واعداء الامة يكسبون ضعفها وميوعتها ، وانصراف شبابها ، بل ورجالها عن الاهداف الكبرى لها . ثـم نقعد وننعى على الشباب فى هذه الايام انحرافه ! ! .

اننا نطارد المخدرات محافظة على صحة الامة . وهذا واجب ، فكيف لا نطارد هذه السموم الجنسية محافظة على صحة الأمة الجسمية والروحية ؟ وهذا أشد وجوبا ..



الفتوحات فى عهد عمر

لم يفتح من العراق فى زمن أبى بكر الا الاراضى الواقعة غرب الفرات ، وكان من أسباب سرعة انتصار خالد انه كان يطلب رئيس الجيش للمبارزة ، فان برز اليه قتله لا محالة ، فينهزم جيشه ، وان لم يبرز ضعفت ثقة جيشه به ، وضعفت تبعا لذلك قوته المعنوية ، فيكون الانكسار نصيبه حتما اضافة الى عبقريته التى تبدت فى مجال التكتيك العسكرى ، والتى أصبحت فيما بعد مدرسة لرواد التكتيك الحربى حتى عصرنا الحاضر .

وقد تنبه الفرس الى الخطر الذى يهددهم بعد فتوحات خالد فى بلادهم ،فوحدوا صفوفهم وأعادوا تنظيمهم فى الداخل ، وعين رستم قائدا عاما للجيش الفارسى ، وقد علم المثنى باستعدادات الفرس العظيمة فذهب بنفسه الى المدينة يطلب مددا : فوجد أبا بكر على فراش الموت ، فتأخر ارسال المدد حتى تولى الخلافة عمر ، واطلعه على الموقف ، والح بطلب القوى والجند ، فأرسل جيشا الى العراق بقيادة أبى عبيد بن مسعود الثقفى ، وجعله قائدا عاما . وكان رستم وزير فارس حينذاك قد أعد جيشا كبيرا بقيادة (بهمن جاذويه) المشهور عند العرب ب « ذو الحاجب » واعطاه راية الفرس الكبرى (درافش كابيان) المصنوعة من جلود النمر . وجعل فى مقدمة جيشه الفيلة . فانتصر على أبى عبيد فى معركة الجسر قرب الحيرة سنة ٦٣٤م ، قتل فيها أبو عبيد عندما كان يعبر نهر الفرات الى الفرس ، بعد أن كان قد هزمهم فى معركة سابقة ، وارتد جيش المسلمين متكبدا خسائر فادحة .

وحينما تولى المثنى القيادة استعاد السيطرة على الموقف ، وعبر الفرات متراجعا الى الغرب ،

كنا قد نشرنا فى العدد العاشر من هذه المجلة (الجزء الاول) من هذه الدراسة التاريخية التي تتناول بالعرض والتحليل بعض الصفحات المشرقة فى « سجلات الفتح الاسلامي » .. ويسرنا أن نقدم فى الصفحات التالية الجزء الثاني منها .

دراسة أعدها
الاستاذ موفق بني المرجه
محرر بمجلة الكويت

السيطرة وإنما حماية الدعوة
مازالت خططهم تدرس حتى اليوم

واخذ يلم فلول جيشه استعدادا لمعركة اخرى يثأر فيها من الفرس ، فلما وصله المدد اشتبك مع الفرس فى معركة « البويب » على فرع للفرات يمر بمكان الكوفة : فانتصر انتصارا باهرا انتقم فيه لمعركة الجسر .

وقد اثرت هذه المعركة على الفرس ، وخافوا سوء العاقبة ، فتركوا منازعاتهم الداخلية ، وانتخبوا « يزد جرد الثالث » ملكا عليهم . فاستعد هذا لحرب العرب ، وعين رستم قائدا عاما ، فلما بلغ المثنى بن حارثة خبر استعداد الفرس العظيم،كتب الى عمر يعلمه بالامر ، ويطلب منه المدد ، فأهتم عمر بالامر كثيرا ، وأعلن التعبئة العامة فى بلاد المسلمين ، فتجمع الجند المسلمون فى المدينة ، وعقد ما يشبه مجلس الحرب الاعلى ، ونوقشت الخطة الجديدة ومسألة القيادة ، وكان الخليفة يريد ان يسير بنفسه لقتال الفرس فأتفقوا على ان ينتدب غيره للقيادة وان يبقى هو فى المدينة ، وأشاروا عليه بسعد بن أبي وقاص . فأرسل اليه كل ما أمكنه جمعه من مدد بقيادته ، وسار بجيشه حسب تعليمات الخليفة عمر حتى وصل الى زرود ، ونزل بها حيث لحقت به بعض القوى العربية ، وهناك جاءه نعى المثنى متاثرا بجراحه .

وكتب الخليفة ايضا الى ابى عبيدة يأمره باعادة جند خالد الى العراق سيما وان معركة اليرموك قد انتهت . فسار سعد الى العراق ، وعسكر قرب القادسية (وهى قلعة قديمة تقع الى الجنوب الغربى من الكوفة) وكان عدد جيشه (٣٠) ألفا .

معركة القادسية

وكان يزد جرد قد أعد جيشا كبيرا بلغ عدده ١٠٠ ألف بقيادة رستم للقضاء على العرب ،



من سجلات الفتح الاسلامي

فخاف المثنى وتراجع الى غرب الفرات ينتظر وصول جيش سعد ، الا انه اصيب بالحمى ، ولما احس دنو أجله كتب الى سعد رسالة (١) يبين فيها أنجع الوسائل لمحاربة الفرس ، لانه خبرهم وعجم عودهم . فلما سمع سعد بقدوم رستم اعد جيشه اعدادا رائعا واتم تعبئة قواته فى « زرود » ثم تابع الزحف فبلغ « شراف » ونزلها ، وأخذ ينظم قواته استعدادا لخوض المعركة التى يتوقف على كسبها مصير المسلمين فى العراق ، وفى هذا المكان وصلته تعليمات (٢) جديدة من الخليفة عن كيفية تنظيم الجيش ، وقد اختار الخليفة « القادسية » لتكون قاعدة لجيش المسلمين فى هذه المرحلة ، بينما حشد الفرس كل ما استطاعوا من قوة خلال هذه الفترة ، بعد أن أدركوا أنهم على أبواب معركة فاصلة ، فاما ان ينتصروا على المسلمين ويستردوا نفوذهم ، واما أن يفوز المسلمون فيندثر سلطانهم .

غادر رستم المدائن الى الحيرة ، ورتب نقاط اتصال بينه وبين المدائن لنقل أخبار جيشه الى الملك يزد جرد .

وكذلك فعل سعد بينه وبين المدينة ، ليطلع الخليفة على تطورات الموقف .

ثم أرسل الخليفة الى سعد طالبا منه ارسال وفد الى كسرى لتبليغ الفرس وانذارهم ودعوتهم الى الدخول فى الاسلام ، وذلك حقنا للدماء ، وتجنبا للحرب ، فأرسل سعد وفدا الى كسرى وجرت مفاوضات انتهت بطرده ، وبعد ذلك جرت مفاوضات بين وفود سعد ورستم ، ولكنها لم تصل الى النجاح .

ولما استنفد المسلمون الوسائل لمنع الحرب ، أصدر سعد امرا الى قادة جيشه بالتأهب للقتال ، ولما تمت التعبئة ، وصلى الناس صلاة الظهر كان سعد قد اتفق مع قادة جيشه أن تكون التكبيرة الرابعة ، ايذانا بابتداء القتال .

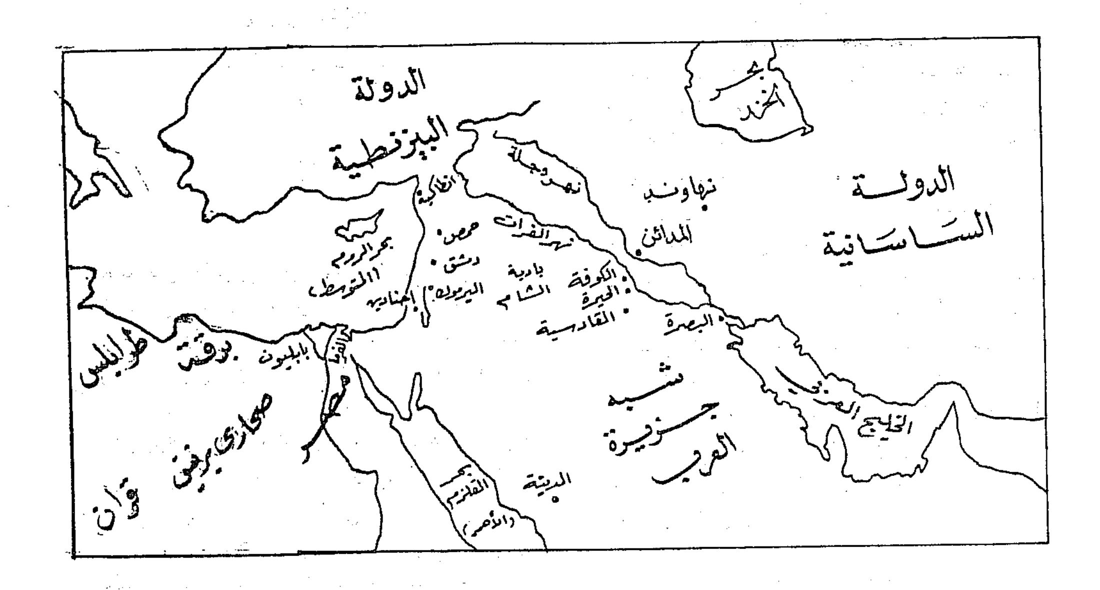
موقعة القادسية

التقى الجيشان عند القادسية فى أول حزيران (يونيو) سنة ٦٣٦م (شعبان سنة ١٤ هـ) ، عند الظهر واستمرا حتى الهزيع الاول من الليل ، وكان فى جيش الفرس عدد من الفيلة ، فاحتدمت المعركة بضراوة لا مثيل لها مدة ثلاثة أيام — أو أربعة فى رأى آخر — كان النصر فى اليوم الاول للفرس لان خيول العرب نفرت من الفيلة ، وسمى العرب هذا اليوم بيوم « ارماث » . وقد أدار سعد المعركة من شرفة قصره ، اذ كان مصابا بدمامل فى جسمه لا يقوى معها على الركوب .

---

(١) نص الكتاب الذى تركه المثنى الى سعد بن أبى وقاص . قال فيه : « قاتل الفرس على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب ، وأدنى مدر من أرض العجم ، فان يظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم ، وان تكن الاخرى فاءوا الى فئة ثم يكونون اعلم بسبيلهم ، وأجرأ على أرضهم الى ان يرد الكرة الله لهم » .

(٢) التعليمات التي وصلت سعد من الخليفة عمر : « أما بعد فسر من « شراف » بمن معك من المسلمين وتوكل على الله واستعن به على أمرك كله واعلم انك تقدم على امة عددها كثير ، وعدتهم فاضلة ، وبأسهم شديد واذا لقيتم القوم فابدءوهم الشد والضرب ، واياكم والمناظرة لجموعهم ، ولا يخدعنكم فانهم خدعة مكرة ، وأمرهم غير امركم ، الا أن تحادوهم ، واذا انتهيت من القادسية فتكون مسالحك على انقابها ويكون الناس بين الحجر والمدر على حافات الحجر وحافات المدر والجراع بينهما . ثم الزم مكانك فلا تبرحه ، فانهم اذا أحسوك انغصتهم رموك بجمعهم الذى يأتى على خيلهم ورجلهم وحدهم وجدهم ، فان انتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ، ونويتم الامانة رجوت ان تنصروا عليهم ، ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبدا ، الا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم ، وان تكن الاخرى كان الحجر فى أدبارهم فانصرفتم من ادنى مدر من أرضهم الى أدنى حجر من ارضكم وكنتم عليها اجرأ ، وبها اعلم ، وكانوا عنها اجبن وبها أجهل ، حتى يأتى الله بالفتح ويرد لكم الكرة عليهم » .



فكان يتمدد فى الشرفة المطلة على ميدان القتال ، ويصدر أوامره بأوراق صغيرة الى خالد بن عرفطة الذى كان الى جانبه فيبلغها خالد الى القادة للعمل بموجبها .

وفى اليوم الثاني استعد العـــرب لمقاومتها فبرقعوا بعض الخيول ، وجللوا بعض الابـــل لتنفير الفيلة ، حتى صار شكلها غريبا ، وأعدوا بعض صناديد العرب لضرب الفيلة بالســـيوف على خراطيمها ، وبالرماح فى عيونها ، فنفـــرت جامحة ، وأخلت بنظام الجيش الفارسي، فاصبحت المعركة مائلة لكنها الى جانب العرب أميــل . وفى هذا اليوم وصل مدد للمسلمين من الشام عدته عشرة الاف مقاتل بقيادة هشام بن عتبة ، فاشتدت عزائم المسلمين بوصول المدد ، وحملوا حملة صادقة ، ودام القتال حتى منتصف الليل. ويسمى العرب هذا اليوم بيوم « أغواث »لوصول الغوث فيه من الشـــام .

وفى ضحى اليوم الثالث اســتؤنف القتـــال بحملة شديدة من المسلمين على أمل انهاء امـــر الفرس ، فقابلهم هؤلاء بحملة مثلها ، لانهم أدركوا أن انهزامهم يعنى فناءهـــم . ثم بـــرز بعـــض الفدائيين المسلمين (١) وصوبوا رماحهم الـــى عيون الفيلة ، وأدخلوها فيها ، فارتدت الفيلة مذعورة ، واوقعت الاضطراب والذعر فى صفوف الفرس ، واندفع المسلمون كالاسود بحملة قويـــة يعصفون بالجيش الفارسى ، حتى شلوا جناحيه، واستمر القتال طول الليل ، وكل جانب يرجو الفوز . وقد دعى هذا اليوم بيوم « عماس » . ويروى بعض المؤرخين تفاصيل اليوم الرابـــع باعتباره اليوم الذى حسمت فيه المعركة بمقتـــل « رستم » فيقولون . ان بوارق النصر والفوز قد لاحت فى ذلك اليوم فشدد المسلمون الحملة على جناحى الفرس وصدقوا فى حملتهم ، وعند الظهر تقهقهر جناح الفرس ، وثبت القلب حيـــث كان رستم على رأس راية فارس الكبرى ،فحول

---

١ ـ من أشهر اقاصيص بطولات هذه المعركة قصـــة البطل الاســـلامي ، أبو محجن الثقفى الذى كان سجينا لتعاطيه الخمر وحينما رأى من نافذة سجنه حوادث المعركة استبدت به الحماسة وما زال يلح على زوجة سعد حتى فكت وثاقه واندفع يقاتل بشدة اذعرت الاعداء فاستغرب سعد واخوانه امـــر الفارس الملثم وقال : « ان الضير ضير البلقاء ـ أى فرس سعد ـ والظفر ظفر أبى محجن وما أن انتهت المعركة حتى سارع أبو محجن اليها لتشد وثاقه من جديد ، ولكن سعد عفى عنه حينما علم الحقيقة فأبطل ابو محجن الخمور بعدها .

من سجلات الفتح الاسلامي

سعد ثقل الهجوم الى القلب ، واصدر أوامره أن تشترك قوى المسلمين كلها فى الحملة على القلب ، وكانت هجمة شديدة اضطرب معهـا جيش الفرس ، وتسابق الفدائيون المسلمون الى سرادق ((رستم)) الذى حاول الفرار حينما شعر بوصولهم ، فلحق به هلال بن علقمة فقبض عليه وقتله ، ثم صعد على سريره وقال (قتلت رستم ورب الكعبة) ، فهلل المسلمون وكبروا ، وتضاعفت معنوياتهم ، وانهارت معنويات الفرس ، فاندفع المسلمون يقاتلون بكل حماسة ، حتى ولى من بقى من جيش الفرس الادبار ، وبدأت عملية المطاردة ، فقتل قسم كبير من الفرس ، وأسر قسم اخر ، وغنم ضرار بن الخطاب راية الفرس .

وكان سعد قد أصدر التعليمات الوافية سلفا لنساء العرب فى القادسية حول العناية بالجرحى وتجهيز الماء والطعام للمقاتلين ، وكذلك خصص أماكن لدفن الشهداء ، وقد قدر شهداء المسلمين ب (٧٥٠٠) بينما جاوز عدد قتلى الفرس اضعاف ذلك . وكانت القادسية من أعظم المعارك التي شهدها المسلمون .

أهداف معركة القادسية

أما الهدف من هذه المعركة التى أدارهـا الخليفة بنفسه من عاصمة خلافته فقد كان القضاء على دولة الفرس باعتبارها العدو اللدود لدولة المسلمين ، والعقبة الكأداء فى وجه الدعوة الاسلامية وقد اوضح الخليفة هذا الهدف للجموع التى احتشدت شرقى المدينة ، ولسعد عندما ولاه قيادة ميدان العراق وكانت الضربة قاصمة للجيش الفارسى فى القادسية ، بحيث لم يستطع الفرس الوقوف امام جيش المسلمين فى المعارك التي تلتها ، وكانت سلسلة من الهزائم حتى تم انهاء أمر فارس فيما بعد .

معركة نهاوند

بعد انتهاء معركة القادسية عين النعمان بن مقرن قائدا عاما فاشتبك مع جيش يزد جرد فى معركة نهاوند . وقتل فى المعركة قبل نهايتها ، وخلفه فى القيادة حذيفة بن اليمان ، فانتصر فى المعركة ، وعلى أثرها سقطت بلاد فارس ما عدا أجزاء صغيرة فتحت فى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وقد تم بذلك تقويض دعائم الامبراطورية الفارسية التى كانت تتحكم بمصائر عدد كبير من الشعوب المستضعفة ، وتفتحت للشعب الفارسى النوافذ ، وعرف الاسلام فأسرع الى اعتناقه ، فكان هذا الفتح نعمة له فى دنياه وآخرته ، ثم توجهت الجيوش الاسلامية بعد ذلك وجهة اخرى حيث يممت وجهها شطر الجزيرة الفراتية .

فتح الجزيرة الفراتية

لما سيطر المسلمون على سوريا والعراق سهل عليهم فتح الجزيرة لان القبائل العربية قد بسطت سلطانها على معظم مدنها قبل الاسلام من حين الى آخر ، ولان سكانها من الآريين كانوا مضطهدين من قبل الكنيسة الملكانية فى ذلك الوقت فرغبوا فى التخلص من حكم الروم .

وقد أمر عمر اياد بن غانم عامله على حمص وقنسرين أن يتوسع فى الجزيرة الفراتية ففتحها كلها فى عام ونصف ، ولم يلق مقاومة الا فى مدينة رأس العين ثم فتح الموصل وهاجم أرمينيا لكنه توفى قبل أن يتم اخضاعها .

ومن جديد اتجهت انظار المسلمين وجهة اخرى حيث التفتوا الى الخصم العنيد الآخر الذى يقف فى وجه الدعوة الاسلامية .. وهو (امبراطورية الروم) .

فتح مصر

وقد رغب عمرو بن العاص أن ينال قسطه من شرف الفتوحات ، فأوضح للخليفة عمر أهمية فتح مصر نظرا لموقعها الهام ولما فيها من ثروة عظيمة ، وليأمن العرب شر الاسطول الرومى بالاستيلاء على قاعدته فى الاسكندرية ، هذا علاوة على كونها

مفتاح الطريق الى شمال افريقيا حيث المجال الخصيب لانتشار الدعوة الاسلامية . لهذا كله اغتنم فرصة وجود الخليفة فى القدس ، واستطاع اقناعه جزئيا بضرورة فتح مصر ، التي طالما راوده الحلم بفتحها لما كان تاجرا وزارها مع قافلته ، فأعطاه عمر جيشا عدده ٤ آلاف جندى، ووجهه لفتح مصر ، وأخبره أنه سيرسل اليه كتابا بعد عودته للمدينة فاذا وصله الكتاب قبل دخول مصر وفيه أمر بالرجوع فليرجع من فوره ، وان كان قد دخل الحدود فليتقدم على بركة الله.

ولما رجع عمر الى المدينة استشار الصحابة ، فبينوا له الاخطار التى تحدق بالحملة ، فأرسل الرسالة لعمرو يأمره بالرجوع فوصلته قبل ان يعبر الحدود المصرية ، ولكنه لم يفضها الا بعد أن دخل العريش ، مخافة أن يكون فيها أمر بالرجوع . واستمر فى سيره متتبعا الطرق التى سلكها الفاتحون لمصر من قبله مثل جنكيز والاسكندر ، فوصل الى (الفرما) وهى أول مدينة محصنة ، فسقطت بعد حصار شهرين .ثم تقدم الى بلبيس ففتحها بعد حصار شهر ،واندفع نحو حصن بابليون الرابض على ساحل فى النيل لكنه لم يحاصره لقلة جنده وعدم وجود آلات حصار معه ، فعسكر فى عين شمس وطلب المدد من الخليفة .

وكان حاكم مصر فى ذلك الوقت المقوقس الذى شغل أيضا منصب بطريك الاسكندرية منذ سنة ٦٣١م ، فأسرع هذا الى الحصن ومعه قائد الجيش العام تيودورس . ولم يمض طويل وقت حتى وصل المدد الى عمرو بن العاص بقيادة الزبير بن العوام فبلغ عدد جيشه ١٠ آلاف ، يقابلهم ٢٠ ألف جندى بيزنطى بالاضافة الى خمسة الاف حامية الحصن . فوقعت المعركة الفاصلة فى عين شمس سنة ٦٤٠ م التي تمزق فيها جيش العدو فهرب تيودورس الى الاسكندرية واعتصم المقوقس فى الحصن . وتقدم العرب وحاصروه وطال أمد الحصار لعدم وجود آلات حصار لديهم ، وجرب المقوقس أن يخدعهم ففشل لانهم لم يقبلوا غير احد شروطهم المعروفة الثلاثة ، لذلك طلب المقوقس وفدا لمفاوضته فى الروضة . وكم كان غيظه عظيما حينما جاءه الوفد برئاسة عبد حبشى وهو عبادة بن الصامت ، غير أنه اضطر الى قبول دفع الجزية وارسل شروط الصلح الى هرقل فرفضها واستدعاه الى القسطنطينية .

ولما لم تنجح المفاوضات استمر المسلمون فى حصار الحصن ، وبعد سبعة أشهر استطاع الزبير بن العوام مع ثلة من زملائه أن يتسلقوا السور بالسلالم فقتلوا الحرس ، وبسرعة البرق ، دوى داخل الحصن صوت (الله اكبر) فتدفق أبطال المسلمين الى داخل الحصن وفتحوه وكان هرقل قد توفى أثناء الحصار وخلفه على العرش ابنه قسطنطين .

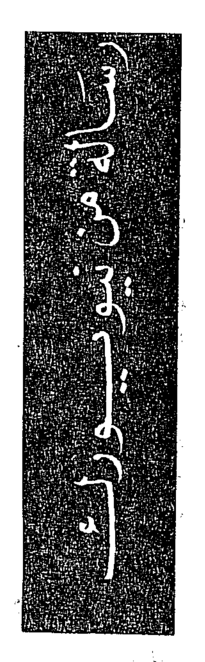
فتح الاسكندرية

بعد سقوط الحصن يممعمرو شطر الاسكندرية ــ أجمل وأقوى مدينة فى العالم بعد القسطنطينية ــ وكانت تحيطها سلسلة من القلاع وكان فيها السرابيوم وهو بناء ضخم فيه مكتبة الاسكندرية ومعبد سرابيس ومسلتان من الجرانيت وتقع أمامها من جهة البحر الفنارة العظيمة التى عدت من عجائب الدنيا السبع .

وقد جاء عمرا مدد من الجزيرة فبلغ جيشه ٢٠ الفا ، وكان عدد حامية الاسكندرية ٥٠ الفا تدعمهم قوة الاسطول الرومى . ولما كان العرب لا يملكون سفينة واحدة ولا آلات حصار اصيبوا بهزيمة فادحة من جراء القذائف التى كانت تسلط عليهم من منجنيقات السور . الا أنها لم تفل من عزمهم واستمروا فى الحصار فأرسل امبراطور الروم عامله المقوقس ليفاوض العرب ، فعقد معهم صلح الاسكندرية وبموجبه يدفع الروم جزية مقدارها ديناران عن كل رجل ، وضريبة الخراج عن الاراضى ، ويتعهدون بعدم ارسال اى جيش لاعادة احتلال مصر ، وبجلاء جيوشهم عن الاسكندرية خلال ١١ شهرا ، وبموجب الصلح جلا الروم عن الاسكندرية ، ودخلها العرب وقد ارسل عمرو الى الخليفة ينبئه بالنصر بكتاب هذا نصه (قد فتحت مدينة أعظم من انتوصف) .

وبذلك أصبحت مصر كلها فى قبضة المسلمين ، وكان للاقباط فضل فى تسهيل الفتح اذ ساعدوا العرب تخلصا من اضطهاد الروم الذين كانوا

ــ البقية على ص ٨٥ ــ



لاقت « رسالة من نيويورك » التي نشرناها في عدد ربيع الأول استحسانا عاما لدى القراء ولهذا نقدم هذه الرسائل التي وردت ايضا من الدكتور محمد عبد الرءوف مدير المؤسسة الاسلامية في نيويورك لما جمعته من معلومات تكشف لنا كثيرا مما يجرى هناك . « الوعي » .

ماذا يجري هناك؟

ان الحركات الاسلامية في نيويورك توجت ـ بفضل جهود المرحوم كامل عبد الرحيم ـ بتأسيس المؤسسة الاسلامية عام ١٩٥٧ وهي التي أعمل فيها الآن ، اجتمعت جهود بعض المسلمين فاشتروا منزلا في أحسن مكان في نيويورك كلفهم حوالي سبعين ألف دولار ، ويساوى اليوم ما لا يقل عن (٢٥٠) ألف دولار (وعلى فكرة كان لجهود السيد كامل عبد الرحيم الفضل الأكبر في نجاح مشروع المركز الاسلامي بواشنطون عندما كان سفيرنا هناك فلما صار مندوب الجامعة العربية لدى هيئة الأمم حاول أن يعمل بنيويورك مثل ما صنع في واشنطون) وتعتبر هذه المؤسسة أكبر الهيئات الاسلامية جميعا وأهمها ، وللأسف لم تتطور منذ بدأت ، وأملي أن تتحسن الأوضاع ويكون لها نشاط اسلامي محسوس في القريب العاجل ، ومن مشروعاتنا التي نهدف اليها بناء مركز اسلامي يحتوى على مسجد كبير مناسب ومدرسة اسلامية تراعى حالة الظروف هنا ، ومكتبة ومكاتب وأماكن لأنواع النشاط الاسلامي والشباب المسلم الى غير ذلك . وهو مشروع يتكلف الملايين ، وقد تلقيت كتابا من السيد سفير ليبيا يفيد بأن جلالة الملك ادريس الأول تبرع بمائتي ألف دولار للمشروع ، ومن قبل تبرع حاكم الكويت الرشيدة بمثل هذا المبلغ وكذلك الحكومة السعودية . وأحاول الآن جهدى للحصول على قطعة أرض بمثابة منحة من احدى المؤسسات الكبرى هنا عن طريق تأييد بعض الأساتذة الأوروبيين بحجة ما ينشأ عن هذا المشروع من منافع ثقافية وأدبية . والأرض وحدها قد تبلغ أكثر من مليون دولار لأن الارض هنا أغلى ما في الدنيا . والله المعين . على كل أرجو أن أكتب لك في المستقبل عن المؤسسة وأغراضها ومشروعاتها ونشاطها ان شاء الله . كما أرجو أن أكتب لك عن الاسلام والمسلمين في أمريكا .

٦٦/٣/٢٠

عزيزي الأخ .

لقد وصلني عدد الهجرة الممتاز ، وكلما قرأت لكم ازداد اعجابي بكم ، وأعجبني نعيكم على المسلمين عنايتهم بعيد الميلاد المسيحي ، وعدم عنايتهم بقدر مناسب بعيد الهجرة . وهنا في نيويورك احتفلنا ــ رغم صعاب مادية ــ بعيد رأس السنة الهجرية أو بذكرى الهجرة ، وكان احتفالا ناجحا بحمد الله ، تحدث فيه بعض سفراء الدول الاسلامية ، وحضره سائر السفراء وزعماء المسلمين ورجال الجامعات ، ولقد كانت هذه أول مرة يحتفل فيها في هذه المناسبة في هذا البلد ، لذا وقعت كلمتكم مني موقعا حسنا لما قرأتها ، وخصوصا لأن الكثيرين هنا سرهم هذا الاحتفال ، وكثير من المسلمين لم يكونوا يفهمون معنى الهجرة، ولكن هذه الكلمة العربية بنصها كانت مكتوبة على بوابة الفندق الذى استأجرنا قاعة خاصة به لهذا الاحتفال لدلالة المدعوين على مكان الاحتفال ، فحفظها المسلمون وغير المسلمين وعرف الكثير معناها ومغزاها بحمد الله . ولعلك تعجب أن نقيم هذا الحفل بعد أيام من الشهر ، ولكن كيف نصنع وليس لدينا مكان متسع بالمؤسسة ، وعلينا أن نستأجر مكانا باحد الفنادق ، وهذه الصالات ليست متيسرة في كل يوم ، وهي في أيام عطلات الأسبوع غالية للغاية ، حيث تؤجر من أجل النشاط الآخر الذي تعرفه وتنعاه في اخلاص على صفحات مجلتك ! .

أخي

لا أدرى ماذا أكتب اليك ، انني لأعاني غير القليل من القلق والحيرة ، وذلك لما يحيط بنا هنا من الحاد صارخ واباحية جارفه وصهيونية ممقوتة ، هل تتصور أن تصدر كتب ومقالات وعناوين كبيرة جريئة تقول ((قد مات الاله)) .. أعوذ بالله ! وتتشدق الصحف عن التسامح ((الجنسي)) وتمتدحه على أنه أمر تقدمي ، فتستعرض ((التساهلات)) من جانب سلطات المدارس والجامعات في شتى الأنحاء ، بحيث تسمح للطالبات بزيارة الطلاب في مخادعهم في وقت متأخر من الليل ، والغاء ضرورة ترك الباب مفتوحا قليلا ، وتذكر مسئوليه هذه السلطات في تزويد الطلاب والطالبات بوسائل منع الحمل ، ويتحدثون عن الشذوذ الجنسي ببساطة وكأنك تتحدث عن بعض ألوان الطعام المباحة ، ومنذ أيام ثلاثة تتحدث الصحف ــ ومنها نيويورك تايمز ــ عن ناد لهؤلاء الشاذين ، سمع هذا النادى بأن السلطات توعز الى أصحاب البارات بألا يرحبوا بذوى الشذوذ الجنسي ، فيقوم ثلاثة من أعضاء النادى بجولة حول عدد من البارات في المدينة ــ بصفتهم الرسمية في النادى ! ــ لتحدى هذا الموقف ، وتذكر الصحف أنهم كانوا يدخلون على على صاحب البار فيقولون نحن (كذا وكذا) والعياذ بالله ! ويطلبون ما يشاءون ، فلم تتردد أكثر هذه النوادى في تقديم طلباتهم ، وتذكر الصحف أيضا أسماءهم وأعمارهم ، هل تتصور أن ذلك يا أخي يحدث فيما يزعمون أنها بلاد العلم والمدنية ! .

أما الصهيونية فحدث عنها ولا حرج ، ومركزها الأكبر عندنا هنا في نيويورك بالأسف ، لا تكاد تذهب الى حانوت أو مكتب أو مصنع الا وتصادفهم ! أتعلم أن هنا في نيويورك مليونين من اليهود ؟ وهل تعلم أن عددهم في أمريكا أكثر من ثمانية ملايين ؟ .

وهل تعلم أن أعضاء ما يسمونه باتحاد الهيئات للاكتتاب لاسرائيل يبلغون سبعمائة وخمسة وسبعين ألف عضو ــ كما ذكرته جريدة نيويورك تايمز صباح أمس (٢٥ أبريل ١٩٦٦)

وهل تتصور أنهم يجمعون سنويا ستمائة وخمسين مليونا من الدولارات ، تذهب منها خمسمائة مليون دولار لاسرائيل المزعومة ، ومائة وخمسون

رسالة من نيويورك



مليونا تشترى بها الذمم من أجل الصهيونية سنويا ؟ ! .

ومما يجرح الفؤاد أن حاكم ولاية نيويورك وقع بالأمس اعلانا يسميه ((يوم استقلال اسرائيل)) ، ويصنع السيد عمدة نيويورك مثل ذلك فيوقع اعلانا آخر يجعل هذا الاسبوع كله ((اسبوع استقلال اسرائيل)) يقولون ان أمس كان العيد الثامن عشر لاستقلال اسرائيل بالتاريخ العبرى ، وليت شعرى كيف يسمى هذا استقلالا ؟ وهل كان ما حدث أكثر من أن عصابة وحشية اغتصبت أرض سادتهم وأملاكهم من عرب فلسطين الأبرياء تحت سيطرة المنتفعين المرتشين وتأييدهم ! وما هذه المجاملة والنفاق من جانب السلطات العليا هنا ؟ انها السياسة والانتخابات ! .

وختاما أرفق بهذا صورة نشرتها جريدة ((نيويورك تايمز)) صباح اليوم ((التقليعة)) أترك لك وصفها (١) ، يقولون عنها اجتمع فيها الجد بالمرح ، والدين مع الرقص ! ترى فيها الشباب يرقصون رقصا خليعا على أنغام دينية في احدى الكنائس الكبيرة هنا ! ويصف القسيس الجمع بأنه ((عبادة قديمة على موسيقى حديثة)) ، ويسمون الخطبة بأنها خطبة دينية راقصة! ويهتف بعض الحاضرين ((سبحوا الله برقصة الروكندرول ! ، انه تعالى يحب ان يرى عباده مرحين سعداء)) ! ! ، ويهتف آخر : سبحوا اسم الله بكثير من الرقص ! .

٢٦/٤/٦٦

عزيزى الأخ

وصلني عدد شهر صفر وأعجبت بتعليقاتكم على أحوال الشباب وخلاعة الشابات ، وتصادف أن قرأت فى نفس اليوم أن المشرف على امتحان الجامعات باكسفورد منع الطالبات من الحضور بالفساتين القصيرة لغرفة الامتحانات لأنه يرى فى ذلك خلاعة لا تتفق مع جلال الامتحان وهيبة الروب الجامعي الذى عليهن أن يرتدينه داخل الجامعة ، بالاضافة الى أن المنظر المكشوف فوق الركبة قد يشغل الشباب عن التركيز على الاجابة عن أسئلة الامتحان ، فكان هذا اتفاقا عجيبا ، زادكم الله توفيقا . كما أعجبني فى العدد بعض النقاط الأخرى مما لا يتسع الوقت للافاضة عنه ، كما أعجبني العدد الأخير أيضا وسرني أن اقرأ فيه مقالا للدكتور زكي على بجنيف عن زعيم اسلامي مجاهد من بلاد القوقاز .

★★★

يزور الملك فيصل الولايات المتحدة الآن ، وقد أحدثت زيارته ضجة هنا ، وخاصة لتصريحاته ضد الصهيونية فى واشنطون أمس ، والمفروض أن يحضر مساء اليوم الى نيويورك ليقضي عشرة أيام بها ، وكان مفروضا أن تعمل له مآدب واحتفالات رسمية ، يقيمها حاكم الولاية وعمدة مدينة نيويورك ، ولكن الصهيونيين ــ لعنهم الله ــ احتجوا بشدة على عمدة نيويورك مما اضطر هذا المسكين الى أن يعلن الغاء الاحتفالات كلها ، وهي ضربة مؤلمة جارحة للغاية بل ما كانت تتصور ، ولكنها تبدي لك مبلغ نفوذ اليهود هنا ، الواقع أنني قد شعرت كأنني أعيش فى «تل أبيب» ، لا يتيسر لنا عمل اصلاحات بدار المؤسسة بسهولة ، لم نستطع اجراء التأمين على مبنى المؤسسة رغم المحاولات المتعددة ، وكما سمعت أن

---

(١) كنت أود نشر هذه الصورة ليراها القارىء ويعجب ولكن حال دون ذلك أسباب فنية .

نفوذ اليهود قد ازداد هذين العامين الأخيرين أكثر من أى وقت مضى ، ولا تخلو الصحف يوميا مما يجرح مشاعرنا ، والأفلام على التلفزيون اليوم عن العرب والجواري والعبيد ليصوروا للناس مبلغ تأخر العرب يوم يزورهم ملك من العرب ، ومنذ أيام وصلني مقال بعثت به احدى المؤسسات اليهودية كتبته يهودية بعنوان « الاسلام كطريق للتفاهم بين اسرائيل وجيرانها العرب .. » يتحدث عن الاسلام بعبارات ظاهرها السلامة وباطنها الحط من الاسلام . ومع المقال كتاب واستمارة لاملأها عن العدد المطلوب من النسخ من هذا المقال لتوزيعها مجانا على طلاب المدرسة كسائر طلاب المدارس ! ! وتظهر فى السوق كتب وروايات كلها تقلب الحقائق التاريخية من طرق ملتوية فيها خلط الحق بالباطل ، خلط الحق الذى يعرفه الناس بالباطل ليظهر الكل فى ثوب مزيف من الحقيقة .

★★★

▣ قرأت فى الأسبوع الماضي عن كتابين ظهرا عن الحروب الصليبية ، أحداهما يصف صلاح الدين باللؤم والخداع ، ويتحدث فيها عن فلسطين بأساليب تفرض يهوديتها ، ثم اذا تحدثوا عن قيام اسرائيل سموه «استقلال اسرائيل» وما حدث من حرب أيامها كان « ثورة اسرائيل ضد الاستعمار الانجليزي لاكراه الانجليز على الخروج » واللاجئون ما خرجوا من فلسطين خوفا من اليهود ، ولكن الحكومات العربية استغلت الثورة الوطنية اليهوديةضد المستعمر البريطاني فأرادت ضرب اسرائيل فنصحت عرب فلسطين بمغادرة البلاد حتى لا يهلكوا مع اليهود فلما انتصر اليهود على البريطانيين واكرهوهم على الخروج واستقر الوضع فى اسرائيل ، فلا يمكن اجبار حكومة اسرائيل على قبول عودة العرب الذين تركوا بلادهمطوعا واختيارا تلبية لدعوة الحكومات العربية ! ولو أطلقت للقلم العنان لضايقتك بطول الحديث .

★★★

▣ سيجتمع مؤتمر اتحاد الجمعيات الاسلامية بالولايات المتحدة وكندا يوم ١٥ يوليو القادم فى مدينة «لندن» بكندا ، وربما أحضره فاذا تمكنت من ذلك فأرجو أن أكتب لك رسالة عنه ، ويسركم أن تعلموا أن حكومة الكويت أهدت مكتبة المؤسسة مجموعة من الكتب العربية القيمة منها مجموعة كاملة لمجلة الوعي الاسلامي للعام الأول من صدورها مجلدة فى مجلدين جميلين باللون الأخضر ، وذلك فى الشهر الماضي وقد سعدت بها جدا . ولعلكم سمعتم عن صدور كتابي عن الملايو الذى كان لكم الفضل فى أن بدأت كتابته فى ٢٢ مارس ، كما صدر لي أربع كتب دراسية قبل ذلك بشهر فى الملايو ، واستعين الله حاليا فى كتابة سلسلة من الكتب الدراسية فى الدين الاسلامي واللغة العربية لاستعمالها فى المدارس هنا ، وقد تم الجزءان الأولان بحمد الله ونسأله تعالى أن ييسر طبعهما قبل بدء العام الدراسي فى سبتمبر ،

والى جانب هذه المدرسة اعتزمنا أن نبدأ مدرسة ليلية بالمؤسسة لتدريس اللغة العربية ، نرجو الله أن يكفينا شر الصهيونيين ، هل تصدق أن ضابط بوليس قال لي انه يعجب كيف يمكن للمؤسسة أن تبقى هنا فى نيويورك ؟ الواقع أننا لو استطعنا أن نبنى مسجدا هنا ذا مئذنة عالية شامخة ، فسوف يكون انتصارا للعالم الاسلامي كله . كان الله معنا .

والسلام عليكم ورحمة الله .

١٩٦٦/٦/٢٢

المخلص

محمد عبد الرءوف



أبو القاسم الزهراوي
نابغة الطب في الأندلس

للدكتور محمد ابو شوك
رئيس الوحدة الباطنية بالمستشفى الاميرى ـ بالكويت

فى الوقت الذى تتباهى فيه بغداد على العالم بعلمائها وبنور المعرفة الذى يشع منها ، وتفخر بفخرها الرازى ، وبالعالم الرئيس ابن سينا . فى هذه الاثناء تبرز قرطبة بالاندلس لتنافس بغداد حاملة مشاعل النور على يد علمائها العرب . وكانت قرطبة فى القرن العاشر أكبر مدينة مزدهرة الحضارة فى أوروبا سكانها حوالى مليون نسمة تحوى ٣٠٠ مسجد و ٧٠ مكتبة و ٥٠ مستشفى . وانشئت جامعتها فى القرن الثامن فكانت المنار الوحيد للعلم فى القارة الاوروبية ، وفتحت أبوابها للمسلمين وغير المسلمين ـ دأب العرب لا يبخلون على أحد بعلم ـ ولم لا واسلامهم دين الرحمة والمحبة والعلم والمعرفة . يأمرهم بالتزود من العلم والتعلم وعرض علومهم على البشرية لينهلوا منها ما شاءوا .

وهذه مكتبة جامعة قرطبة تضم فى جنباتها أكثر من ٢٢٥ ألف كتاب فى شتى العلوم والفنون ، ليرتوى منها كل راغب فى علم لا فرق بين العربى وغير العربى ، المسلم وغير المسلم . فالكل فى محراب العلم سواء .

وتخرج فى جامعة قرطبة علماء أوروبيون كانوا قادة فى دولهم بعد تخرجهم مثل ميكل الاسكتلندى وغيره .

وفى قرطبة الشامخة يسطع نجم الجراحة العربية اللامع أبو القاسم الزهراوى ـ أعظم جراح اسلامى فى المغرب والاندلس فى ذلك الوقت .

ولد أبو القاسم الزهراوى عام ٩٣٦ ميلادية ، ولم يعرف عن حياته الاولى الا النزر القليل . ولكن المعروف عنه

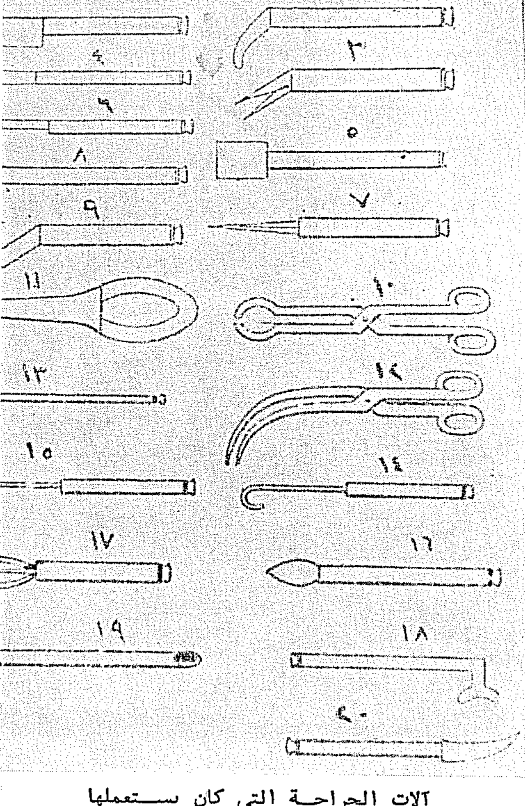
أنه تألق نجمه حتى أصبح الطبيب الخاص للخليفة عبد الرحمن الثالث أعظم خلفاء الاندلس . وكان نبوغه خاصة فى ناحية الجراحة ، فوضع أسسا عميقة لها ، وجعلها فرعا قويا من فروع الطب المتعددة ، بعد أن كان ينظر الى الجراحة فى هذا الوقت نظرة غير لائقة بها ، فاليه يرجع الفضل فى النهوض بالجراحة ، وانى لاحس ان كل جراح يدين بالفضل لهذا العبقرى الفذ . فالى جراحى العرب والاسلام بل والى جراحى العالم أجمع أقدم صورة الزهراوى الخالدة فى علم الطب والجراحة .

التصريف لمن عجز عن التاليف

هذا هو مؤلف الزهراوى النفيس وضع فيه كل تجاربه فى فن الجراحة ، وجاء فى ثلاثين مجلدا وقد احتوت النسخة التى كتبت عن الجراحة على ما يزيد عن ٢٠٠ آلة جراحة ، كان يستعملها الزهراوى فى عملياته . ونظرة دقيقة الى هذه الآلات نرى أن معظمها يستعمل فى الوقت الحالى ، بعد أن ادخلت عليها تعديلات طفيفة من حين الى آخر حتى وقتنا هذا . وانى لادعو زملائى فى الجراحة العامة وجراحة العظام لينظروا الى هذه الآلات وسيجدونها قريبة الشبه للالات التى تستعمل الان . فأية عبقرية هذه التى يتمتع بها جراح العرب الاول .

ثم انظروا معى تروا هذه الآلات التى تطلقون عليها أسماء أصحابها باللغات الاجنبية ، قد اقتبس أصحابها الكثير منها عن الزهراوى قائد الجراحة الاول بينما ننساه فلا نطلق اسمه حتى على آلة من هذه الآلات .

وانه ليجدر بكل جراح عربى أو اسلامي فى عصرنا هذا ان يدقق النظر فى هذه الالات ، ويخرج علينا بآلة بل وبآلات ويطلق عليها اسم رائد الجراحة الاول .



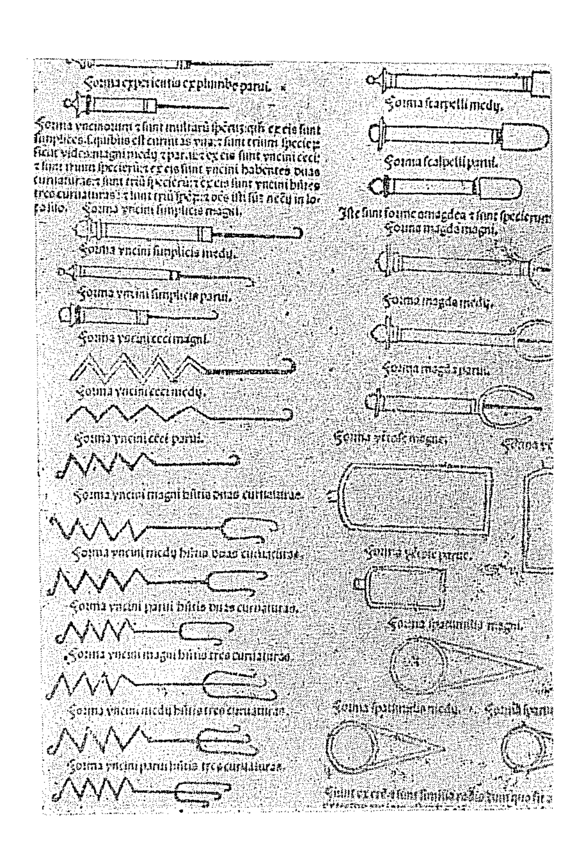
آلات الجراحة التي كان يستعملها الزهراوي ، وكذلك ترى فى الصور الأخرى .

هذا عن الآلات وماذا عن العمليات الجراحية التى قام بها ؟

ففى محيط الجراحة العامة .

فى أوائل هذا القرن طلع علينا الجراحون يقولون انهم توصلوا الى ايقاف النزيف بواسطة الكى ، ولم يعلموا أن الزهراوى كان أول من قام بهذه العملية منذ عشرة قرون مضت . ثم ان الزهراوى كان أول من قام بعمليات سرطان الثدى ، وكان أول من حذر من انتشار السرطان لذا كان له قصب السبق فى هذا المجال وفتح الباب على مصراعيه لكل باحث فى السرطان وانتشاره فى الجسم .

وكذلك قام بعمليات استخراج حصى



المثانة ، وذلك بفتح المثانة أو تفتيت الحصوة ، ويطالعنا جراحو الغرب بانهم أول من قاموا بهذه العملية ، وما كان أجدرنا وأجدرهم أن يرجعوا الى تاريخ العمليات الجراحية ليجدوا الزهراوى فوق قمة من قام بهذه الجراحة .

وفى جراحة العظام .

كان الاول فى معالجة الكسور ، ونظرة الى الالات التى كان يستعملها فى هذه الجراحة نراها لاتختلف كثيرا عن الالات الحديثة اليوم .

وكذلك وصف الزهراوى التهاب المفاصل وسبق بوت Pott فى وصف السل فى العمود الفقرى بـ ٧٠٠ عام .

وكذلك قام بعمليات تشوهات الفم والفك ، وكان أول من أوقف النزيف من الشرايين الكبيرة بربطها ، وبذلك سهل العمليات الجراحية — ومن العجيب أن ينسب الجراح الفرنسى ابرواز بارى Aberoise Pare هذا الى نفسه عام ١٥٥٢م ، وأغفل اسم الجراح العربى وتناساه ، مع أنه سبقه بحوالى ٦٠٠ عام والى ابي القاسم جراح العرب الاول يرجع الفضل فى عملية تخييط الجروح من الداخل ، بحيث لا تترك أثرا على سطح الجلد ، وكذلك طريقة استعمال التخييط بواسطة ابرتين وخيط واحد مثبت بهما — واستعمل الخيوط المصنوعة من أمعاء القطط فى جراحات البطن والامعاء .

ثم ان الزهراوى كان أول من أوصى برفع الحوض والارجل فى العمليات التى تجرى على أسفل الجسم قبل أن ينادى بذلك ترند لنبرغ Trendelburg الالمانى .

وأنت يا أخى فى جراحة الانف والاذن والحنجرة تذكر عندما تقوم بانقاذ مريض بعملية شق الحنجرة تذكر دائما الزهراوى لانه كان أول من قام بهذه العملية ، فقد أجراها على خادمه لينقذ حياته من موت محقق .

وفى مضمار الولادة .

كان أول من وضع نظرية الجفت الذى يستخرج به الجنين من بطن أمه ، ولو أنه استعمله فى استخراج الطفل الميت من بطن أمه ، ولكنه على أى حال فتح المجال لاستعماله فى هذه الحالات . فالى الزهراوى يدين العالم أجمع لهذه الارواح التى عاشت من يوم استعمل الجفت فى استخراج الاطفال الاحياء من بطون أماتهم الى يومنا هذا ، وسيبقى هذا الفضل على مر الزمن مادام الجفت يستعمل فى الولادات العسيرة .

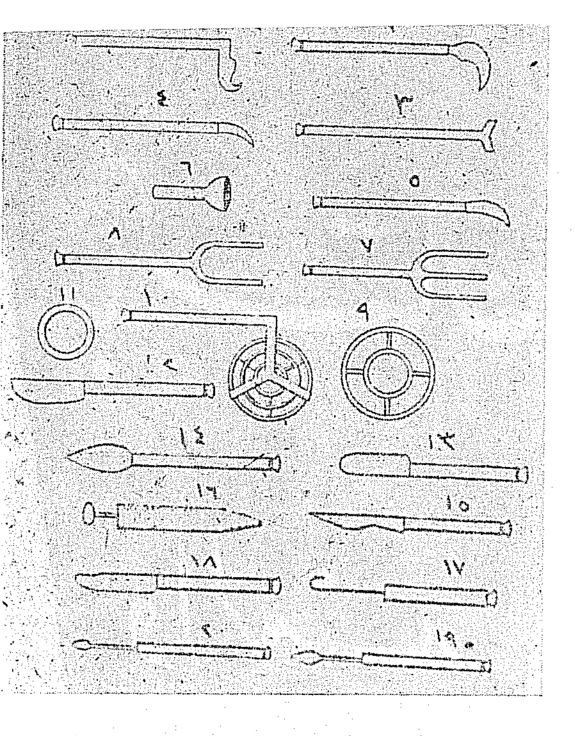
وكذلك وصف حالات الولادة العسرة فى حالة خروج اليد أو الركبة عند بدء الوضع ، كما وصف الوضع الوجهى Face Presentation وكان أول من عالج هذا الوضع. ثم أنه سبق Walcher بمئات السنين فى وصف الوضع الذى تكون عليه المرأة ساعة الولادة ، والذى يعرف الان باسم من نسبه الى نفسه بعد أن أخذه من الزهراوى الا وهو وضع Walcher الالمانى .

ثم ان الزهراوى قام بعمليات فى المهبل ، وأوجد مرأة خاصة بالمهبل ونظره الى الآلات نرى أن من بينها آلات كانت تستعمل لتوسيع عنق الرحم .

ولقد كان تأثير كتاب « التصريف لمن فاته التأليف » للزهراوى واضحا ، فظل المرجع للجراحة قرونا طويلة ، فكان يدرس فى مدرستى سالرنو ومونبيليه وغيرها فى مدارس الطب المتقدمة فى العصور الماضية ، ولقد تأثر به جاى ، وروجر ، ولانفرانك وغيرهم الذين يرجع اليهم الفضل فى التشريح والجراحة فى أوروبا ، فكان هذا الكتاب نبراسا لهم وهاديا الى هذا التطور الجراحى الذى تتمتع به أوروبا فى هذه الايام .

ولقد ترجم الكتاب فى فنيسيا فى سنة ١٤٩٧ واستراسبورج سنة ١٥٣٣ وبازل سنة ١٥٤١ والجزء الخاص بالجراحة ترجم الى اللاتينية فى مجلدين فى اكسفورد سنة ١٧٧٨

وهكذا سما الزهراوى بالجراحة الى المكانة اللائقة بها ، واليه والى العرب فى كنف الاسلام الحنيف يرجع الفضل فى رفع مستوى الجراحة وفى بقاء علم الجراحة ذلك الفرع من الطب الذى خفف من آلام المرضى ونجاهم من موت محقق لولا التدخل الجراحى .



قرر بابوى عجيب .

وشتان ما بين العرب فى تلك العصور وبين الغربيين عندما كانوا يصفون الجراحة بأنها عملية حقيرة لا يحترفها الا الجلادون والجزارون والحلاقون حتى ان قرار « نورس البابوى » عام ١١٣٦ حرم تدريس الجراحة فى مدارس الطب ، وأعلن أن أى طبيب يقوم باجراء أى جراحة ما هو الا حقير وغير شريف فالى العرب خاصة والى المسلمين عامة أقدم فخر الجراحة أبو القاسم الزهراوى كما قدمت من قبل فخر الطب الرازى فاليهما يرجع الفضل كل الفضل فى علم الطب ـ علم التضحية والانسانية .

وفاته .

وتوفى الزهراوى عام ١٠١٣ ميلادية بعد أن خلد ذكراه ووضع اسمه على قمة الجراحين العرب وغير العرب . فرحمة الله على الجراح الاول الذى سما وعلا فى كنف الاسلام الحنيف .



للعرب وللكويت بصفة خاصة علاقة عميقة الجذور بشبه القارة الهندية ، ترجع الى ما قبل الاسلام ، وزادت هذه العلاقة وثوقا عندما دخل الاسلام الى تلك البلاد، منذ عهدالخلفاء الراشدين.. واصبح للمسلم هنا اخوة له هناك يعيشون فى شبه القارة ، يرفعون شعار التوحيد ويتجهون للكعبة ... وفى مثل هذه الايام من العام الماضى شغل العالم وفى مقدمته المسلمون بالنزاع الدموى الذى قام بين الشقيقتين الهند وباكستان .

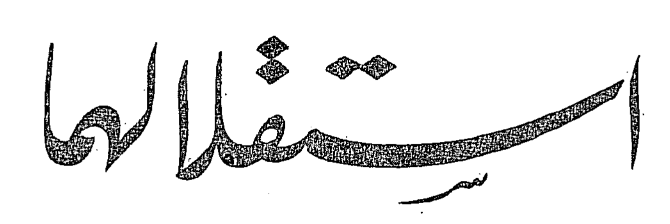
وفى اغسطس من كل عام تحتفل الشقيقتان بعيد استقلالهما ، بعد ان رزحتا معا تحت عبء الاستعمار وذاقتا سويا مرارته ، وكافح المسلم والهندوسى جنبا الى جنب ، واختلطت دماؤهما معا فى سبيل التحرر والتخلص من قبضة الاستعمار .

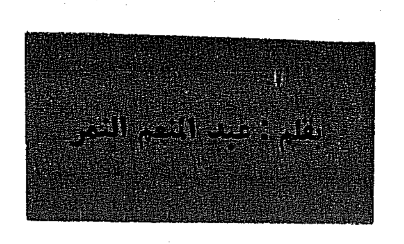
وبودنا هنا فى هذه المناسبة أن نقدم لك دراسة تاريخية عن ظروف قيام الدولتين ،وذلك بمناسبة عيد استقلالهما : وقد حلينا الغلاف بصورة لمسجد فخم أقامه المسلمون الذين حكموا شبه القارة ، قبل ان يسيطر عليها الاستعمار الانجليزى ... وقد اردت ان اكتب لك هذه الدراسة ولكنى وجدت أن أنسب وأوفى ما اقدمه لك منها هو تلك الخاتمة التى ختمت بها كتابى « كفاح المسلمين فى تحرير الهند »

ولعل من المفيد ـ قبل ان اقدم لك هذه الدراسة التاريخية ـ ان امر معك سريعا بتاريخ شبه القارة منذ دخلها الاسلام .

فقد طرق المسلمون العرب ابوابها من ساحل بحر العرب منذ عهد الخلفاء الراشدين وتقدمت خطاهم داخل البلاد بأرض السند فى عهدالامويين والعباسيين ، ثم حين ضعف العباسيون اقام المسلمون فى الهند امارتين اسلاميتين وظل الامر على ذلك حتى طرقت ابواب الهند من الشمال جيوش اسلامية اخرى بقيادة السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوى حاكم افغانستان الذى توغل فى ارضها ، وحالفه النجاح فى كل لقاء التقى به مع حكام الهند .. وكان ذلك سنة ٣٩٢ هـ (١٠٠١م) .

حتى اذا انتهت الدولة الغزنوية على يد الدولة الغورية تابعت الاخيرة خطة سابقتها فى التوغل بأرض الهند .. حتى سقطت مدينة دلهى فى يد المسلمين سنة ٥٨٩ هـ ـ ١١٩٣ م ..





ومنذ ذلك الوقت ظلت دهلى أو كما سماها الانجليز دلهى عاصمة الدولة الاسلامية فى الهند الا فى فترات قليلة .. وبدأ الملوك المسلمون يستقرون فيها ، ويحكمون البلاد منها .

وقد تعاقب على حكم الهند عدة دول اسلامية ، كل منها تأخذ الحكم من سابقتها ، حتى كانت الاسرة التيمورية المغولية اخر الاسر التى حكمت الهند من ٩٣٢ هـ الموافق ١٥٢٦م الى ان قضى الانجليز على آخر امبراطور منها ١٢٧٣ هـ — ١٨٥٧م .. وادخلوا الهند ضمن مستعمرات التاج البريطانى ، بل كانت باتساعها وغناها اغلى درة فيه كما كان يقال ..

وقد كان حكام الاسرة التيمورية اعظم من حكموا الهند من المسلمين وذلك فى العهد الاول من حكمهم ، واقاموا فيها حضارة مزدهرة تكاد تفوق الحضارات الاسلامية الاخرى ، وتركوا من اثار هذه الحضارة ما تفاخر به الهند الان ، وفى مقدمة هذه الاثار « تاج محل » احدى عجائب الدنيا السبع .. وقد أقامه الامبراطور شاه جهان فى مدينة « آجرا » كما بنى القلعة الحمراء والمسجد الجامع الفخم بمدينة دهلى ..

ولكى تتصور عظمة الاباطرة المسلمين الذين حكموا الهند اسوق اليك هذه الواقعة التى ذكرها كتاب حضارة الهند لجوستاف لوبون .

حين بدأ لعاب الانجليز يسيل على خيرات الهند وتكونت شركة الهند الشرقية الانجليزية ارسل ملك انجلترا جيمس الاول رسولا الى الامبراطور المسلم « جهانكير » (١٠١٤ — ١٠٣٧ هـ الموافق ١٦٠٥ — ١٦٢٧م) ومكث الرسول الانجليزى سنتين ينتظر سماح الامبراطور له بمقابلته واخيرا طلب ان يحمل كتابا من الامبراطور لمليكه فكان رد رئيس وزراء الامبراطور عليه « ان مما لا يناسب قدر ملك مغولى مسلم ان يكتب كتابا الى سيد جزيرة صغيرة يسكنها صيادون بائسون .

وفى هذا الوقت كان الانجليز قد بدأت خطتهم على ارض الهند باسم التجارة ، وبدأت شركة الهند الانجليزية الشرقية عملها باذن من الاباطرة وهم لا يتصورون انها اخيرا ستقضى عليهم وعلى امبراطوريتهم ولكن هذا ما كان ، وانتهى الحكم الاسلامى على يد الانجليز ١٨٥٧م .

ودخلت الهند فى قبضة الاستعمار الغربى ، وبدأ المسلمون فيها يلاقون اقسى انواع الظلم والعنت والاضطهاد على يد الانجليز ، خوفا من ان يرفعوا رؤوسهم ، ويعيدوا ملكهم السليب .. والمسلمون تقوم لهم جيوب مجاهدة هنا وهناك ، والانجليز يطاردونهم .. حتى بدأت حركة التحرر بقيادة زعماء المسلمين والهندوس معا فى مطلع هذا القرن ، وكان المسلمون بحكم ثاراتهم من الانجليز فى مقدمة المضحين والمجاهدين ، حتى انتهت الامور اخيرا الى تخلى الانجليز عن الهند وتسليمها لاهلها فى اغسطس سنة ١٩٤٧م ...

ولكن اهلها لم يفرحوا باستقلالهم فرحة كل شعب يحصل على استقلاله ، فقد انقسمت البلاد ، واصر اغلبية المسلمين على ان تكون لهم دولة ، وعارضهم الهندوس وبعض المسلمين .. وقامت مذابح بينهم فى الوقت الذى نالوا فيه استقلالهم .. فكانت البلاد كالعروس التى تزف فى بحر من الدماء ، وعلى اشلاء القتلى ، ورأى المسلمون والهندوس معا من المآسى ما لم تشهده بلاد اخرى مما لا يزالون يعانون آثاره حتى الان .

واذا كان لنا من رجاء بمناسبة ذكرى استقلال

الهند وباكستان فهو ان تتغلب الحكمة على قادة الدولتين حتى يقضوا على الآثار التى خلفها المستعمرون وراءهم ، وعلى الجروح و «الخراجات» التى تركوها فى جسم الدولتين ، حتى يرفرف السلام والصفاء على ربوعهما ، ويتعاونا معا فى سبيل الخير المشترك لشعبين كانا الى عهد قريب شعبا واحدا يجابه المستعمر صفا واحدا .

وبعد ذلك هيا بنا الى صفحة ٣٣٧ من كتاب « كفاح المسلمين فى تحرير الهند » لنقدم لك دراسة تاريخية لنعرف منها كيف قامت الدولتان والظروف التى أحاطت بقيامهما :

« تمخض الجهاد المشترك - كما عرفنا - الى تقسيم الهند الكبرى الى دولتين : بهارت أى الهند ، وباكستان ، فى ١٥ اغسطس ١٩٤٧ ، ولم يكن حظ الدولتين متساويا فى هذا التقسيم ، لا من حيث المساحة ، ولا السكان ، ولا المدن الكبرى ، ولا مراكز الصناعات ، ولا من حيث الوضع العام لرقعة الدولة .

فقد قام التقسيم على أساس الاغلبية الدينية فى المنطقة : الاغلبية الهندوسية للهند ، والاغلبية المسلمة للباكستان ، والمسلمون اقلية بالنسبة للهندوس ، فقد كانوا يبلغون حين التقسيم نحو مائة مليون مسلم ، وهم وان كانوا موزعين فى أنحاء الهند ، بحيث لا تخلو منهم قرية أو مدينة ، الا انهم كانوا يكونون نسبة عالية فى الشرق ، وكذلك فى الغرب .

باكستان

فكان من حظ باكستان منطقتان : احداهما فى الشرق الاقصى من البلاد الهندية وهى البنغال ، وثانيتهما فى أقصى الغرب منها وهى ارض السند. ويفصل الواحدة منهما عن الاخرى مسافة نحو « ١٢٠٠ » الف ومائتى ميل من الاراضي الخاصة بالهند .. كما أن الطريق البحرى بين المنطقتين طريق طويل ، يبدأ من كراتشى على ساحل بحر العرب ، وينتهى عند موانى البنغال فى خليج البنغال ، ويبلغ ٢٥٠٠ ميل .

وكان هذا الوضع ، هو أحد الاوضاع الشاذة والصعبة ايضا فى تكوين الدولة الجديدة ، وسير حياتها ، فهو وضع تتخلف عنه متاعب عديدة للدولة ، ان لم يكن من ناحية الحكم ، فمن ناحية الدفاع ، والاقتصاد ، والاتصال المباشر بين سكان الدولة الواحدة .

فكم يلزم تبادل المنافع الاقتصادية بين الجزأين من صعوبات . وكم يلزم الدفاع عنهما كذلك من أعباء ونفقات لاعداد جيش قوى فى كل منهما ، يصلح للدفاع وحده عن حدودها الممتدة ،المجاورة لدول عديدة فى الشرق او فى الغرب ، ولو لمدة تتسع لوصول المدد من الناحية الاخرى ، ان استطاع التغلب على الصعوبات والمخاطر التى يتعرض لها فى الطريق ؟! .

والجزآن لا يربطهما رابط من روابط الجنس أو اللغة او الارض ، والرابط الوحيد بينهما هو رابط الاسلام ، الذى جعل منهما دولة واحدة ، وهو بلا شك من اقوى الروابط التى تربط الامة، ان لم يكن أقواها ، ولا سيما فى وقت قامت فيه الدولة الجديدة على اساسه ، لتجابه تعصبا دينيا آخر ، خشوا منه على تراثهم ومصالحهم .

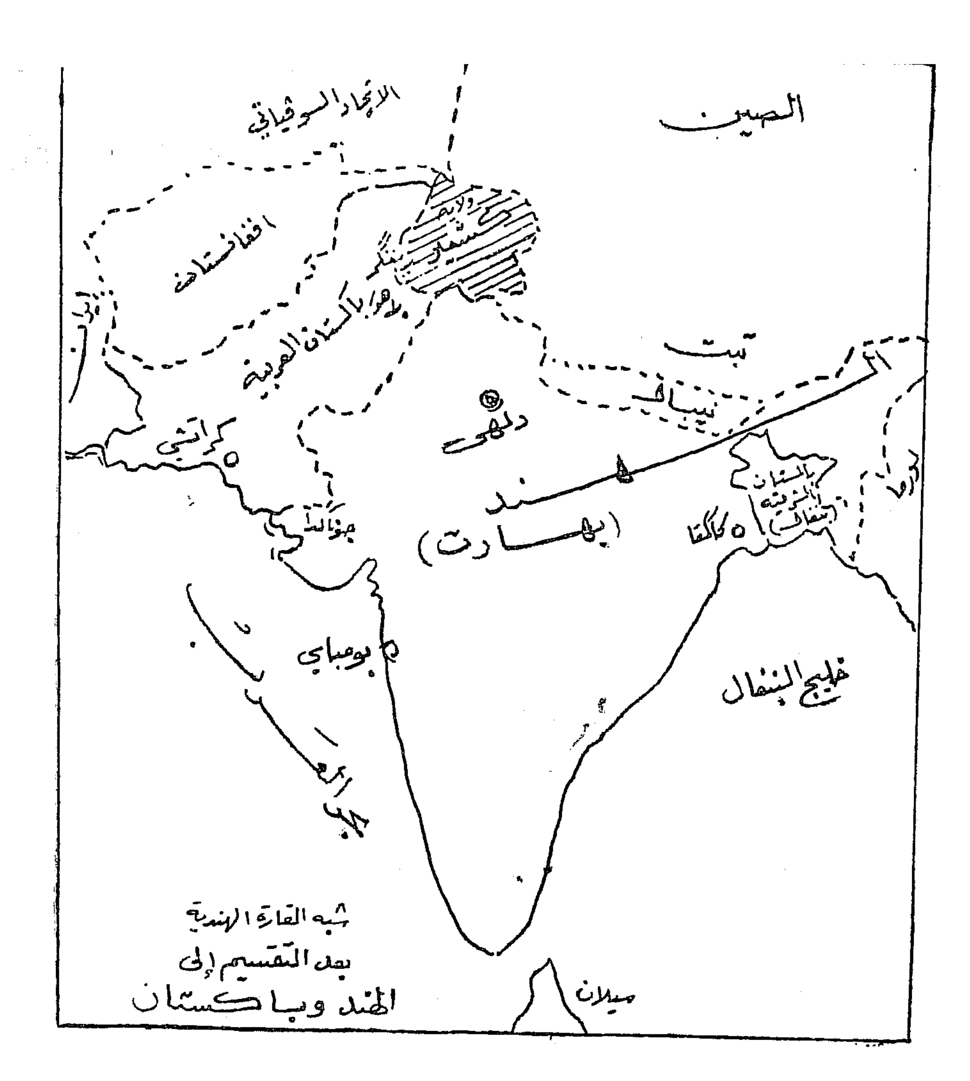
ولكن الى متى يظل هذا العامل مسيطرا على روح الشعب ، دافعا له الى الوحدة مع شقيقه فى الناحية الاخرى ، متغلبا على الصعاب الاخرى التى تجابهه ؟ هذا هو السؤال الذى يجيب عليه الزمن .

والقسم الشرقى (البنغال) : خصب ، غزير الامطار كثيف السكان ، مساحته نحو ٥٤ ألف ميل مربع ، وهى أقل من مساحة القسم الغربى ، ولكن عدد السكان فيه نحو ٤٢ مليونا .

بينما تبلغ مساحة الباكستان الغربية نحو ٣١٠ الف ميل مربع ، وسكانها نحو ٣٣ مليون نسمه ، أى ان مساحة الجزء الغربى نحو خمسة اضعاف الشرقى ، ومع ذلك فهو آقل منه فى عدد السكان ، نظرا لكثرة الاراضى الصحراوية فيه ...

وجملة عدد السكان شرقا وغربا نحو ٧٥ مليونا حسب احصاء ١٩٥١م (١) ونسبة الاقليات من هندوس وبوذيين ومسيحيين ومجوس ، تبلغ نحو

(١) فى احصاء سنة ١٩٦١ بلغ مجموع السكان٩٣ر٧٢٠ر٦١٣ مليونا . فى الغرب ٤٢ر٨٨٠ مليونا وفى الشرق ٥٠ر٨٤٠ مليونا ، وعدد المسلمين فيهما :٨٢ مليونا ونصف أى بنسبة ٨٨٪ والهندوس بنسبة ١٠ر٧٪ والباقى طوائف أخرى .



١٤٪ ، ولكن نسبتهم فى الشرق أعلى ، اذ تصل نسبة الهندوس نحو ٢٣٪ من عدد السكان .

والعاصمة هى كراتشى ، وهى ميناء على البحر العربى فى باكستان الغربية ، وقد تقرر نقل العاصمة الى مدينة « راولبندى » فى أقصى الشمال . أما عاصمة القسم الشرقى فهى مدينة « داكا » .

ظروف عصيبة

وقد نشأت الباكستان فى ظروف عصيبة ، يكفى فيها ان نتصور قيام دولة جديدة بكل اجهزتها الضرورية فى ظرف سريع ، فقد كانت دلهى هى العاصمة قبل التقسيم ، والمدن الكبرى كلها تقريبا كانت من نصيب الهند ، ولم تكن كراتشى فى عداد هذه المدن ، مثل بومباى وكلكتا .. وقد انتقل الجهاز الحكومى اليها ، ليواجه مصاعب الدولة الجديدة وضرورياتها .. وفى هذا الظرف جابهت الدولة الناشئة ظروف تدفق اللاجئين الذين بلغوا نحو سبعة ملايين .. وما يحتاجه مثل هذا العدد من توفير الاقامة له وحل مشاكله .

ثم ان هناك حقيقة يجب ألا نهملها ، وهى أن الاراضى او المدن التى كانت من نصيب باكستان، لم يكن فيها من الثروة المعدنية ، ولا من المراكز الصناعية مثل ما كان للهند ، بل كانت شبه خالية تقريبا من ذلك ..

فلقد عمل الانجليز منذ استقروا فى الهند ــ كجزء من خطتهم فى اضطهاد المسلمين ــ على اهمال المناطق التى يكثر فيها عدد المسلمين ، وركزوا الصناعات والجامعات والمكتبات ، وعمليات انشاء الطرق ، وكل مظاهر العمران الهامة فى المناطق التى تسكنها اغلبية هندوسية .. وهذا شيء ملاحظ لا سبيل الى انكاره حتى أن الزعيم

ــ البقية على ص ٨٦ ، ٨٧ ــ

اعرف وطنك



جزر المالديف ٢

الجنة العائمة وسط المحيط

للاستاذ مأمون عبد القيوم
عضو البعثة المالديفية بالازهر

« صفحات مجهولة »

يبدأ التاريخ المالديفي الحقيقي بدخول الاسلام، واما الفترة السابقة لذلك فلا يعرف عنها الا اقل القليل ، وهو ما ذكره المسعودى فى كتابه « مروج الذهب » الذى الفه فى عام ٣٣٢ هـ أى قبل اعتناق المالديفيين الاسلام بقرنين .

وقد وصف المسعودى المالديف بانها بلاد مستقلة يحكمها ابناؤها ، وبانها متقدمة فى الصناعات اليدوية وتصدر منتجاتها منها الى البلاد القريبة ، وقال ان المالديفيين يستخدمون الودع فى المعاملات التجارية بدل النقود ، كما قرر أن التى تحكمهم امراة وانهم يعبدون الأوثان وان المالديف بلاد يسودها الرخاء ، وأن كميات كبيرة من العنبر تاتى بها الأمواج الى شواطئها .

هذا كل ما كتبه المسعودى عن المالديف ، وهو كل ما نعرفه عنها قبل اسلام أهلها ، وأما ما عداه فصفحات مجهولة قد تكشف عنها الأيام وقد لا تكشف .

« تأريخ مجيد »

ومن دواعي الفخر لدى الشعب المالديفي ، أن بلاده قد احتفظت بكامل حريتها واستقلالها منذ أقدم العصور ، رغم صغرها وقلة سكانها ، فقد روى المسعودى فيما سبق أن المالديف كانت دولة مستقلة قبل دخول الاسلام ، وهي الفترة شبه المجهولة فى تاريخ هذه الجزر ، وأما بعد اسلامها فنعرف انها ظلت محتفظة باستقلالها وسيادتها على أراضيها فيما عدا ثلاث مرات .

كانت المرة الأولى عندما أغار عليها الاسطول البرتغالي بقيادة الادميرال اندرسون فى منتصف القرن السادس عشر الميلادى ، واستولى على البلاد بعد معركة عنيفة ، ضرب فيها الشعب المالديفي مثلا رائعا فى الدفاع عن الوطن بقيادة السلطان علي رسجفان الذى كان ملكا على المالديف فى ذلك الوقت ، ولم تنته المعركة الا باستشهاد مئات من المالديفيين الاحرار من بينهم السلطان نفسه ، وقد أقام الشعب ضريحا يضم جثمان البطل الشهيد فى المكان الذى استشهد فيه على الشاطىء الغربي لجزيرة « مالى » العاصمة ، وما زال موجودا هناك رمزا للبطولة والفداء .

وقد حكم البرتغاليون المالديف بالحديد والنار ، وحاولوا أن يجبروا الناس على الارتداد عن الاسلام واعتناق المسيحية ولكن دون جدوى ، ولم يدم

حكمهم سوى ١٦ عاما ، اذ هيأ اللـــه للمالديف أعظم أبطال تاريخها فى شخص شاب من احدى جزر الشمال اســمه « محمد تكرفان » ، استطاع أن ينظم صفوف الشعب ، ويقود معارك خاطفة ضد البرتغاليين ، انتهت بقتل اندرسون وكثير من جنوده وانتصار الشعب على أعدائه ، وتولى البطل القائد حكم البلاد وعرف باسم « السلطان الغازى محمد تكرفان الأعظم » .

والمرة الثانيــة كانت عندما هاجمها المالا باريون فى منتصف القرن الثامـن عشر واسـتولوا عليهـا ، وكانت فترة حكمهم قصيرة جدا ، اذ لم تدم سـوى أربعة أشهر ، استرد بعدها الشـــعب المالديفي حريته السـلبية بعد معركـة ظافرة قادها البطل حسن عز الدين .

وأما المرة الثالثة والأخيرة فهي الفترة التي خضعت فيها المالديف للحمايـــة البريطانية ، ابتداء من عام ١٨٨٧ حتى يوم الاستقلال فى العام الماضي .

« ملكات حكمن المالديف »

والتاريخ المالديفي زاخر بشخصيات نسـوية قوية ، فرضن أنفسهن على الحياة العامة ، وتولين أعلى منصب فى الدولة وهو منصب السـلطان ، فقد ارتقت اربع ملكات فيما نعرف عرش البلاد فى فترات مختلفة ، واحدة منهن قبـــل دخول الاسلام الى المالديف ، وقد حكمت البلاد فى القرن الرابع الهجـرى ، وهي التي ذكرها المسـعودى والثلاث الاخريات تولين الملك بعد دخول الاسلام ، بل وفى قرن واحد هو القرن الثامن الهجرى .

واشهرهن هي السلطانة خديجة رهندى التي حكمت المالديف (٣٥) سـنة كاملة على ثـلاث فترات ، تخللتها فترتان حكم فيها اثنان من الملوك ، وكل منهما كان قد توصل الى العرش عن طريق الزواج بها .

وقد كانت رحلة ابن بطوطة الى المالديف أثناء فترة حكمها الأول ، فرحبت به وأكرمته وعينته فى منصب القضاء ، وقد ذكر ابن بطوطة تفاصيل زيارته بتوسع فى كتابه « تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » الذى أملاه على تلميذه ابن جزى .

أصل سكان المالديف سيلانيون

ليست هناك أدلة تاريخية تثبت بصفة قاطعة كيف بدأ استيطان هذه الجزر ، ولا فى أى زمن ، ولا من هم سكانها الأولون .

نعم ، ان هناك أقاصيص تحكى كيف أن جماعة من الهنود قد أكتشفوا هذه الجزر مصادفة منذ أكثر من ألفي عام ، واسـتقروا فيهـا لجمالها وهدوئها ، كما تحكى هذه الأقاصيص أن سلاطين المالديف من نسل أمير سيلاني تزوج فتاة مالديفية وارتقى عرشها ، وكل هذا يعوزه الدليل .

ويرجح اكثر المؤرخين أن أول من اكتشف هذه الجزر واستوطن فيها هم جماعة من أهل سيلان ، فقد كشفت الحفريات عـن بقايا معابد بوذيـة ، وبعض التماثيل التي تمثل بوذا فى العاصـمة « مالي » وفى بعض الجزر الأخرى ، ومعلوم أن السيلانيين يدينون بالبوذية من قديم ، ويؤيد ذلك أيضا تشابه المالديفيين والسيلانيين فى البنية والملامح ، وتشابه اللغة المالديفية واللغة السنهالية التي يتحدث بها سكان سيلان .

بعض المالديفيين تجرى فى عروقهم دماء عربية

وليس معنى هذا أن المالديفيين الحاليين من عنصر سيلاني محض لم تختلط به عناصر اخرى ، فالثابت أن العنصريـن الهندى والعـربي ، قد اختلطا به فى فترات مختلفة من التاريخ ، وذلـك أن سكان الجزر الشمالية كان لهـم فيما مضى صلات تجارية بالمدن الواقعة على شواطىء الهند ، وفى رحلاتهم التجارية كانوا يتزوجون من بنـات الهند . وبذلك اكتسبت سلالاتهم العنصر الهندى الذى يبدو واضحا فى ملامحهم .

وبنفس الطريقة اكتسب سكان الجزر الوسطى (وهي العاصمة وما حولها من الجزر) العنصر العربي ، فقد كانت لهؤلاء صلات تجارية ببـلاد العرب ، كما استقر كثير من التجار العرب فى هذه الجزر ، فاصبحت الدماء العربية تجـرى فى عروقهم ، ولذلك فهم قريبو الشبه بأهل اليمن والجنوب العربي .

أما سكان الجزر الجنوبيـة فقد كانوا أكثـر محافظة على أصلهم السيلاني فلم تختلط بهـم دماء أخرى ، ولذلك فهـم يشبهون فى بنيتهـم وملامحهم سكان القرى فى سيلان .

تعمير المالديف يرجع الى ٢٠٠٠ سنة ..

وعن طريق المقارنة بين اللغتين المالديفية والسنهالية ، توصل السيد محمد امين ديدى الذى كان رئيسا لوزراء مالديف من ١٩٤٤ الى ١٩٥٣ والذى كان بجانب كونه رجل دولة اديبا وشاعرا ومؤرخا - الى أن جماعة من السيلانيين كانوا يقيمون فيها قبيل ظهور سيدنا عيسى عليه السلام . وذلك لان أقرب لغة الى اللغة المالديفية الحالية هي اللغة السنهالية النقية قبل اختلاطها باللغتين البالية والسنسكريتية ، والثابت تاريخيا أن هذا الاختلاط قد بدأ حدوثه فى الفترة التي عاصرت ظهور سيدنا عيسى،مما يؤكد أن السيلانيين قد استوطنوا فى المالديف قبل هذا التاريخ ، ومن هنا رجح السيد محمد أمين ديدى أن تعمير هذه الجزر يرجع تاريخه الى ٢٠٠٠ سنة على الأقل .

وبالرغم من أن المرجح أن جماعة من السيلانيين هم أول من استوطن المالديف ، فانه من المستبعد أن تكون هذه الجزر قد خضعت للحكم السيلاني فى مبدأ استيطانها أو فى غيره من الأوقات . لأن ذلك لو حدث فى أى وقت من الأوقات لجاء ذكره فى ((المهافنسا)) وهو كتاب التاريخ المعتمد لدى السيلانيين الذى دونت فيه كل أحداث تاريخهم ، و ((المهافنسا)) خال عن أى اشارة الى ذلك .

تغيير جوهرى فى اللغة المالديفية بعد الاسلام

على الرغم من أن اللغة المالديفية ترجع فى أصلها الى اللغة السنهالية ، فانها تعتبر الان لغة مستقلة تماما ، لها قواعدها وأصولها وحروف كتابتها وأدبها وشعرها . وذلك لانها اختلطت بلغات كثيرة وتاثرت بها مثل الفارسية والبالية والسنسكريتية ، كما أنها قد تطورت وفقا لمتطلبات البيئة والحاجة عبر اجيال طويلة ، حتى أصبحت مختلفة كل الاختلاف عن اللغة الأم .

وقد تاثرت اللغة المالديفية باللغة العربية ، كما لم تتاثر بغيرها من اللغات ، وسبب ذلك - كما يقول السيد ابراهيم حلمي ديدى الذى يعتبر حجة فى اللغات الشرقية - هو أن المالديفيين - بعد اعتناقهم للاسلام دخل فى قاموس حياتهم كلمات وعبارات جديدة مثل الله - الرسول - القرآن - الملائكة - الآخرة - الثواب - العقاب - وغيرها من الكلمات والعبارات التي لها صلة بأصول الدين الحنيف ، والتي أصبحت جزءا من حياتهم الجديدة ، يستخدمونها فى عبادتهم ، بل وفى تفكيرهم وكتاباتهم وأحاديثهم اليومية . ولشدة تعلقهم بالاسلام وحبهم للغة القرآن ، استخدموا الكلمات والعبارات الجديدةبلغتها الأصلية العربية وبحروفها العربية ، ولم يحاولوا ترجمتها الى اللغة المالديفية ولا كتابتها بالحروف المالديفية . وهنا واجهتهم عدة صعوبات أهمها أن اللغة المالديفية كانت فى الأصل تكتب من الشمال الى اليمين بحروف قريبة الشبه بالحروف السنهالية ، فاستبدلوا بها حروفا جديدة ابتكروها ابتكارا تكتب من اليمين الى الشمال كالعربية ، وذلك حتى يسهل استعمال الكلمات الجديدة العربية الأصل ، اذا جاءت أثناء الجملة ، ومن المألوف منذ ذلك الوقت حتى الآن أن تكتب كل الكلمات العربية التي تحتويها اللغة المالديفية الآن بالحروف العربية ، وتكتب بقية الكلمات بالحروف المالديفية .

((صيادون مهرة))

ان الحرفة الرئيسية لأغلب سكان المالديف هي صيد الاسماك التي تتوافر فى بحارها بكثرة ، فالظروف الطبيعية والمهارة التي اكتسبها الصيادون المالديفيون عبر أجيال طويلة ، قد جعلتا من الصيد حرفة مربحة ، على الرغم من أن الطريقة التي ما زال يتبعها معظمهم هي نفس الطريقة القديمة التي كان يتبعها اجدادهم .

يخرج الصيادون قبل شروق الشمس فى قوارب شراعية مصنوعة خصيصا لهذا الغرض ، الى مناطق معروفة لجمع الطعم الذى يستخدمونه فى عملية الصيد ، وهو نوع من الأسماك الصغيرة ، يجمعون كميات كبيرة منه بواسطة الشبك . ومن الضرورى الاحتفاظ بهذا الطعم حيا ، ولذلك فهم يغرقون قاع القارب بماء البحر عن طريق عدد من الثقوب المحفورة فى جسم القارب بطريقة معينة تسمح بفتحها واغلاقها حسب الطلب .

((١٠٠ سمكة فى الدقيقة !))

وعندما يفرغون من عملية جمع الطعم يخرجون الى عرض البحر ، ويمعنون النظر فى كل الاتجاهات بحثا عن الطيور التي يدل تواجدها بكثرة فى منطقة

من المناطق على وجود تجمعات ضخمة من السمك فيها . فاذا أبصروا الطيور فى ناحية ما أسرعوا نحوها ، ويقوم أحد الصيادين بقذف كميات من الطعم يمينا وشمالا ، واذا رأتها الاسماك أسرعت لالتهامها غير واعية للخطر الذى يحدق بها .

وهنا يقوم ثلاثة أو أربعة من الصيادين المهرة المدربين بصيد الأسماك الجائعة المتلهفة على التهام الطعم بواسطة السنانير ، وهي تظنها أسماكا صغيرة من أسماك الطعم ، وتبلغ مهارة هؤلاء الصيادين حدا مذهلا يمكن الواحد منهم من اصطياد ما بين (٣٠ و ٤٠) سمكة فى الدقيقة من الاسماك التي تزن الواحدة منها كيلو جرام ، وبما أن ثلاثة أو أربعة صيادين يشتركون فى العملية ، فان مجموع ما يستطيعون اصطياده فى الدقيقة الواحدة يزيد على ١٠٠ سمكة ! .

واذا امتلأ القارب بالسمك - والقوارب تختلف فى سعتها ، فتتراوح حمولتها ما بين (٥٠٠) ، (١٠٠٠) سمكة - عادوا الى الجزر وهم يتغنون باناشيد الفرح والانتصار ، ويستريحون بقية النهار والليل ، ثم يخرجون للصيد فى الصباح التالي .

ويوجد فى بحار المالديف أنواع كثيرة من السمك ولكن نوعين منها فقط ، هما اللذان يصطادان بكميات وافرة ، وهما البونيتو والتونة . وتجفف أسماك البونيتو بطريقة خاصة وتصدر الى الخارج ، ولها أسواق ممتازة فى سيلان والهند ، وتعرف فيها باسم ((السمك المالديفي)) ويعشقها السيلانيون بصفة خاصة ، ولا تخلو موائدهم منها ابدا . وتبلغ قيمة ما يصدر منها حوالي ٩٠٪ من صادرات المالديف .

((الصيد بالوسائل الحديثة))

وقد أخذت الحكومة فى السنوات الاخيرة فى تشجيع الصيد بالطرق الحديثة فاستوردت من اليابان عددا من زوارق الصيد ، كما انشأت صناعة زوارق الصيد الميكانيكية ، وتقوم الحكومة بعرض منتجاتها من الزوارق المصنوعة محليا ، للبيع باسعار معقولة مع تسهيلات كثيرة فى دفع اثمانها ، وقد بدأ الناس يقتنعون بجدوى استعمال الوسائل الحديثة ، ولكن من الطبيعي ان يمر بعض الوقت قبل أن يتسع نطاق استعمالها بصورة ينعكس أثرها على الاقتصاد الوطني .

((فاكهة الخبز ...))

وتأتي الزراعة فى المرتبة الثانية بعد الصيد ، فتنتشر فى المالديف زراعة مختلف أنواع الحبوب والبقول والتوابل .

غير أن أهم حاصلات المالديف هى جوز الهند الذى يملأ نخيله سماء كل الجزر ، وتصدر كميات كبيرة من جوز الهند المجفف المعروف باسم ((الكوبرا)) الى سيلان والهند ، كما يستخرج منه زيت جوز الهند الذى يمتاز بقيمة غذائية عالية ، وله قيمة علاجية أيضا لكثير من الأمراض وخاصة الأمراض الجلدية .

ومن الحاصلات الرئيسية فى هذه الجزر ايضا ما يسمى بفاكهة الخبز Bread Fruit وثمارها مستديرة ، متوسطة الحجم ، ذات قشرة خضراء محببة ، وتشبه البطاطس فى الطعم ، وتستعمل مثلها فى الطهى وشجرها ضخم . كثير الفروع غزير الورق ويكثر فى المناطق الاستوائية .

وتزدهر فى المالديف زراعة الفواكه ، فتكثر فيها المانجو والموز والبطيخ والليمون ، كما تكثر فيها الفواكه الاستوائية مثل الاناناس والجاك والبرنجول وغيرها .

((تحف فنية من الخشب))

ويشتهر المالديفيون باجادة الصناعات الخشبية منذ قرون طويلة ، فالأخشاب متوفرة ، والمهارة قد اكتسبوها بالخبرة والممارسة عبر العصور والأجيال ، فتزدهر فى المالديف صناعة الأثاث ولوازم المنازل ، كما أن التحف الخشبية المصنوعة محليا لتزيين الحجرات تبلغ قمة الابداع الفني ، ولها أسواق رائجة فى سيلان .

((نزهة الأصيل))

ويجيد المالديفيون بناء المراكب الشراعية وقوارب الصيد والنزهة ، ويصنعونها من خشب جوز الهند الذى يمتاز بالمتانة والقوة ومقاومة الماء ، وتعتبر القوارب الشراعية المالديفية من اجمل القوارب الشراعية فى العالم ، وأدقها صنعا ، وأسرعها سيرا ، ويعتز بها أصحابها ، فيدهنونها بألوان جذابة ، ويحرصون على صيانتها ، ومن المناظر المألوفة الرائعة منظر هذه القوارب الرشيقة المختلفة الألوان بأشرعتها البيضاء الناصعة ، وهي تقطع البحر جيئة وذهابا ساعة الأصيل .

قصة العدد



للاستاذ

محمد لبيب البوهـي

كان رجال المدينة يسمونها « فاطومي » ، وكان الشيوخ منهم يسمونها اللعنة ، وكان نسوة المدينة يقولون انها الشيطان فى صورة امرأة ، وكان شباب القرى والمدن جميعا يطلقون عليها اسم « زهرة البنفسج اليانعة » .

ولم تكن فاطومي فى منأى عما يقال عنها أو يشاع ، ولكنها كانت تستقبل كل ذلك ساخرة فى غير اهتمام ، هازئة بالرجال والشباب والنساء على حد سواء ، لا تلقى بالا لأحد من هؤلاء أو هؤلاء .

ولكن الشيء الذى لا يب فيه أنها كانت تنطوى على سر كبير رهيب ، سر لا يعرف احد كنهه ، وكانت ذات غرض لم تبح به لأحد ، وهدف لم تتحدث به الى انسان ، ولكن الناس كانوا يرون عدد ضحاياها يزداد يوما بعد يوم .

***

كانت فاطومي اذن ذات أهداف شيطانية ، وبدأ كأنما اتخذت لنفسها نذرا أن يكون لها من كل قرية ضحية ، وأن تكون الضحية دائما أبدا من ذوى المكانة والجاه والصيت البعيد ، يستوى فى ذلك أن يكون شابا وسيما أو شيخا طاعنا ، حسبها أن تهدم ركنا ركينا من الاركان .. فكان الرجال يحترقون وهم يتهاوون فى وقودها كما تحترق الشهب أو تتهاوى النجوم فى عالم الهباء .

***

عشرات من الكهول والشباب ساروا من خلفها أسارى هذه النظرات الساجية ، أو عبيدا لذلك الجيد العاجي ، أو مسربلين بأغلال ذلك الصوت الدافىء الحنون ، أو مأخوذين بروعة هذا الجسد الفتان ..

وذهب الناس فى تأويل شأنها مذاهب شتى ، فقال بعضهم .. امرأة غدر بها رجل تدلهت فى هواه فعذبها ، وألقى بها حطاما فهي تنتقم لنفسها ولجنسها باذلال الرجال ، وقال آخرون : بل مخلوقة شاذة ومصاصة دماء لا ترتوى ، وقال آخرون : بل هي لون من الوان البلاء الذى يتعرض له الناس ليمتحنوا فى ارادتهم وعزمهم ، وقال آخرون غير هذا وذاك ، ولكنها آثرت الصمت عند كل سؤال فلا تجيب .

***

ولم يكن هناك رغم ذلك للراغبين فى تذوق هذه الفتنة من عاصم ، وكانت على ثقة من أمرها ، فكم ابتسمت لأولئك الذين كانوا يلعنونها ، فاذا بهم ينسون اللعنات ، ويتنافسون فى مرضاتها .

كانت ذات قدرة لا تحد فى صيد الرجال ، تمسك بطرف الحبل ، وتعقد الطرف الآخر كالأنشوطة وتلقي به على من تشاء فاذا بها تجره اليها جرا .

وكان ممن وقعوا فى قبضة يمنيها فتانا ذاك بطل هذه القصة ، وقد كان على درجة كبيرة من خلق وعفة وحياء ، وكان ذا زوج وأطفال ، ووجمت زوجه وعقدت الدهشة لسانها ، وشلت المفاجأة احساسها — فلم تعرف من قبل على رجلها ريبة — وضربت يديها أسفا وحسرة ، كيف وقع ذلك القوى الامين فى ذلك الشرك المهين ؟ ! ولكن الزوجة كانت على شيء من الحكمة والأناة ، فلم تشأ أن تقيم على الأمر فضيحة ، فما أبعد الفضائح فى علاج الأمور ، انها ان فعلت فلن تزيد على أن تجعله يخرج بأمره ذاك من الأسرار الى الاعلان ، ثم لا شيء بعد ذلك على الاطلاق .

كان عليها اذن أن تعالج الامر فى هدوء ، ولم يكن أمامها الا أن تلج باب الحكيم هارون .

كان هارون حكيم القرية غير منازع ، وكان رغم عدم تجاوزه سن الشباب يلقب بالحكيم لكثرة علمه ، ومزيد ورعه ، وكان قد أوتى بسطة فى العلم والجسد ، مع قوة العقل ، ومتانة الخلق ، وصلابة العزيمة ..

وكان هارون على علم بأمر فاطومي ، يتحرق شوقا من شهور كي تتاح له فرصة تأديبها وكسر شوكتها وانقاذ الناس من شرها .

وكان الحكماء وذوو الرأى حين يسمعون بالقصص الكثيرة عن فاطومي يهزون رؤوسهم أسفا ويقولون ، لن ينقذنا منها غير هارون بحزمه وبأسه ، وشدة غيرته على دينه ، واستعلائه على كل الفتن التي يتعرض لها الشباب .

فلما لجأت الزوجة المهيضة الجناح الى هارون ، استمع الى القصة وهو يتميز من الغيظ ، وقرر أن يضع للشيطان فى القرية حدا ، وكان الوقت مساء فلم يطق صبرا أن ينتظر الصباح ، فأخذ عصاه ، وتوجه من فوره الى وكرها .... الى بيت فاطومي .

كان الليل هادئا ساكنا كأنما يصغى الى صوت عذب ذا رنين ذهبي يأتي من بعيد ، من خلف أسوار الحديقة حيث كانت فاطومي فى شرفة دارها فى هذه الليلة من صيف يوليو مسترسلة وحدها فى الغناء ..

وتوقف هارون وأخذ يستعيد الكلمات النارية التي سيصبها على فاطومي صبا ، فلما اطمأن تماما الى ثقته بنفسه وبأسه ، تقدم خطوات وقرع الباب .

★★★

ولم يجبه أحد ، ومرت اللحظات وهو ما زال ينتظر ، كان كبركان يتلظى داخله من الحمم .. لقد تذكر كل ما جرته هذه المرأة على الناس من وبال ، وها هي هناك فى الشرفة تغني ، فى غير مبالاة بالطارق الليلي ، لقد تعودت أن تستهين بالرجال ، ان تدعهم عند أبوابها يلهثون ، ولكنه ليس من ذلك الصنف ، من ضعاف النفوس ، أسرى الاهواء ، لقد شد من قبضة يده وتقدم فى ممشى الحديقة ، واعترض طريقه عــــود ياسمين فانتزعه من الشجرة فى عنف وقسوة ، وألقاه أرضا ، وداسه بقدميه ، ونظر صوب مصدر الصوت ، فاذا بفاطومي فى غلالة بيضاء من نسيج شفيف يشى بكل مفاتن جسدها ، وكانت تدور حول نفسها راقصة فى مرح ، وهي تغني كأنها عابدة لجمالها ، تتعبد لذلك الجمال ، واغمض عينيه وتمتم ببضع كلمات وهو يقول فى نفسه :

ما أشد وطأة هذه الفتنة على قلوب الشباب ! ؟ .. أى مخلوق من طين يستطيع الصمود أمام هذا الاغراء ! ؟ ووقف منها غير بعيد يرسل من عينيه نظرات كأنها شواظ من نار .

وتوقفت فاطومي عن رقصها هنيهــة ، وجمعت فى غير اهتمام أطــراف غلالتها وهتفت فى غير خوف أو وجل . من .. ؟ من الطارق ! ؟

فتقدم خطوات فى عزم وتصميم . وقال هارون .. الحكيم هارون ايتها السيدة فاطومي .

ولم تصدق فاطومي أذنيها ، انه الرجل الذى كان يمعن فى صب اللعنات عليها ، وكانت تتحرق شوقا لتوقع به .. ترى أجاء كما يجيء الآخرون .. ! ؟ قالت فاطومي فى نفسها ليس الأمر بمستبعد فأكثر الرجال سواء ... أيكون ذلك حقا . ! ؟ أيكون هارون بنفسه وشخصه .. ! ؟ أيكون ذلك الذى استعصى عليها أعواما طوالا ؟ ومسحت عينيها مرتين حتى تأكدت أنه ليس سواه ، وعلت على الفور شفتيها ابتسامتها الآسرة ، وارتسمت فى عينيها النظرات النفاذة الآمرة وهبطت الى الحديقة ، الى حيث يقف وهي تردد مرحبا وأهلا .. أى ريح طيبة تلك التي جاءت الى دارى بالبركات .. !! ؟

وفارت الدماء فى قلب هارون غيظا وغضبا ، وارتسمت فى ذاكرته صور الضحايا من القرى القريبة والبعيدة ، فتقدم الى المقعد وأرسل فى هدوء قوى مشحون بالايحاء ...

أيتها السيدة فاطومي ، لي معك حديث قصير . وليكن هنا فى هذه اللحظات ، فى تلك الحديقة ، لن أردد القول بأنك رجس من عمل الشيطان ، أو أنك فتاة مطرودة من رحمة الله ، لا أيتها السيدة ، لن أقول هذا القول مهما كنت تتمرغين فى الغواية والضلال ، فما أنت على كل حال الا أخت فى الانسانية ، ان كان قلبك اليوم فى غفلة من أمرك فسوف ينكشف لك الغطاء فى يوم من الأيام ، انك جميلة أيتها السيدة بغير شك ولا نزاع ، جميلة فى الظاهر ، كجمال قشرة التفاح ، ولكن ليس فى داخلك ما فى داخل التفاحة ، خلف قشرتك الظاهرة عفن وديدان فى يوم قريب أو بعيد سيذهب هذا الجمال ، ولكنه يوم آت لا ريب فيه ، وفى ذلك اليوم سيمر بك الذين يسجدون لهذا الجمال فلا يمنحونه بعد أن يولي الا اللعنات والبصقات ، وستنهض أرماس الضحايا من قبورها لتطارد روحك يوم تستيقظ وتلعنك ، ستطاردك اللعنة حتى القبر ، أيتها السيدة ذات الغلاف الجميل الزائف ، هناك جمال آخر فى الأعماق أشد قوة وأعظم خلودا .. ابحثي عن هذا الجمال ، انه هو الباقي .. اخرجي من قشرتك الظاهرية العفنة ، وغوصي فى أعماق عالم الجمال الأبدى ..

***

لأول مرة استمعت فاطومي فى حياتها لمثل هذه الكلمات ، فشملها غضب شديد ، ولكنها جمعت غلالتها تماما ، وتداخل بعضها فى بعض وصرخت فى وجه هارون . انسحب من وجهي ..

فقال هارون وهو ينسحب . ستذبلين أيتها السيدة وشيكا كما تذبل الوردة ، وتداس البقايا منك بعد ذلك بالأقدام .

وأمام صرخاتها العالية انسحب تماما ، فأمسكت بحجر والقت به من خلفه وهو يبرح الباب ، ثم عادت مسرعة الى غرفتها ، وانكفأت فى فراشها تبكي ، وامتد بها البكاء ساعات وساعات .. وانتبهت الى نفسها فوقعت على صورتها فى المرآة ، وبدا لها – كما قال الشيخ – ان جيوشا من الديدان تتلوى على وجهها الجميل وتنهشه ، فصرخت وقذفت المرآة بآنية كانت بالقرب منها فهشمتها .

***

وعاد هارون الى داره هادىء النفس ، يتصور أنه قد أدى رسالته ، وحاول أن يوقظ منها الضمير .. وجلس شاردا يتذكر تفاصيل هذه المغامرة ، وعلى الرغم منه ارتفعت همسات من أعماقه .. ما أروع فتنتها ! ؟ وما أجمل هذا الجسد !! ؟ وارتسمت صورتها أمامه وهي تدور فى غلالتها راقصة تتعبد لجمالها ، ومرت دقائق وهو يحدق ماخوذا فى هذا الخيال الفاتن الساحر الأخاذ .

ولم ينم هارون هذه الليلة ، ولم يستطع أن يقرأ كثيرا فى الكتاب ، لقد اتيحت له فرصة ، لقد حام حول الحمى وقضى لحظات فى حضرة امرأة ، لم يكن غيره واياها ، لم يكن هناك من ثالث ، ولكن ماذا يحدث حين يجتمع رجل وامرأة .. ؟ أيكون الشيطان قد حضر ووسوس ! ؟ .. أكان عليه أن يأخذ معه صديقا رفيقا يبدد وجوده سحر الخلوة ومفاتنها ووسوسة الشرير .. !! ؟

راح هارون يدير هذه المعاني فى راسه ، ولكن الخيال الراقص كان قد انتقل الى خاطره ، وراح الخيال يدق فى عنف وقسوة كل كيانه .. وفى أحلام اليقظة تمنى اشياء كان يخجل أن يديرها على لسانه .

اى طعم لهذه الفاكهة الحلوة .. !! ؟ بلى أى طعم ؟

ومرت ايام .. وأيام .. وأيام ..

★★★

استيقظ فى داخل فاطومي شيء جديد ، لقد رأت نفسها على ضوء هذه الحقيقة التي كشفتها كلمات هارون ، وأدركت تماما أنها كانت تعيش فى الوحل والعفن ، وراحت تحن الى عالم الجمال الحقيقي .. والطهر والصفاء ، بينما كان هارون نفسه يسبح فى خيال عالم الأماني العذاب .. يتمنى لو تتاح له الفرصة ليتقرب من الشجرة ....

وذات مساء رأى نفسه على الرغم منه عند بابها .. كان يقدر تماما أنها تحن الى الايقاع به .. وها هو ذا قد جاء الى كنوز الفتنة يسعى ، وقد قرر أن يلبي نداء الجمال ، ويتذوق ثمار شجرة التفاح ..

وتوقف عند باب الحديقة ، واستمع الى وجيب قلبه الذى أخذت دقاته تعربد قوية مجلجلة فى صندوق صدره ، ولعله هم أن يتراجع ، ولكن قوة لا قبل له على دفعها شدته الى الداخل ، وكان باب شرفتها مفتوحا فراح يتقدم .. ويتقدم . وهناك رأى فاطومي على صورة لم يعهدها من قبل .

كانت واقفة وظهرها اليه ، فظل لحظات يتعبد لهذا الجمال القاهر المنقطع النظير ، وانتظر حتى تلتفت اليه ، ولكن الامر امتد دقائق .. ودقائق ، حتى ظنها قد سمرت فى مكانها ذاك .. وأصاخ السمع فاذا به يضطرب ولا يستطيع أن يتماسك .. لقد كانت الغانية تتلو الآيات .. لقد كانت تصلي ... حتى اذا أتمت صلاتها ، استدارت اليه بوجه تحيط به هالة من نور وابتسمت ، لترحب بهاديها ومنقذها ، وهمت أن تشكره ولكن شيئا رهيبا فظيعا فى عينيه أخافها فسترت عينيها بيديها ، وهمست وقد أدركت كل شيء . لا .. لا أيها الحكيم .. عد من حيث جئت ..

فمد يده يريد أن يتحسس جسدها ملاطفا فامعنت النظر فى عينيه ، ثم اندفعت الى الداخل مهرولة تصرخ .. خنزير .. خنزير ..

فقد رأت فى صورته بفراستها التي أصبحت لا تخيب .. أن ذلك الذى اهتدت بكلماته الى الطريق قد تحول الى خنزير ..

وشاع أمر هذه الخاتمة بين الناس ، وذهب كل يلتمس منها عبرة من زاوية خاصة فمن قائل : ان على المرء أن يحرس ايمانه ، وأن يتعهده بالرعاية والتثبيت ، وذهب آخرون الى ما فى الخلوة بالمرأة الاجنبية من خطر محقق يعرض القلب للزيغ والضلال .

ولكنهم كانوا جميعا يتحدثون : حقيقة ان العبرة دائما بالخواتيم .. ، فلا يسخر قوم من قوم ولا نساء من نساء ...

بقية من سجلات الفتح الاسلامي

يجبرونهم على تغيير مذهبهم ، ولما لمسوه فى المسلمين من حسن معاملة ، وفى الاسلام من سماحة ..

بناء الفسطاط

وتفرغ عمرو للاعمال العمرانية فبنى الفسطاط واتخذها عاصمة وبنى فيها مسجده الشهير ، ونظف القناة القديمة ، وابقى ادارة مصر كما كانت فى زمن الروم ، وقد عين الخليفة عمر بن الخطاب عبد الله بن ابى السرح مساعدا له فى ادارة مصر العليا .

فتح برقة وطرابلس

سهلت هزيمة الروم فى مصر على العرب التقدم غربا فسار عمرو بن العاص بحملة الى برقة ففتحها وتجاوزها غربا الى طرابلس .

ويفترى بعض المؤرخين على عمر بانه اراد ان يكون من العرب المسلمين أمة عسكرية يبعدها عن الاختلاط بالاجانب ، فمنعهم من فلاحة الارض خارج الجزيرة العربية ، وأمرهم أن يقيموا فى مراكز معينة كالجابية وحمص وعمواس وطبرية فى الشام،والبصرة والكوفة فى العراق ، والفسطاط فى مصر وكان غرضه من ذلك ان يتفرغوا للادارة والاعمال العسكرية فجعل الجيش منهم وحدهم وسلمهم الوظائف المهمة وحرم على سكان البلاد المفتوحة دخول الجيش والوظائف العليا . مع ان الوقائع التاريخية الثابتة تشير الى ان جيوش المسلمين لم تكن تفرق بين عربى وأعجمى وان القيادة العليا لم تكن فى يوم من الايام من نصيب العرب وحدهم بل كثيرا ما عقدت ألوية الجيوش الى قادة من الاحباش او الفرس او العجم او البربر ، ولعل عودة بسيطة الى استعراض اسماء ابطال الاسلام تؤكد هذه الحقيقة .

هذا من جهة ومن جهة اخرى فان عمر وخلفاءه لم يستهدفوا الجنوح بالدولة نحو خلق أمة عسكرية بغرض فرض السيطرة كما توحى الكلمة اليوم .. فلقد كانت جيوش المسلمين تستهدف تحرير الانسان من الشوائب والادران ورفعه الى الدرجة التى يجدر به أن يعيش فى كنفها .. درجة الانعتاق من المادية ، والعبودية لله وحده .

نتائج الفتوحات

وهكذا انتهت المرحلة الاولى من الفتوحات الاسلامية التى حملت معها الى كل ارض حلت فيها الاسلام ودعوته ، فنشرت الدين الاسلامى بين الشعوب ، وصهرتها فى بوتقة واحدة بفضل الانظمة الرشيدة التى طبقتها مما جعل من هذه الشعوب أنفسها قاعدة كبيرة للفتوحات الاسلامية الكبرى التى جرت فى عهد الامويين والعباسيين .

- ارحموا عزيزا ذل ، وارحموا غنيا افتقر ، وارحموا عالما ضاع بين جهال .
- كل واحد ينفق مما عنده .
- ما استب الاثنان الا غلب الأمهما .
- اياك وعزة الغضب فانها تصيرك الى ذل الاعتذار .
- تواضعك فى شرفك أكبر من شرفك .
- من لم يجلس فى الصغر حيث يكره لم يجلس فى الكبر حيث يحب .
- أعظم المصائب انقطاع الرجاء .

---

(١) وسميت ب « الفسطاط » لان عمرا عندمانزل مصر ضرب خيامة فى هذه المنطقة ثم بنى فى نفس المكان عاصمة مصر وسماها ب « الفسطاط » وهى الخيام .

بقية باكستان والهند

نهرو لاحظ ذلك ، وعده احدى الصعوبات التى تجابه الداعين الى التقسيم .. فقال (٢) . —
« واذا رسم التقسيم بحيث يفصل ما بين المقاطعات التى تقطنها أكثرية هندوسية ، أو أكثرية اسلامية ، فعندئذ تشتمل المقاطعات الاولى « الهندوسية » ، على الجزء الاعظم من الثروة المعدنية ، والمناطق الصناعية ، وهكذا فان المقاطعات الهندوسية لن تعانى كثيرا من وجهة النظر هذه » .

« ومن الناحية الثانية فان المقاطعات الاسلامية سوف تكون متخلفة اقتصاديا ، وعاجزة ماليا فى اكثر الاحيان ، مقاطعات لن تستطيع الحياة بغير مقدار كبير من المساعدات الخارجية » .

وهذه الحقيقة هي التى كانت سببا فى اتصال الباكستان بالدول الغربية ، وربط سياستها بها لكى تساعدها على النهوض ... وكان لذلك اثره بلا شك فى تقدم باكستان السريع ، وقيام الصناعات بها ، ووقوفها على قدميها ... وهذه الحقيقة قد تغيب عن كثيرين ممن يوجهون اللوم العنيف لباكستان من أجل ارتباطها بسياسة الغرب ...

الله مع باكستان

عندما زرت كراتشى فى يناير سنة ١٩٥٦ فى طريقى الى الهند ، التقيت باحد المصريين — وكان يعمل خبيرا فى الامم المتحدة ، وتنقل كثيرا فى الدول الشرقية الاسيوية — فاخذ يحكي لى كيف تقدمت باكستان ، وكيف كانت كراتشى مثلا منذ سنوات مضت .. ثم قال لى .. ان زميلا أمريكيا له جاءه ذات يوم — وكان يزور باكستان بعد سنوات من زيارته الاولى — فقال له : الان عرفت أن الله مع باكستان .. فسأله . وكيف ؟ فقال . لم أكن اصدق حين انشئت تحت الظروف التى شاهدتها ان تقف على قدميها ..

ذلك قول لا آخذ منه الا ما أريده من تقدير هذا الامريكى للظروف التى جابهتها الدولة الناشئة ..

الهند

أما الهند : فكانت كالاب الواسع الثراء ، الذى يقيم مع أبنائه فى بيته العريق المؤثث ، المستعد لمجابهة الحياة بكل احتمالاتها ، ثم انفصل عنه أحد أبنائه ، ليبدأ حياة جديدة ، فى بيت جديد لم تهيأ فيه وسائل الحياة كبيت أبيه .. ذلك تصوير بسيط لحالة الهند وباكستان عند الانفصال.

بقيت للهند الرقعة الواسعة من أراضى الدولة الكبيرة . هذه الرقعة تبلغ نحو مليون وربع مليون ميل مربع ، وهو ما يوازى ثلثى قارة أوربا ، باستثناء روسيا ويوازى أربعة أضعاف باكستان تقريبا ، ويسكنها نحو ٣٦٠ مليون نسمة حسب احصاء سنة ١٩٥١ م (٣) ..

بقيت لها دواوين الحكومة المجهزة ، ووسائل مواصلاتها ، وجيشها بكافة اسلحته ، وموانيها ومطاراتها ، وكل مقومات الدولة .. بقى كل شيء كما هو .. بقيت مراكز الصناعة ، ومراكز الثروة المعدنية ..

وأهم من ذلك بقيت الحياة تسير كما هى ، بنظامها المعهود ، وقوانينها المعروفة ، فاستأنفت الحياة دون شعور كبير بنقص أو حاجة .. من سافر من المسلمين ، ونجا بنفسه ، سافر وترك كل شيء وراءه كان يملكه حيث هو .. ومن آثر البقاء . اقام حيث هو . وسط الاشواك والازهور ، بين الخوف والرجاء . الرجاء فى مستقبل آمن مستقر على أرضه التي نشأ فيها..

المسلمون فيها

وكان عدد الذين اثروا البقاء من المسلمين نحو ٤٠ مليون نسمة حسب احصاء سنة ١٩٥١ منهم نحو ١٨ مليون من المسلمين الشيعة .. وهم منتشرون فى كل قرية ومدينة .. لهم مساجدهم ومدارسهم الدينية ، وغير الدينية ، وجمعياتهم ، وكفل لهم الدستور الهندى ما كفله لكل مواطن هندى ..

وفى الهند تقوم الاثار الاسلامية الفخمة التى تنطق بحضارة المسلمين المزدهرة أثناء حكمهم

---

(١) ص ٤٠٣ من كتاب من السجن الى الرياسة .

(٢) بلغ عدد السكان فى احصائية ١٩٦٦م ٥٠٠ مليون نسمة : الهندوس ٣٦٦ مليونا ، والمسلمون ٦٠ مليونا ، والمسيحيون ١٢ مليونا ، والسيك ٧ملايين والبوذيون ٥ ملايين ، والجينيون ٢مليون والباقى طوائف اخرى .

للبلاد ، وعلى راس هذه الآثار احدى عجائب الدنيا السبع ((تاج محل)) .

كما تقوم مدارسهم الدينية العربية الكثيرة ، وفى مقدمتها ((دار العلوم ديوبند)) التي تسمى ((أزهر آسيا)) لشهرتها ومكانتها فى الهند وما حولها شرقا وغربا ، ودار العلوم ندوة العلماء فى ((لكنو)) التي تعنى بالعربية عناية خاصة ، وتصدر بها مجلتين ((البعث الاسلامى)) و ((الرائد)) وفى الهند المكتبات الاسلامية الضخمة التى تضم نوادر الكتب والمخطوطات .

ويقوم المسلمون الذين آثروا البقاء فى وطنهم بمهمة حراسة هذا الميراث الاسلامى الضخم وتنميته ، وهم يؤدون بذلك أعظم الامانات لماضيهم ومستقبلهم .. وفاء للماضى المجيد ، وقياما بالواجب نحو الجيل الجديد من أبنائهم واحفادهم .

ترى ماذا كان ينتظر هذا الميراث الاسلامى الضخم المجيد من مصير ، لو أن هؤلاء المسلمين آثروا الهجرة الى باكستان ، كما فعل غيرهم ، وتركوا جميعا ارض الهند ؟ !!

ماذا كان ينتظر المساجد الضخمة والمدارس والجامعات والمكتبات والمؤسسات والآثار الاسلامية؟

وماذا كان يمكن ان يكون عليه وجه الهند ، لو تركها المسلمون جميعا وهاجروا الى باكستان ؟ وكم تكون فجيعة المسلمين جميعا وفى كل مكان لو تم هذا) .

وهل كان من الممكن أن تتسع باكستان لهذا العدد الكبير ، وتوفر لهم ما يحتاجون ، وهى الدولة الناشئة ، التى عانت ــ ولا تزال تعانى الكثير ــ فى سبيل توفير الحياة المستقرة لسبعة ملايين من اللاجئين المهاجرين من الهند ؟ .

ان الخيال يجرى بى سريعا الى الماضى .. الى الاندلس ومأساتها ، فاغمض عينى ، حتى كانني اشاهد هذا الخيال البشع أمامى ، ثم أحمد الله أن هيأ لاخواننا المسلمين فى الهند أن يؤثروا البقاء فى وطنهم ، برغم الظروف التى كانت ، ولا يزال بعضها يحيط بهم ، ليحول بقاؤهم فيها دون وقوع الكارثة .

كنت افزع حينما اسمع ــ وأنا فى الهند ــ أن مسجدا صغيرا فى قرية أو فى حى من أحياء مدينة ما امتهن وتحول الى غير مسجد ، وأعرف ان السبب فى ذلك كان خلو القرية أو الحى من المسلمين بالهجرة الى باكستان ، او مكان آخر فى الهند ، طلبا للامان !! وأقول : كان هذا هو المصير الطبيعى لكل مساجد الهند ، لو ان المسلمين جميعا استجابوا لنداء الهجرة الى الباكستان وأغراهم الفردوس الاسلامى المنتظر بالهجرة اليه.

وكنت كلما رأيت المدارس الاسلامية تموج بطلابها ، والمساجد تمتلىء بعبادها ، والمآذن تدوى من فوقها كلمة : أشهد ألا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، والمجلات والكتب الاسلامية تطبع وتتداول بين ايدى قرائها ، وأرى اللغة العربية لها حماتها وكتبها ومجلاتها أحمد الله ، وأزداد تقديرا لاخواننا المسلمين الهنود ، الذين وهبهم الله الشجاعة وحسن التفكير والتقدير ، ليظلوا فى وطنهم جنودا مرابطين .. وفاء منهم لتراثهم ووطنهم ..

جنود مرابطون

نعم ، انني وقد شاهدت كل شيء هناك بنفسى ، وعشت فيه بقلبى وحسى ، ولمست الظروف التي يعيش فى جوها هؤلاء الاخوان ــ وهى ظروف ليست مريحة فى كل حال ــ لأنظر اليهم ــ وقد أخذوا على عاتقهم حراسة أثمن واقدس ما يعتز به المسلمون فى كل مكان ــ نظرتى الى الجنود المرابطين المعرضين للمفاجآت فى سبيل مثلهم العليا .

انهم هناك يتحملون وحدهم ميراث التقسيم ، وما تركه لهم من مسئوليات جسام ، وما خلفه فى النفوس من آثار ، حينما تثور وتفور ، بل وحينما تهدأ .

وعلى عاتقهم وحدهم كل ذلك ، وعلى عاتقهم وحدهم ايضا عبء النهوض بدينهم وتعليمه لابنائهم ، وغرس حبه وصيانته فى قلوبهم ، وسط الامواج العاتية ، وذلك كله بجوار ما عليهم من حقوق لوطنهم ، كمواطنين صالحين شرفاء .

ان لهم على المسلمين فى كل مكان ــ وبخاصة فى العالم العربى الذى تهفو اليه قلوبهم ــ لهم عليهم حق . الا ينسوهم ، وأن يظلوا دائما يذكرونهم ــ مع التقدير والعون ــ ويذكرون ذلك الدور الكبير ، الذى حملتهم اياه المقادير .

كان الله لهم حافظا ومعينا ونصيرا .



السؤال : ـ

تقدم السيد / ع . ع بالسؤال الآتي :

توفى والدى منذ سنوات بعد أن أوصى بثلث ماله الى أحفاده من أبنائه الذكور ، وكان له وقت وفاته ابنان متزوجان وأنا الابن الثالث لم أتزوج حال حياته ثم تزوجت بعد وفاته وانجبت أولادا ولـم تقسم التركة الا بعد أن انجبت أولادا .

فهل يكون لاولادى نصيب من هذه الوصية أم هى مقصورة على أولاد الاخوين اللذين تزوجا قبل وفاتـه) .

الاجابة : ـ

هذه الوصية جائزة شرعا لانها فى حدود الثلث ولغير وارث لوجود أبناء المتوفى الذين يحجبون أبناءهم وبما أن الموصى قد أوصى حال حياته لاحفاده بثلث ماله ولم يعينهم بالاسم فهي وصية لجميع الاحفاد مطلقة ، حيث أن المطلق ينصرف الى اكمل افراده وحينئذ تصرف وصيته الى جميع احفاده الموجود منهم وقت وفاته ، والذين يوجد منهم بعد ذلك مثله فى ذلك مثل الوقف ، اذ الوصية تشبه الوقف الا ترى أن الواقف لو وقف على ذريته فيشمل الموجود من الورثة والذى يوجد بعد ذلك وهو فى وصيته لم يعين الاحفاد بالاسم بل اطلق فيكون قصده جميع الاحفاد .

وبما أن السائل قد قرر فى سؤاله أن التركة لم توزع فعلا ، فحينئذ يتعين توزيع القدر الموصى به على جميع أحفاد الموصى الموجودين وقت التوزيع بدون التفات الى الموجود منهم وقت وفاته فقط ، هذا ما ذهب اليه السادة الحنفية وايدهم فى ذلك السادة المالكية ، وعارض فى توزيع الوصية على غير الموجودين وقت الوصية الشافعية والحنابلة .

لهذا نفتيك بتوزيع القدر الموصى به على جميع الاحفاد الموجودين وقت توزيع الوصية . تحقيقا لفكرة التسوية بين الاحفادوعدم التفاضل فيما بينهم.

السؤال : ـ

تقدم السيد / ع . س بالسؤال الآتى :

ماتت زوجة عن : زوج ، بنت ، اخوين شقيقين ،أخت شقيقة وتركت مبلغا من المال وماتتزوجة أخرى عن زوج ، بنتين ، اخوين شقيقين ، وتركت مبلغا من المال أرجو بيان استحقاق كل وارث .

الاجابة : ـ

فى الصورة الاولى يكون الميراث كالآتى :

١ ـ للزوج الربع ، وللبنت النصف ، والباقي يوزع على الاخوة الاشقاء للذكر مثل حظ الانثيين .

٢ ـ اما في الصورة الثانية فيكون للزوج الربع فرضا وللبنتين الثلثان ، والباقي يوزع على الشقيقين بالتساوى .

السؤال : ـ

سأل السيد / س . م من الكويت السؤال الآتي :

اختي من الرضاع ارضعت بنتا في سن الرضاع ثلاث مرات فهل يحل لي الزواج من البنت التي ارضعتها اختي المذكورة ام لا يحل ذلك ؟

الاجابة : ـ

المقرر شرعا عند المالكية والاحناف ان قليل الرضاع وكثيره سواء في التحريم ، ويستندون في ذلك الى مطلق الآية في قوله تعالى « وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة » .

وعند الشافعية والحنابلة ان القدر المحرم لا يقل عن خمس رضعات متفرقات ، ويستندون في هذا الى بعض الاثار التى رويت وفيها ان عبد الله بن الزبير كان يخبر ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال « لا تحرم المصة من الرضاعة ولا المصتان وفي رواية اخرى « لا تحرم الرضعة ولا الرضعتان » كما استدلوا بما ورد عن عائشة ان الرسول صلى الله عليه وسلم توفي والتحريم ثابت بخمس رضعات .

وفي المحلى لابن حزم « ولا يحرم من الرضاع الا خمس رضعات تقطع كل رضعة من الاخرى » او خمس مصات كذلك او خمس ما بين رضعة ورضعة تقطع كل واحدة من الاخرى . هذا اذا كانت الرضعة تغنى شيئا من دفع الجوع والا فليست شيئا ولا تحرم شيئا .

ولما كانت البنت التي تريد الزواج منها لم ترضع سوى ثلاث رضعات فقط فلا تعتبر بنت اخت لك من الرضاع استنادا الى ما ذهب اليه الامامان الشافعي واحمد من ان الرضاع المحرم هو خمس رضعات لهذا نرى انه لا مانع شرعا من زواجك بالبنت الواردة بالسؤال .

السؤال : ـ

شاب مسلم تزوج منذ عشر سنوات ولم ينجب اطفالا فذهب الى الطبيب لعلاجه وعالجه باخذ حقن لمدة تزيد عن ثلاثة اشهر .

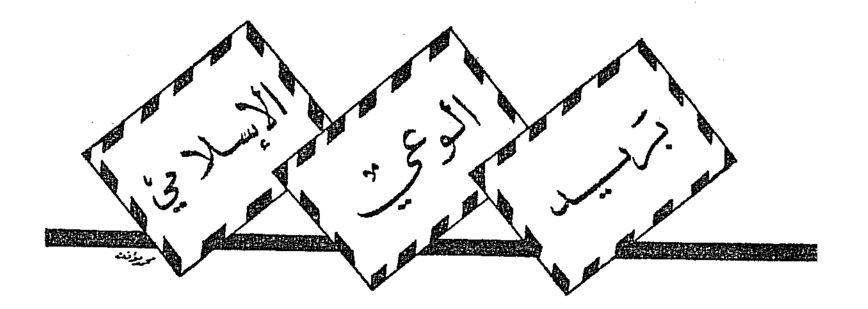
وطلب حكم الشرع في العلاج بهذه الحقن هل هو حلال ام حرام ، وهل تحتوى على حيوانات منوية من رجل اخر ؟ .

الاجابة : ـ

ان الله سبحانه وتعالى خلق الداء وخلق الدواء والاسلام يرغب في التناسل ، وكذلك طبيعة الانسان تدعو اليه ، كما امر الاسلام بالتداوى من الامراض .

وبما انك اخذت الحقن السالفة الذكر للعلاج بناء على رأى الطبيب المختص فلا شيء فيها ـ يوجب الحرمة .

هذا وقد اتصلنا بالدكتور محمد ابو شوك رئيس الوحدة الباطنية بالمستشفى الاميري بشأن هذه الحقن فافاد بانها تحتوى على هرمونات من خصائصها تقوية الجسم وتنشيط الناحية الجنسية فقط كما افاد بأن الحيوانات المنوية لا تعيش في مجارى الدم وحينئذ فلا مجال للظن بأن الاولاد غير شرعيين .
ونسأل الله ان يحقق املك وامل امثالك .



وصلتنا رسالة من السيد / عبد الحسين جاسم محمد بجامعة ليفربول هندسة الكهرباء ، يسجل فيها اعجابه بالمجلة وتقديره للوعي الصحيح الذى يشع من صفحاتها ، وللمجاهدين الذين هياهم الله للعمل بها .. ويشفق علينا من صراحتنا فى الحق التي تبدو فى الافتتاحيات ، ويذكرنا بأن نستفيد من قوله تعالى « الا أن تتقوا منهم تقاة » ضمن حدود الاباحة الاسلامية .. لأن « أمتنا اذ تجهل الاسلام تحتاج الى جهد جديدة لبعث اسلامها ، ويجب أن تتخذ نفس الأساليب المحمدية فيه» و « ولكم فى رسول الله أسوة حسنة » وخاصة ناحية التدرج « ضمن حدود الاباحة الاسلامية .. فى عرض الاسلام » .

ثم ينتقل الى الحديث عن موضوع الخلافة بين أهل السنة والشيعة .. ومن أحق بها ؟ ويذكر رأيه حسب ما درس . ويستشهد بنصوص قرأها . ثم يعترض على ما نشرناه نقلا عن مجلة « الأضواء الاسلامية » التي تصدر فى النجف فى باب « قالت صحف العالم » من قول الكاتب « صلى الله عليه وسلم » ويقول كان أولى به أن يقول « صلى الله عليه وآله وسلم » .

ثم يختتم رسالته الطويلة فيقول « انني فى هذا مطبق قوله صلى الله عليه وسلم : الدين النصيحة .. » ولولا استئناسى اخلاصكم للقضية الاسلامية لعاملتكم معاملة دعاة الاسلام فى كثير من المجلات والجرائد التي تدعي زورا أنها اسلامية ..

وأبادر فاشكر الأخ عبد الحسين على حسن ثقته التي أرجو من الله أن نكون جديرين بها .. كما أشكره على اخلاصه الذى دفعه لكتابة هذه الرسالة الحافلة ، ورسالة قبلها آسف لعدم وصولها ، وللنصائح التي رآها نافعة فوجهها الى .. شكرا للأخ على هذه الروح وهذه الثقة ، وأرجو أن نكون جميعا جنودا مخلصين واعين ، وبعد ذلك أتناول المسائل التي أثارها بما يتسع له هذا المجال الضيق ..

لا شك أن بعث أمتنا يحتاج الى جهد شاق لتحويلها عن الحياة التي ارتبطت فيها بأساليب الغرب وافكاره ، كما أن هذا التحويل يحتاج كذلك الى تدرج . وكل ذلك يحتاج الى حكمة وبصيرة ، فان من الدعاة الى الاسلام أناسا منفرين تخرج أساليبهم فى الدعوة عن آداب الاسلام وحكمته ، فيبعدون الناس عن الاسلام ولا يقربونهم اليه ، وقد يكونون مخلصين ولكن الاخلاص وحده لا يكفى ، بل لا بد من الحكمة والتبصر « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » « قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » ومن هنا تنبت فكرة التدرج الآن فيما لا يمكن تغييره دفعة واحدة .. وقد دعوت الى مثل هذا فى كتاب صدر لي منذ اثنتى عشرة سنة « الاسلام والشيوعية » .

اما ما أثاره الأخ من موضوع الخلافة فهو موضوع تاريخي تحفل به بطون الكتب ، وقد شغل المسلمين منذ وجد ، وفرق صفوفهم ، وأثار بينهم حروبا دموية ، ولا نحب أن تثار الآن مثل هذه الموضوعات التاريخية التي لا صلة ولا يمكن أن تقوم لها صلة بحاضرنا ، وليست هناك جدوى من اثارتها الا اذكاء نار الفرقة فلنترك هذا الموضوع الذى يتصل بأسلافنا الكرام — لله يحكم فيه بعد أن انطوت صفحات أصحابه .. ولنجابه الواقع المر الذى نعيشه ونتكاتف للقضاء على ما يخلفه هذا الواقع لنا من مشكلات . لا نلتفت للوراء الا بمقدار ما ناخذ العبرة ، ونستمد الأسوة فيما ينفع ، ويوحد القلوب ، ويجمع الصفوف ..

أما ما ذكرته من اعتراض على الاقتصار على قول « صلى الله عليه وسلم » فيما نقلناه عن صحيفة « الأضواء الاسلامية » التي تصدر بالنجف دون أن يقال « صلى الله عليه وآله وسلم » فليس مرد هذا الاقتصار فيما ذكرته الصحيفة او فيما نذكره أحيانا تعصبا كما تقول ، أو انتقاصا من آل البيت ، فان حبهم لدى كل مسلم أيا كان مذهبه من حب رسول الله ، ولا تختص به فئة دون فئة ، والصلاة والسلام على الرسول وآله وصحبه تملآن القلوب ، وان لم ينطق بهما اللسان أو يسطرهما القلم .

وقد كتبت أنت أمام كلمة الرسول « ص » فقط ولم تذكر الصيغة التي تطالب بها كاملة ، ومع ذلك لا يخطر على بال أحد اتهامك بشيء . على ان الذي نقل الينا الكلمة وارسلها اكتفى كذلك بكلمة « ص » .

وكم أحب أن نعتبر الخلافات في الأمور الفرعية اختلافات في وجهة النظر لا تورث حقدا ، ولا تترك بين المسلمين خصومة .

وشكرا أخي ، وأكثر الله من أمثالك الشباب الغيورين ، والله يحرسك ويرعاك في غربتك ..

خطأ وصحيح

وهذه رسالة أخرى بتوقيع « مسلم » بالكويت يبدى فيها أعجابه بالمجلة « لما لها من طيب الأثر في نفس كل مسلم » ويذكر تأثره بها « حتى ليغيب عن الوجود حوله حين يقرؤها » ومع هذا الاعجاب بعض ملاحظات ذكرها عن عدد صفر .

ونحن نشكر الأخ على تقديره واعجابه ، كما نشكره على ما أبداه من بعض الملاحظات التي رآها ونطلب منه أن يكتب الينا مباشرة بكل ما يراه .

أما الملاحظات التي أبداها فهي :

أولا – أخذ على الدكتور مصطفى زيد في مقالة « التفسير وأعلام المفسرين » أنه قال « والتفسير من الفَسْر » وظن أن ذلك خطأ . وصوابه عنده أن التفسير من فسَّر لأن أصل الاشتقاق هو الفعل الماضي .

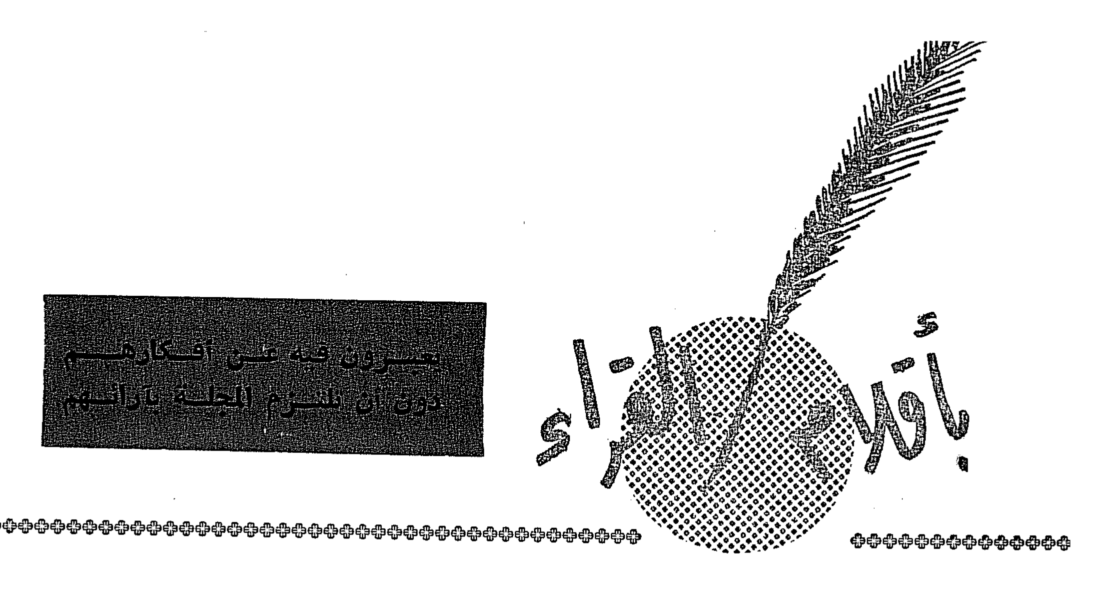
ونقول له ان ما ذكره الدكتور مصطفى صحيح ، وما ذكرته أنت صحيح كذلك .. لأن أصل الاشتقاق عند العلماء البصريين هو المصدر ، وعند الكوفيين هو الفعل .. ولكن رأى البصريين هو الأرجح ، وهو الذى سار عليه الدكتور ، وفي هذا يقول ابن مالك في ألفيته « وكونه أصلا لهذين انتخب » أى وكون المصدر أصلا للفعل والوصف أى اسم الفاعل والمفعول الخ . هو المختار ..

ثانيا – يرى أن كلمة « أجمله » التي جاءت في الحديث في مقال « محمد خاتم النبيين » للشيخ علي عبد المنعم خطأ . وصوابها عنده « وجمَّله » من التجميل . ونقول له لو أنه رجع الى المصادر لوجد أن كلمة « أجمله » جاءت هكذا في صحيحى البخارى ومسلم .. وقد جاء في القاموس المحيط ص (٢٥١) ج ٣ طبعة مطبعة السعادة ما نصه « أجمل الصنعة حسنها وكثرها » وعلى هذا تكون كلمة « أجمله » صحيحة رواية ومعنى .

ثالثا – يرى أن كلمة « القريشيين » التي جاءت في بريد الوعي « فتوسط له أحد القريشيين » خطأ . وصحتها عنده « القرشيين » ونقول له لو أنه رجع كذلك الى المصادر لوجد أن ما كان على وزن فُعيل بضم الفاء وفتح العين فان القياس عدم حذف يائه عند النسب اذا كان صحيح الآخر مثل عقيل وقريش . فتقول « قريشي وعقيلي » أما قرشي فقد جاء على خلاف القياس ، ويسمونه في هذه الحالة شاذا .

وقد جاء في تعليق الشيخ محيى الدين على شرح ابن عقيل في هذا الموضوع « وقالوا في النسب الى قريش وهذيل قرشي وهذلي وذلك شاذ » راجع هذا الشرح بتعليقه الطبعة العاشرة ص (٣٨٩) .

ومن هذا ترى أن قولنا « القريشيين » صحيح وقد جاء على مقتضى القياس ..
وشكرا مرة ثانية .



تشهد عصرنا الحاضر صراعا مريرا بين مذاهب وأفكار من الشرق والغرب تدعى كل منها انها وحدها التى تمثل الحقيقة التى ترى انها الطريق الافضل لسعادة الانسان فى حياته ، ثم تحاول ان تقنع الناس جميعا بذلك .

ويتساءل الناس اين الحقيقة ؟ وليس الا فى الاسلام جواب عن هذا السؤال ، فهو الذى يفضل كل هذه الاراء والافكار جميعا بلا استثناء .

وهذا هو الاخ ابو منير من كربلاء يشير الى هذاالموضوع فى رسالة جعلنا عنوانها « فضل الاسلام » يقـول فيهـا :

جاء الاسلام ثورة كبرى على التفرقة والبغضاء بين الشعوب والامم .. ونادى الملأ كله (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم) فوضع بذلك أسس الانسانية الشاملة فضلا عن الاخوة العامة بين المسلمين الذين تربطهم رابطة سامية تفوق جميع الروابط التاريخية والجغرافية .. ألا وهي رابطـةالعقيدة فى الله .. فاختلطت هذه الشعوب وامتزجت وانصهرت فى بوتقة الدعوة الاسلامية ، فزالت الحواجزالتى كانت تحول بين قلب وقلب ، وتحطمت الحدود التي كانت تفصل بين بلد وبلد .

ان الاسلام الذى ندعو اليه عقيدة تنبثق منهاشريعة ، ويقوم على هذهالشريعة نظام اجتماعي كامل.. والاسلام لا يعيش فى الظلام بل هو نور يعيش فىالنور،وانه لا يخادع ولا يداور ، بل هو كلمة الحق عاشت وستعيش الى الابد . فهو الدين الذى يؤدى الـىتكريم الانسان وسعادته ، وانالدعوة اليه حددها وبين وبين معالم طريقها القرآن الحكيم حين قال تعالـى(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسـنة وجادلهم بالتى هي أحسن)

★ ★ ★

واذا كان للاسلام كل هذا الفضل على كـــلتشريعات البشر وآرائهم فأين أمجادنا السالفة اذن ، بل ما هو السبب فيما نحن فيه الان ، ويبين السببالاخ الاستاذ محمود الكولى المحرر بجريدة الاهرام القاهرية فى رسالة بعث بها الينا تحت عنـوان(المسلمون فى حاجة الى الوعى الاسلامى) فيقول :

اذا قيل فى بعض المسـلمين :

❋ انهم نسوا الله فانساهم أنفسهم .. فانذلك حق !!

* أو أنهم ضعفت فيهم العزائم فافلتت الراية من أيديهم .. فذلك حق !

* أو أنهم فرطوا فيما ورثوه من كنوز الاسلام وفتنتهم شهوات الدنيا .. فان ذلك حق !

* أو أنهم اتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين فاشاعوا بينهم الفرقة والتنازع على سلطات الدنيا فذلك حق !

* أو أنهم هجروا عاداتهم وتقاليدهم الاصلية وفتنوا بكل ما هو أجنبى .. فشاعت بينهم الفاحشة وانتشر الانحلال .. فذلك حق !

* أو أنهم اهملوا الصلاة .. ولم يخرجوا الزكاة واصبحوا يحجون الى اوروبا .. ولا يحجون الى بيت الله .. وينتشون لصوت المطربين والمطربات ولا تطمئن قلوبهم الى تلاوة الآيات البينات .. فذلك حق !

* أو أنهم آثروا الراحة على الجهاد .. والرفاهية على التضحية .. وتعاملوا بالربا والحرام .. وتتبعوا خطوات الشيطان .. ولم يسلكوا الطريق الطبيعي الى طاعة الرحمن .. فذلك حق !!

* أو أنهم أهملوا الثقافة والتعليم حينا من الزمن ، فنشأت أجيال منهم فى جهالات ، بينما سبقهم غيرهم الى علوم الذرة والمخترعات .. فذلك حق !

* أو أنهم آثروا فى ثقافتهم انحراف الثقافات الغربية .. على استقامة الثقافات الاسلامية .. فأفسدت عليهم تفكيرهم .. وانحرفت بطريق مستقبلهم وحياتهم .. فذلك حق !!

* فما هو أقرب طريق يمكن أن يسلكوه اذا ارادوا تصحيح أوضاعهم ؟

* ليس هناك من طريق الا أن يعودوا الى الله وكتابه .. والى رسوله وسنته ..

* وأن يقوم بينهم (وعي اسلامي) رشيد ، ويتواصوا بالحق .. ويتواصوا بالصبر ..

وبذلك يملكون بقوتهم ناصية الدنيا ، وسنام الدين ، ويصبح الفرد المسلم كما قال فيه الشاعر :

فلا هو فى الدنيا مضيع لنفسه ولا عرض الدنيا عن (الدين) شاغله !

★ ★ ★

ولكن ترى هل هذا الطريق سهل ؟ وهل تتم النهضة الاسلامية بلا صعاب ؟

يجيب الاخ أجود نصوح : « قلقيلية / بالاردن » عن ذلك ، فى رسالة بعث الينا بها بعنوان « الصعوبات التي تقف وجه النهضة » فيقول : النهضة فى المفهوم الاسلامي هي الارتقاء الفكرى على الاساس الروحي أى ارتقاء الافكار على أساس الدين ، وهذه النهضة فى جيلنا المعاصر تعترضها صعوبات أهمها :

وجود الافكار اللااسلامية وغزوها للعالم الاسلامى : فى عصر كا نفيه ضحل التفكير قليل المعرفة ضعيف العقلية فوجدت هذه الافكار تربة خصبة خالية من المقاومة فتمكنت منها ، وبهذا تشبعت عقلية المسلمين – سيما فئة المثقفين – بهذه الافكار فكونت منها عقلية أجنبية مشبعة بالتقليد ، بعيدة عن الابتكار ، غير مستعدة لقبول الفكرة الاسلامية فى كثير من نواحي الحياة .

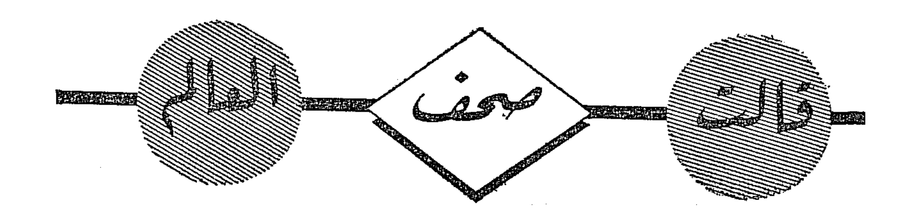
★ ★ ★

ورغم هذه الصعاب المتكاثرة فى طريقنا الى التقدم والنهوض فهل نسمح لليأس يتسلل الى نفوسنا ، وهل تتلاقى طبيعة اليأس مع طبيعة الاسلام الحنيف ؟

عن ذلك يحدثنا السيد / خضير مرزوك الجنابى من بغداد . فى رسالة له بعنوان . اليأس يقول فيها :

يجب أن نتعلق بحبال الرجاء ، بأمل النجدة : ويجب أن نأخذ بالاسباب ونترك النتائج بيد الله الخالق الاعظم ، فانه أدرى منا بذلك وأعلم .

فالذين تسرى فى نفوسهم آفة اليأس هم الذين لا يدركون بأن هناك قوة لا تقهر ، كفيلة بأن تمسح جل المصائب والرزايا ومحركيها ، أما اذا آمنا لله حق الايمان وآمنا بقدره ، وآمنا بأن اليأس من روح الله كفر بوجوده وقدرته ، وآمنا بأن الجهاد فى سبيله حق ، فان النصر لنا مهما وضعت فى طريقنا أشواك وعقبات فالله سبحانه يقول « وكان حقا علينا نصر المؤمنين »



المراة فى الكويت

اجاب سمو نائب امير الكويت المعظم وولي العهد على سؤال صحفى لجريدة الرسالة الكويتية حول اعطاء المراة حقوقها السياسية فى الكويت فقال : ـ

((ان المجتمع الكويتي ليس مهيا بعد للقبول بهذه الفكرة ، يضاف الى ذلك ان المراة الكويتية لم تبلغ بعد من الوعي الاجتماعي والفكرى الذى يؤهلهـــا للمشاركة فى التشريع)) وقال ((لقد فتحنا امام المراة الكثير من الافاق المغلقة ، ولا شك انها استطاعت ان تخطو خطوات طيبة الى الامام ، للمشاركة فى بناء الوطن فى الميادين التي تستطيع ان تسهم فيها .

وفى رايى ان على المراة ان تثبت وجودها اكثر .

((مع وزير التربية))

نشرت صحيفة الراى العام الكويتية حديثا مستفيضا لسعادة السيد خالد المسعود الفهيد وزير التربية اعلن فيه ((ان هناك مشروعا لتوقيع اتفاقيات ثقافية مع كل من دول المجر ، والولايات المتحدة ، والمملكة المتحدة وفرنسا واليابان ، وقد ارسلت هذه الاتفاقيات بالفعل الى سفارات الدول المذكورة ، ثم تابع معاليه الحديث عن جامعة الكويت ومسئولية المدرسة نحو التربية الخلقية ، ومسئولية الناظر ، ثم قال : ((أن المدرسة يجب أن تعمل على توفير الأمن والطمانينة للطلاب ، وتشعرهم بكافة الوسائل انهـا تعمل لصالح مستقبلهم . وأن تعمل على تحويل المبادىء والقيم الخلقية والاجتماعية الى سلوك وممارسة عملية داخل المدرسة عن طريق مجالات الدراسة ، والانظمة المختلفة ، وينبغي أن تراعى المدرسة بأن يكون سلوك المدرسين مثلا من حيث التمسك بالفضائل والاحساس بالمسئولية والصراحة التامة)) .

اثر الاسلام على الهند

ادلت رئيسة وزراء الهند السيدة انديرا غاندى بحديث صحفى خاص الى مندوب جريدة الاهرام القاهرية ، اجابت فيه عن بعض الاسئلة ، وردا على سؤال حول أبعاد العلاقات العربية الهندية اجابت .

العلاقات بين الهند والعالم العربى ذات جذور وارتباطات عميقة فى التاريخ بعثت حرارة فى اتصالاتنا وبعثت تعاطفا مشتركا فى فهم حوافزنا القومية واهدافنا الاجتماعية . ولقد ترك مجيىء الاسلام الى الهند ـ كما تعرفون ـ أثرا عميقا على حضارتنا ، وعلى طبيعتنا القومية ، واصبح الاسلام أحد المقومات الحيوية فى تراثنا الثقافى ،فوق انه دين يؤمن به خمسة وخمسون مليونا من أبناء وطننا . وهـــذه الحقيقة جعلت علاقاتنا بالحياة العربية وبالتاريخ العربى والثقافة العربية حميمة ومثمرة على الدوام .

واتصالا من هذا التراث الفنى جاء كفاحنا المشترك ضد السيطرة الاستعمارية ، فوثق الرباط القوى بيننا ، ومهد الطريق لنمو الفهم المتبادل فى زمننا المعاصر . وعند هذه المرحلة أصبحت مسئوليتنا الكبرى ان نساعد هذا التراث من الصداقة على ان ينمو ، وعلى ان يستجيب بكفاءة لتطورات الزمن الحديث ، وبالتالي تظل علاقاتنا قادرة على مجاراة الظروف المتغيرة فى العالم وحركة الآمال النامية لشعوبنا .

كرم سبط يهودا (هيلاسلاسي)

تحت هذا العنوان . كتبت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية تقول : ـ

أبرمت مؤخرا اتفاقيات بين حكومة الحبشة ، وبين (موشى ديان) وزير الزراعة الصهيوني . أهدت حكومة أثيوبيا بموجب هذه الاتفاقيات لاسرائيل :

١ ـ خمسين الف هكتار (٥٠٠.٠٠٠ دونم) لزراعة القطن ، بعد ان نزعتها من اصحابها المسلمين ، وهي بالقرب من ضفاف نهر ستيت الكبير النابع من جبال ارتيريا . ومنحتها لشركة (انكودا) الاسرائيلية .

٢ ـ عشرين الف هكتار (٢٠٠.٠٠٠ دونم) لشركة اسرائيلية لتربية المواشي والخضار ، ولهذه الشركة فروع لتربية المواشي في عدة اقاليم في اقليم (هرر) الاسلامي .

٣ ـ الفي هكتار (٢٠.٠٠٠ دونم) لشركة ((اناجن)) الاسرائيلية في منطقة ((عيلت)) .

وهذه الهبات رمزية ليس الا ، وتعتبر رمزا لتوطيد عرى التعاضد بين الحبشة واسرائيل . اما القوارب الاسرائيلية لصيد السمك من البحر الاحمر فانها تعمل في ميناء ((مصوع)) الارتيري المسلم ، وتشحن الأسماك،باذن الحكومةالأثيوبية المستعمرة،منه الى ميناء أيلات بدون أي معاملات أو رسوم جمركية . وفي أيلات تعلب وتصدر مرة أخرى الى خارج اسرائيل ولا سيما الى القارة الافريقية .

كما سمحت حكومة الامبراطور لمجموعات تفوق الحصر من الجزارين الصهاينة بالاقامة فيها .

أدركوا أخلاق الأمة الاسلامية

وتحت هذا العنوان كتبت مجلة التربية البغدادية تقول : ـ

وها هي اليوم أزمة الاخلاق آخذة بخناقنا في كل مجال من كل جانب تنظر الى الصغير فيملؤها الخوف مما يشب من أخلاق ، وتنظر الى الشاب فلا تملك نفسك من الاشفاق عليه مما نراه فيه .

وتنظر الى المرأة فيأخذك العجب مما وصلت اليه. وتقلب الطرف في أصناف الناس التاجر منهم والعامل والفلاح والكاسب والموظف كبر كرسيه أم صغر فلا ترى من الأخلاق الا أدناها وأحطها . انه طوفان لم ينج منه الا من رحم الله من أولئك الذين تمسكوا بأهداب الفضيلة وتشبثوا بها غير آبهين بمن خالفهم ، ولكن هؤلاء على قلتهم على خطر عظيم ، فهم كالقابض على الجمر يتبصر تصبرا ويتجلد .

ولقد أدرك الناس هول هذا الخطر على اختلافهم في تصوره وفهم أسبابه ودواعيه ، وعلى اختلافهم أيضا في طريقة معالجته أو في امكانية هذه المعالجة ، فما هو سبيل الخلاص ؟ وهل هناك امكانية للتغلب على هذا الخطر والخلاص من هذه الأزمة ؟ .

ان التغلب على هذا الخطر الداهم والداء الوبيل ممكن وسبيله واضح ، ولكن جهودا كبيرة وفي مجالات متعددة لا بد أن تبذل بصبر وجلد ويقين ، لكي تؤتي بعد ذلك ثمارها ، وتنقذ الأمة من وهدتها وتقيلها من عثرتها الكبرى هذه .

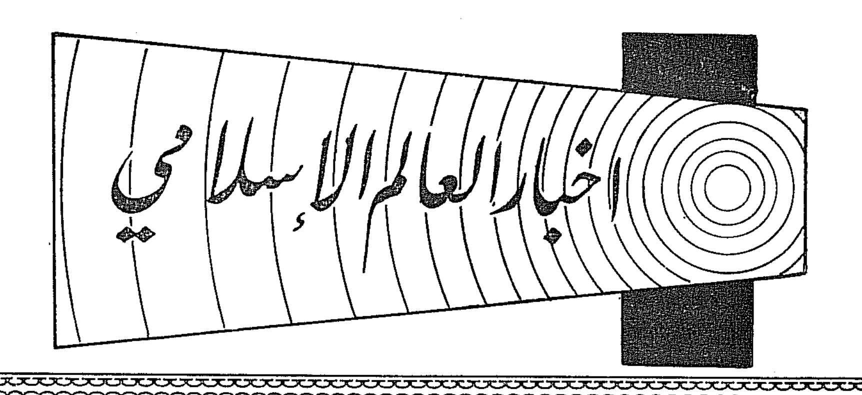
اننا اذا أردنا التخلص من الدنايا التي سقطنا عليها ، فان ذلك لا يكون بدرس يلقى ولا بحديث يذكر ولا بموعظة تقال ، وانما لا بد من العمل لتغيير البيئة التي نعيش فيها تغييرا جذريا يستهدف المنزل والمدرسة والنظم والاحكام والعقائد والافكار والاعراف والآراء والفنون والآداب وجميع وجوه التمدن الأخرى .

سانحة

وتحت عنوان ((سانحة)) كتبت مجلة ((الهدى الاسلامي)) الليبية كلمة جاء فيها : ـ

نسى الناس أن المساجد في معناها مراكز عظمى لقيادة الانسانية ومبعث الانطلاق نحو الكمال المادي والادبي للأمة . نسوا ان المسجد يجمع الناس بقلوبهم ليخرج كل انسان من دنيا ذاته ، فلا يفكر احد انه أسمى من أحد . ولقد يكون الى جانب العظيم ، الصانع أو الأجير أو الفقير أو الجاهل فينظر اليه والى نفسه فيحس كأن خواطره متوضئة متطهرة من مقاييس دنيا الناس . ويرى كلمة الكبرياء قد فقدت روحها . ثم اذا ما نودي للجماعة في الصلاة . هرعوا خلف الامام ، صفا ردف صف . اذا اختلفت مراكزهم وسماتهم ، فقد توحدت قلوبهم ومشاعرهم ، توحد وجوههم نحو بيت الله . ثم تقول المجلة .

ولقد تجلت حكمة الاسلام في مشروعية الخطبة الجمعية وتحديد الأعذار المبيحة للتخلف عنها . ذلك لما لها من اثر عملي في المجال التربوي . لانها تفسير دائم للتشريع الاسلامي ومعالجة المشكلات العامة من خلال هذا التفسير ، حتى يظل الناس على صلة وثيقة بدينهم . ولهذا فانها ينبغي ان تكون عظة مليئة بالغذاء الروحي والتوجيه الاجتماعي ، هدفها تحديد المعالم وتقويم المفاهيم . ومن أجل هذا قامت مقام الركعتين في الصلاة . صلة العبد وربه ، وصلة بين العباد بعضهم لبعض .



الكويت

*** رفع الى حضرة صاحب السمو امير البلاد المعظم سعادة الشيخ صباح الاحمد الجابر وزير الخارجية نتائج مهمته الى المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة بشأن وساطة الكويت فى قضية اليمن .**

* تبرع صاحب السمو أمير البلاد المعظم بثمانمائة الف ليرة لبنانية للجمعيات الخيرية والمدرسة الحربية فى لبنان .

*** طلبت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية من وزارة الخارجية الاتصـال بالحكومات العربية والاسلامية فى جنوبى شرقى آسيا وافريقيا لابداء مقترحاتها لنشر الدعوة الاسلامية .**

* أبلغت سفارة الكويت بالجزائر الجهات المختصة بالكويت بأن الجزائـر الشقيق بحاجة ماسة الى بناء مساجد وهذه الرغبة موضع عناية المسئولين .

*** تلقى معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية رسالة من رئيس رابطة علماء مسلمى نيجيريا تتضمن شكر حكومة الكويت لتبرعها السخى من أجل تدعيم الرابطة المذكورة .**

* زار البلاد الحاج محمدوى جانغ رئيس اتحـاد الشباب الكورى المسلم فى «سيوول» وقد اجتمع أثناء الزيارة بالمسئولين فى وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية من اجل المعاونة لبناء مسجد فى العاصمة الكورية .

*** أكد وكيل وزارة الخارجية فى حديث اذاعى ببرنامج المائدة المستديرة الذى يذاع فى الامم المتحدة أن قضية فلسطين لا يمكن حلها الا بالقضاء على اسرائيل . وأكد أن الوحدة شعور يعيش فى قلب كل عربى .**

* طلبت المملكة المغربية من الجهات المختصة تزويدها بكافة المعلومات عن جامعة الكويت وموعد بدء الدراسة فيها .

* أعلنت وزارة التربية عن قبول طلبات الالتحاق بالجامعة للطلاب والطالبات (غير الكويتين) .

* قامت بعثة طلابية تونسية بزيارة دولة الكويت لتوثيق عرى الصداقة بين طلاب القطرين الشقيقين .

*** تم وضع حجر الاساس لبناء خمسة مساجد جديدة وبدا العمل فيها وكان قد وضع فى الشهر الماضى حجر الأساس لبناء خمسة مساجد أخرى فى المناطق التى اتسع فيها العمران .**

القاهرة

* اعلن السيد محمود رياض وزير الخارجية أن العقيد هوارى بومدين رئيس مجلس الثورة الجزائرى سيزور مصر قريبا .

*** وجه المجلس الاعلى للشئون الاسلامية الدعوة الى زعيم مسلمى امريكا السيد**

ـــا محمـــد لزيارة الجمهورية العربية المتحدة للالتقاء بعلمـــاء الازهر للتباحث فى الشئون الدينية .

★ أصدر المجلس الاعلى للشئون الاسلامية الجزء الاول من موسوعة جمـال لناصر فى الفقه الاسلامى التى يشترك فى تحريرها أكثر من الف عالم من علماء بين فى مختلف المذاهب الاسلامية ، ومن المنتظر أن تصدر الموسوعة فى خمسين .

★ أقر مجلس جامعة الازهر قواعد قبول أوراق الطلبة الجدد وتنص على عدم من يقل مجموعه عن ٥٠٪ وبالمنسبة لكليات الطب والهندسة والاسنان ٦٠٪ .

السعودية

★ تبرع جلالة الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية بمبلغ ١٠٠ ألف لتغطية نفقات بناء جامع فى مدريد ، بعد أن وعدت الحكومة الاسبانية بتقديم ن اللازمة .

★ بعث جلالة الملك المعظم برقية تهنئة لسيادة رئيس الجمهورية العربية المتحدة سبة عيد الثورة الرابع عشر ، وقد تلقى جلالته برقية شكر جوابية من سيادته .

★ أقام سمو أمير مكة المكرمة حفلا كبيرا تكريما لمعالي وزير خارجية الكويت زيارته الاخيرة وحضر الحفل عدد كبير من رجالات الدولة .

★ نشرت صحيفة البلاد أن حريقا كبيرا شب فى منطقة باب السلام فى مكـة ة ظلأكثر منساعتين وقد امتدت النار فيهالىبعضأجزاءالمبنى الجديدللمسجد. شكلت لجنة للتحقيق وتقدير الخسائر ورفع النتيجة الى صاحب السمو الامير ل أمير منطقة مكة .

★ وصل الى الاراضى الحجازية السيد رئيس جمهورية الصومال بدعوة من ة الملك فيصل لزيارة السعودية .

الجزائر ــ أكد سيادة العقيد هوارى بومدين رئيس مجلس الثورة الجزائرى حب السعادة الشيخ عبد الله الجابر الصباح وزير التجارة والصناعة أن الجزائر مة وشعبا تتطلع الى زيارة حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم الرسمية ائر .

الاردن ــ احتفلت كلية الشريعة فى عمان بتخريج دفعة جديدة من خريجيها ، القى جلالة الملك حسين فى حفل التخريج كلمة دعا فيها الى اتباع مبادىء الدين لامى ، وحث الخريجين على نشر الدعوة لتدعيم الروابط بين المسلمين فى شتى رهم .

لبنان ــ أطلق المجلس البلدى فى العاصمة اللبنانية اسم المرحوم سمو الشيخ الله السالم الصباح على أحد شوارع بيروت، وذلك تقديرا من المجلس لشخصية حل الكريم ولما له من أياد بيضاء فى تدعيم المؤسسات المختلفة فى لبنان .

المغرب ــ وصلت الى المغرب المكتبة الاسلامية التى أهدتها وزارة الاوقاف فى مهورية العربية المتحدة ، والتى تضم ثلاثة الاف مجلد .

نيجيريا ــ سيعقد فى جامعة « ابادان » بنيجيريا مؤتمر اسلامى طلابى عالمى ، يناقش المؤتمر موضوع « الاسلام والمجتمع فى العصر الحديث » .

تركيا ــ قررت الحكومة التركية اغلاق عدد من المكاتب السياحية الاسرائيلية فى يا .

باكستان ــ صرح السيد وزير خارجية الباكستان فى كراتشى بأن سياسة بلاده اسة استقلالية اسلامية وطنية .

اقرأ في هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات منا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ، فيما عدا شمال أفريقيا :ـ

بغداد : ـ مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب .

عمان : ـ وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى .

بيروت ودمشق : ـ الشركة العربية للتوزيع ـ لبنان .

القاهرة : ـ شركة توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة ج.ع.م.

الخبر : ـ مكتبة النجاح الثقافية ـ ص ب ـ (٧٦) السعودية .

مكة المكرمة : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

الطائف : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

المدينة المنورة : ـ مكتبة المنار .

عدن : ـ وكالات الاهرام التجارية ـ ص ب (٦٣٩) .

البحرين : ـ المكتبة الوطنية وفروعها ـ السيد فاروق ابراهيم .

المكلا : ـ مكتبة الشعب ـ ص ب (٢٨) المكلا ـ حضرموت .

دبى : ـ المكتبة الاهلية ـ ص ب (٢٦١) .

مسقط : ـ المكتبة الاهلية ـ السيد حسن قمر سلطان .

قطر : ـ مكتبة الثقافة ـ الدوحة ص ب (٨٤٢) .

الخرطوم : ـ الاستاذ حسن نجيلة ـ دار الرأى العام .

بور سودان : ـ مكتبة كرري ـ السيد عطا المنان ص.ب ٣٠٣ .

الصومال : ـ مقديشو ـ محمد أحمد عمر .

الكويت : ـ مكتب منار للتوزيع ـ شارع فهد السالم ص.ب ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



امبراطور الهند المسلم ((جهانكير))

١٠١٤ – ١٠٣٧ هـ – ١٦٠٥ – ١٦٢٧ م

لوحة بالألوان المائية

بريشة : محمد مؤذن